تحفة القادم

لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي

" ٥٩٥ - ٦٥٨ "

أعاد بناءه وعلق عليه

الدكتور إحسان عباس

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

دار الغرب الإسلامي
ص . ب : ١١٣/٥٧٨٧
بيروت - لبنان

تُحفة القادم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

أسأل الله عوناً على حَمده الفَرض، وصوناً من الرَّفض، لِما يُثمر مُضاعَف القَرض، ومحمداً أُصلِّي عليه وعلى آله وصحبِه الذين أشبهوا نُجوم السماء في الأرض، صلاةً تُدخلني في زُمرة الجنة إذا أُخرجَ بَعث النار يوم العَرض.

وبعد، فهذا آقتضاب من بارع الأشعار، بل يانع الأزهار، قصرتُه على أهل الأندلس بلدي، وحصرتُه إلى من سَبق وفاتَه منهم مولدي. ثم ألحقتُ بهم أفراداً لحقهم شيوخُ ذلـك الأوان، لأُضاهي «أنمـوذج» أبـي عليّ ابن رَشِيق، في شُعراء القيروان[1]؛ وأضفت إلى هؤلاء، الطارئين على الجزيرة من الغُرباء، وربأتُ به عمّا تضمنتْه تصانيف السابقين من الأُدباء؛ ليكونَ برَيعانه وضَيعته، أبعدَ من خُسرانه وضَيعته[2]؛ فجئتُ بجـواهر لم يُبتـذل مَصونها، وبأزاهر لم تُهتصر غُصونها؛ مسارعاً إلى ما لهم من أبيات سائرة، وآيات سافرة، وشارعاً في تكميل عددهم مائة شاعر وشاعرة؛ وجعلته باكورة ما بين يَدَيّ في هذا الفن، والله المستعان ذو الطَّوْل والمَنّ.

---

(١) كتاب الأنموذج لابن رشيق: وصلت منه قطعة صالحة في مسالك الأبصار (الجزء الحادي عشر) كما أن الصفدي قد نقل في الوافي عدداً كبيراً من تراجمه، وقد قام بعض إخواننا التونسيين بإعادة جمعه وتنسيقه، على نحو ما حاولت في «تحفة القادم».

(٢) الضيعة الأولى من النماء والكثرة، والضيعة الثانية من الضياع.

ولما عارضت به «زاد المسافر»، سمّيتُه «تحفة القادم»، وحميتُه أسجاع الناثر، اكتفاء بقوافي الناظم؛ ناسياً مَن ذَكره في ترجمةٍ أبو بحر ابن إدريس[1] جامعه، وآتياً من روائع البديع ما يهتزّ له مُبصره وسامعه، كتشبيه لابن المُعتز فاضح، وتَشبيب إزراؤه بالرَّضِيّ واضح، أعيا الأَول وله السبقُ يوم الرِّهان، وأَنسى الثاني ليلةَ السَّفح وظَبية البان[2]؛ إلى فُنونٍ ذواتِ فُتون من الآداب، ساحرةٍ للألباب، وساخرةٍ من الكَلِمِ اللُّباب.

* * *

وهذا أوانُ الشُّروع في المُراد، بهذا المجموع أبدأ: الأول فالأول في الزمان، وربما قدّمت الأكبر بالمكان، إلا أن يعرض من النِّسيان، ما هو مُوكَّل بالإنسان.

---

(١) هو صفوان بن إدريس مؤلف «زاد المسافر»، وقد نشر ببيروت سنة ١٩٣٩ بتحقيق عبدالقادر محداد، وسيترجم ابن الأبار لصفوان في التحفة.

(٢) يشير إلى قول الشريف الرضي:

يـا ليلة السفح ألاّ عـدت ثـانيـة   سقى زمـانـك هــطال من الـديم

وقوله:

يـا ظبيـة البـان تـرعى في خمـائله   ليهنـك اليـوم أن القلب مـرعـاك

— ١ —

ابــن خلصــة

أبـو عبدالله محمـد بن عبدالـرحمن بن أحمد بن فتـح بن قـاسم بن سليمان بن سويد بن خَلصة[١] ــ بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد ــ اللخمي، من أهل بلنسية، كان أستاذاً في علم اللسان والأدب فصيحاً مفوّهاً حافظاً للغات، أقرأ كتاب سيبويه بدانية وبلنسية، وله يدٌ في النثر، ثم انتقل إلى المريّة وفيها توفي سنة تسع عشرة وخمسمائة، حكى ذلك ابن الصيرفي[٢] في تاريخه وقيل سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين [وهو الصحيح][٣]. ومن قوله في أبـي العلاء ابن زُهر[٤] من قصيدة:

غدَتْ عنك أفواهُ الغيومِ الدوافقِ تفيضُ بما تُوري زناد البوارقِ
أنارَتْ جهاتُ الشرقِ لمّا آحتللتَه فكاد الدُّجى يجلو لنا وجه شارقِ[٥]

(١) الوافي ٣ : ٢٣٢ (وراجع ٣ : ٤٢ حيث رفع في نسبه) والمقتضب وانظر التكملة: ٤٢٦ والذيل والتكملة ٦ : ٣٣٧ ومعجم أصحاب الصدفي: ١٠٧.

(٢) أبو بكر يحيى بن محمد المعروف بابن الصيرفي صاحب «الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية».

(٣) زيادة مستنتجة من قول الصفدي: وذكر وفاته في سنين مختلفة وصحح سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وكذلك فعل في التكملة.

(٤) هو الوزير أبو العلاء زهر بن عبدالملك بن زهر الايادي الطبيب المشهور (توفي سنة ٥٢٥)؛ انظر ترجمته في الذخيرة ٢/١ : ٢٢٠ والتكملة: ٣٣٤ والمطرب: ٢٠٣ والنفح ٣ : ٢٤٦، ٤٣٢ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٤ ــ ٦٦ وبدائع البدائه: ٣١٠.

(٥) الشرق يعني شرق الأندلس، حيث نشأ ابن زهر، إلى أن استماله المعتمد بن عباد إلى اشبيلية، وكانت هي موطن جدّه، (أخرجه عنها المعتضد)، فسكن أبو العلاء اشبيلية، ثم لحق بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد سقوط الدولة العبادية.

وكم زفـرَتْ شوقـاً بلنسِيَـةُ المُنى إليـكَ ولكنْ رُبَّ حسنـاءَ طـالقِ
تقلَّدَ منـك الدهـرُ عقداً وصـارماً بهـاءً لجيـدٍ أو سنـاءً لعـاتقِ
ولو قُسِمَت أخلاقك الغُرّ في الدنا لما صوَّحَت خُضْر الرُّبـى والحدائقِ

وله يخاطبه وقد استدعى منه كتاباً:

يـا وَزَراً تُفصـحُ الليـالي بـأنـه سِـرُّهَـا الـلبـابُ
ومَنْ معـاليـه سـافـراتٌ والشمسُ من دونهـا نقـابُ
حـددتَ لي فـامتثلتُ أمـراً هـا أنـا بـالبـابِ والكتـاب

وينسب إلى خلصة أيضاً: أبو عبدالله الضرير الداني، وليس من شرطنا لتقدم وفاته في آخر المائة الخامسة، ولأنه أيضاً مذكور في كتاب الذخيرة لابن بسام[١].

وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن خلصة المعافري الشاطبي[٢] أحد الرواة عن أبـي عمر ابن عبدالبر، وليس بمعدود في الأدباء. وأردت بهذا الانباء والانباه، التفرقةَ بينهم خيفةَ الاشتباه.

* * *

---

(١) الذخيرة ٣/١:٣٢٢ وجذوة المقتبس: ٥١ (وبغية الملتمس رقم: ١١١) والتكملة: ٣٩٥ والوافي ٣:٤٢ ونكت الهميان: ٢٤٨ والمسالك ١١:٤٥ ونفح الطيب ٤: ١٠٠، ١٥٦ والمغرب ٢: ٣٩٣ وبغية الوعاة: ٤٠ والمحمدون: ٣٠٩ والخريدة ٢: ٩٢ وإنباه الرواة ٣:١٢٥.

(٢) سمع من ابن عبدالبر ونظرائه، وحج وأخذ عن علماء المشارقة وكانت وفاته في حدود سنة ٤٩٠ (التكملة: ٤٠٤).

ـ ٢ ـ

آبن أبي الصلت

أبو الصَّلت أُمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت[١]، من أهل إشبيلية[٢]، وسكن المَهديَّة، واتصل بأميرها يحيى بن تميم بن المُعزّ الصِّنهاجي، ثم بآبنه عليّ بن يحيى، وبعده بالحسنِ بن علي[٣]، آخر ملوكِ الصّنهاجيين بها. وتُوفي صدرَ ولايته سنة عشرين وخمسمائة، أو بعدها بيسير. وقيل تُوفي مع أبي عبدالله المازري في سنة ست وثلاثين[٤]، والأول أصحّ.

ومن خَبره أنه خرج من إشبيلية آبن عشرين سنة، ولزم التعلُّم بمصر

(١) المقتضب: ٣ وترجمته في الوافي ٩: ٤٠٢ غير مأخوذة عن تحفة القادم. وانظر معجم الأدباء ٢: ٣٦١ (٧: ٥٢) ووفيات الأعيان ١: ٢٤٣ والمغرب ١: ٢٥٦ ورايات المبرزين: ١٧ والخريدة (قسم المغرب والأندلس) ١: ١٨٩ ـ ٢٧٠ ونفح الطيب (صفحات متفرقة) وعيون الأنباء ٢: ٥٢ ـ ٦٢، وقد جمع ديوانه الأستاذ محمد المرزوقي (تونس: ١٩٧٤).

(٢) بل عدّه بعضهم من بلد دانية من شرق الأندلس (انظر عيون الأنباء: ٥٢).

(٣) حكم تميم بعد وفاة أبيه المعز سنة ٤٥٤ حتى سنة ٥٠١ ثم خلفه ابنه يحيى فبقي في الحكم حتى سنة ٥٠٩، وقد قال أبو الصلت في تاريخه «كان يحيى قدس الله روحه موقوف الفكرة على سياسة رعيته وتدبير دولته» وبعده تولى الحكم ابنه عليّ حتى سنة ٥١٥ ثم الحسن ولم تطل مدته إذ تغلب الروم على المهدية فلجأ الحسن إلى بجاية ثم إلى الجزائر فقدمه أهلها على أنفسهم (انظر أعمال الأعلام: ٧٧ ـ ٨٤).

(٤) في تاريخ وفاته اختلاف إذ قيل أيضاً إنه توفي سنة ٥٢٨ أو سنة ٥٢٩؛ والمازري: نسبة إلى مازر إحدى مدن صقلية؛ وهو من أبرز فقهاء المالكية في المغرب (انظر وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥ والحاشية).

عشـرين سنة، ثم أوطَن المَهـديّـة عشـرين سنـة[١]. حُـدثت بهـذا عن أبـي عبدالله ابن عبدالخالق الخطيب بها، عن بعض مَن أدركه من شيوخها.

وله تواليف مُفيدة في الطبّ، وهوكان الغـالب عليه، وفي الأدب والعروض والتاريخ[٢].

فمن مدائحه في يحيـى بن تميم يصف فرساً له كان يُسمَّى هلالاً لغُرّةٍ في جبهتهِ هِلالية الشكل[٣]:

شهـدتُ لقد فـات الجيادَ وبَـذَّها ... جـوادُك هذا من وِرادٍ ومن شُقـرِ
جـوادٌ تَبـدَّت بين عينيــه غُـرَّةٌ ... تُريكَ هلالَ الفطر في غُرة الشهر
وما آعتنَّ إلا قلتُ أسأل صاحبـي: ... بعَيشكَ من أهدى الهلالَ إلى البدر
كـأنَّ الصباحَ الـطَّلْقَ قَبَّـلَ وَجْهَـهُ ... وسالتْ على باقِيـهِ صافيـةُ الخمر
كـأنَّـك منـه إذ جَـذَبْتَ عِنَـانَـهُ ... على مَنْكِبِ الجوزاءِ أو مَفْرِق النَّسر
كــأنَّـك إذ أرسلتَــه فـوق لُجـة ... تُـدَفِّعها أيـدي الرِّيـاح إلى العِبْـر
تـدفّقتُمـا بحـرَين جُـوداً وجَــودةً ... ومن أعجبِ الأشياءِ بَحرٌ على بَحْر

وله أيضاً فيه ويصف بعضَ مبانِيه[٤]:

قُم يا غلامُ ودَعْ[٥] مُخالسةَ الكَـرى ... لمُهجِّـرٍ يصفُ النّـوى وَمُـغلِّسِ

(١) دخل أبو الصلت إلى مصر في حدود سنة ٥١٠ ولم تكن إقامته فيها لطلب العلم بل حبس في الإسكندرية مدة.

(٢) عدَّ له الأستاذ المرزوقي في مقدمته على ديوانه أربعة عشر كتاباً منها الأدوية المفردة في الطب والرسالة المصرية (وقد نشرها الأستاذ عبدالسلام هارون في نوادر المخطوطات) والملح العصرية في شعراء الأندلس والديباجة في مفاخر صنهاجة وغير ذلك؛ وهناك نقول في المصادر عن كتاب له اسمه «الحديقة»؛ وكان متميزاً أيضاً إلى جانب الطب بالعلم الرياضي وبالموسيقى.

(٣) لم يورد منها في الديوان: ٩٥ سوى خمسة أبيات اعتماداً على الخريدة: ٢٢١.

(٤) من قصيدة طويلة في الديوان: ١٠١ ــ ١٠٣.

(٥) الديوان: وذر.

أو ما رأيت النَّوْرَ يَشرقُ بالنَّدى[١] والفجرَ يَنْصُلُ من خضابِ الحِنْدِسِ
والتُّربُ في خَلل الحديقة مُرْتَوٍ والغُصنُ من حُلَلِ الشَّبيبةِ مُكْتَسِ
والرَّوضُ يَبْرُزُ في قلائدِ لُؤلُؤٍ والأرضُ ترفُلُ في غلائِلِ سُندس
لا تَعْدَمُ الألحاظُ كيف تصرَّفَتْ وَجَناتِ وَرْدٍ أو لواحظَ نَرْجس

وله كلام في المَباني السلطانية يصفُها فمن ذلك قوله[٢]:

وضَّاحة حلَّتِ الأنوارُ ساحتَها فأزَمعتْ رحلةً عن أُفقها السُّدُفُ
كأنّ رَأْدَ الضُّحى مما يُغازلها عن الغَزالةِ هيمانٌ بها كَلِف
تجمّعتْ وهي أشتاتٌ محاسنُها هذا الغَدير وهذِي الرَّوضةُ الأُنُفُ
يُضاحِكُ النُّور فيها النَّوْرَ من كَثَبٍ مهما بكتْ للغَواني أعينٌ ذُرُفُ
خُضرٌ خمائلها زُرقٌ جداولها فالحُسْنُ مُؤتلفٌ فيها ومُختلف
دَوْح وظِلٌّ يَلذُّ العيشُ بينهما هذا يَرِفُّ كما تَهوَى وذا يَرِف
يَجري النسيمُ على أرجائها دَنِفاً ومِلؤه أَرَجٌ يَشفَى به الدَّنِف
حاك الربيعُ لها من صَوبِهِ حِبَراً كأنها الحُلَلُ الأفوافُ والصُّحف
غَريرةٌ من بناتِ الرَّوضِ ناعمةٌ يَثني معاطفَها في السُّندس التَّرَف
تَندى أصائلُها صُفراً غلائلُها كأنّ ماءَ نُضارٍ فوقها يَكِف

وله في المَصنع[٣] المعروف بأبي فِهر[٤]:

نَمت صُعُداً في جِدّةٍ غُرفاتُه على عَمَدٍ مما آستجاد لها الجِدُّ
تَخَيَّلن قاماتٍ وهُنَّ عَقائِلُ سوى أنها لا ناطقاتٌ ولا مُلْدُ
قُدودٌ كساها ضافيَ الحُسن عُرْيُها وأَمعنَ في تَنعيمها النَّحتُ والقَدّ

---

(١) الديوان: أوما ترى النوار بشر بالندى.
(٢) لم ترد في الديوان.
(٣) المصنع: القصر.
(٤) لم ترد هذه القصيدة في الديوان المجموع.

تُـذَكِّـرُ جَنَّـاتِ الخُلودِ حـدائقٌ ... زَواهرُ لا الزّهراءُ منها ولا الخُلد(١)
فأسحارُها تُهدي لها الطيبَ مَنْبجٌ ... وآصالُها تُهدي الصَّبا نحوها نَجد
أَناف على شُمِّ القُصورِ فلم تَزَلْ ... تَنَهَّـدُ وجـداً للقُصـور وتَـنهـدُّ
رَحيبُ المَغـاني لا يضيق بوَفْـدِهِ ... ولـو أنّ أَهلَ الأرضِ كُلَّهُمُ وَفـد
تلاقَى لديه النَّور والنُّـور فآنجلتْ ... تفاريقَ عن ساحاتِه الـظُّلَمُ الرُّبـد

وسُجن أبو الصلت بمصر، فقال في ذلك(٢):

عَـذيـريَ من دَهـرٍ كـأنّي وَتـرتُـه ... ببـاهِـرِ فَضلي فـآستقـادَ بـه منّي
تَعجَّـلني بـالشَّيـبِ قبـلَ أوانِـهِ ... فجـرَّعني الدُّرديَّ من أوَّلِ الـدَّنِّ
ومـا مَرَّ بـي كـالسجنِ فيه مُلمَّـةٌ ... وشرٌّ من السجنِ المُصاحِبُ في السجن
أظُنُّ الليـالي مُبْقِيـاتي لِحـالـةٍ ... تُبـدِّلُ فيهـا حـالتي هـذه عَنّي
وإلّا فمـا كـانت لِتَبْقَى حُشـاشتي ... على طُولِ ما أَلقى من الضَّيمِ(٣) والغَبنِ
وقالوا: حديثُ السِّن يَسْمو إلى العُلا ... كـأنَّ العُلا وَقفٌ على كِبَـرِ السِنِّ
وما ضَرَّني سنُّ الحَداثة والصِّبا ... إذا لم يُضَفْ خُلْقي إلى النَّقْصِ والأَفْن
فعلْمٌ بلا دَعوى ورأيٌ بـلا هوًى ... ووعـدٌ بلا خُلْفٍ وَمنٌّ(٤) بـلا مَنّ
متى صَفَتِ الـدّنيا لحُـرٍّ فـأَبتغي ... بها طِيبَ عَيشي أو خُلُوِّي من الحُزْنِ
وهـل هـي إلا دارُ كُـلِّ مُلِمَّـةٍ ... أَمضُّ لأحشاءِ اللَّبيبِ(٥) من الطَّعن

---

(١) الزهراء: ضاحية قرطبة، فيها قصور ملكية، والخلد: أحد القصور.
(٢) من قصيدة له مطلعها (الديوان: ١٥٢ والخريدة: ٢٥٥):
همـوم سكنَّ القلب أيسرهـا يضني ... ووفدُ خطوبٍ بعضها المهلكُ المضني
(٣) الديوان والخريدة: الذل.
(٤) المنُّ: العطاء.
(٥) الديوان والخريدة: الكرام.

وقال أبو الصَّلت(١):

تَجري الأُمور على حُكم القَضاء وفي طيِّ الحـوادِثِ مَحبـوبٌ ومكـروهُ
فـربمـا سَـرَّني ما بِتُّ أَحـذرُهُ وربمـا ساءني مـا بِتُّ أرجـوهُ

* * *

(١) في الديوان: ١٥٧ عن المقتضب.

ـ ٣ ـ

ابن البراء التجيبي

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن البراء التُّجِيبي[١]: من أهل الجزيرة الخضراء، ومعدودٌ في المجيدين من الشعراء، وله ديوان نظم ونثر كبير. فارق وطنه وهو صغير منتزحاً إلى بلاد الصحراء، وممتدحاً من كان بها من الأمراء، وأراه لم يعد إلى ذَراه، كما لم يعدم الحنينَ إليه في تأويبه وسُراه، فمن شعره في ذلك:

عندي على الخضراءِ دَمْعٌ واكفٌ ... والقَلْبُ أبْرَدُ حَرِّهِ الرمضاءُ[٢]
أودى ثِقافُ فراقِنا بقناتنا ... فانآدتِ اليَزَنِيَّةُ السمراءُ
نزحَتْ بيَ الأقدارُ عن دارِ الهوى ... وقَذَفْنَني حيثُ الفؤادُ هواء
فإقامتي ما بين أظهرِ معشرٍ ... سِيّانِ عندهمُ الدُّجى وذُكاء

وقال أيضاً:

أحِنُّ إلى أرضٍ لَبِسْتُ بها الصِّبا ... فعندي لها من أجل ذِكْرِ الصِّبا وجدُ
ومن أجلِ نَصْلِ السيفِ أُكرِمَ جَفْنُهُ ... ومن جهَةِ الرَّيَّا سما العنبرُ الوردُ

وقال أيضاً:

سقى واكفُ القطرِ الجزيرةَ إنّني ... إليها وإن جَدَّ الفِراقُ لوامقُ
دياراً بها فارقْتُ عَصرَ شبيبتي ... فيا حَبَّذا عَصْرُ الشَّبابِ المفارقُ

---

(١) الوافي ٨: ٢٦ والمقتضب: ٨.

(٢) الخضراء: الجزيرة الخضراء (Aljeciras).

شبابٌ شَفَى نفسي وودَّعَ مسرعاً	كما زار طَيفٌ أو تبوَّجَ بارقُ[١]
قضيتُ بـه حقَّ الهوى وأطعتُـهُ	فأيامُـهُ في عينِ فكري حدائق

وقال أيضاً[٢]:

بي جُؤذَرٌ هامَ الفؤادُ بحُبِّـهِ	عُنِيَتْ لواحظُهُ بقتلِ محبِّـهِ
قد أتلفَ المُهَجاتِ بين لَطافَةٍ	في وجنتيـهِ وقسوةٍ في قلبِـهِ
وإذا رأى المرآةَ هامَ فؤادُهُ	في حُسْنِ صورتِهِ فرقَّ لصبّه

ولابن البراء في أعرج:

أبِنْ [لي] يا أبا موسى بحالٍ	بَدَتْ لي منكَ يضحكُ من رآها
تكيلُ الأرضَ باعاً بَعْدَ باعٍ	كأنَّكَ قد عَزَمتَ على شِراها
وتنبحُكَ الكلابُ بكلِّ أرضٍ	كأنَّكَ قد طُبِعتَ على أذاها

وقال بالقيروان، وقد بلغه أن أبا الفضل يوسف ابن النحوي[٣] ذم خطَّ أهل الأندلس، من قصيدة يقول فيها:

تنسمْ أريجاً لم يَضُعْ من لطائِم	وعرِّجْ على ربعٍ لميَّةَ طاسِمِ
ترحلتُ عن أرضي فأفضتْ بيَ النَّوى	لأرضِ ذئابٍ في ثيابِ ضراغم
فكم فيهمُ من عائبٍ قمرَ الدجى	ومستنزرٍ منهلَّ قَطْرِ الغمائم
رمى معشري بالذمِّ منطقُ يوسفٍ	وَحُسْنُ الثريّا مُفْحِمٌ كلَّ ذائم
أبا الفضل لا ترتَبْ بأنك من فمي	سليمُ أفاعٍ لستَ منها بسالم
أَراكَ سفاهاً عبتَ خطَّ مَعاشرٍ	بهمْ تُسْفِرُ الأيامُ عن وَجْهِ باسم
فإن يكُ فضلاً ما تشي يدُ كاتبٍ	فكلُّ العلا في ما تشي يدُ راقم

---

(١) تبوج البرق: لمع وتكشف (وفي المقتضب: تعوج، وفي الوافي: تبرج، وكلاهما خطأ).
(٢) الأبيات في الغنية: ١٤٨.
(٣) يوسف بن محمد القيرواني النحوي أبو الفضل، أخذ عن أبي الحسن اللخمي صحيح البخاري وعن أبي عبدالله المازري، وكان عارفاً بأصول الدين والفقه يميل إلى الاجتهاد ولا يقلد، توفي سنة ٥١٣ عن ثمانين سنة (التكملة رقم: ٢٠٩٨).

وله من قصيدة:

ما خَيَّمَ المجدُ إلّا في منازلنا ... فليس يَعْدِلنا في الأرضِ من أحدِ
إذا بَلَوْتَ فأخلاقٌ مُهَذَّبَةٌ ... وإن سألتَ فبذلٌ من فَمٍ ويدِ
من كلِّ مَكرُمَةٍ فُزْنَا بأوفرِها ... حفظُ الجِوارِ لنا والأخذُ بالقَوَدِ
لنا نفوسٌ عن الجاراتِ معرِضَةٌ ... وفي التّقى لأفاعيهنَّ بالرَّصدِ
إن شئتَ من كَلِمِ الأعرابِ أفصحَها ... فَخُذْهُ عن والدٍ منّا وعن وَلَدِ
تَنْبُو حِدادُ الظُّبَا عن غَرْبِ منطقنا ... نبوَّ ظُفرِ الفتى عن مخلبِ الأسدِ

ومنها في الردّ على أبي الفضل إذ ذمَّ أبا عمر ابنَ عبدالبرّ:

معتوهُ قسطيلةٍ[1] ينفي رياضتنا ... ومن يُرِدْ قَنَصَ العنقاءِ لم يصدِ
تفيظُ دون مُناها نَفْسُ حاسِدِنا ... وكيف للغَوْرِ يعلو ذِرْوَةَ السَّنَد[2]
تعساً ليوسفَ أَنْ مَنَّاهُ خاطرُهُ ... لحاقَنَا وهلِ العرماضُ كالثمد[3]
باحَتْ بذمٍّ ابن عبدالبر قَوْلَتُهُ ... إن الحسودَ على المحسودِ ذو حَرَد
كم يُتْعِبُ النفسَ فيما ليس يبلُغُهُ ... والضبعُ يعظمُ عنها كلُّ ذي لِبَدِ
لو حلَّ ساحةَ قومي كان مُطَّرَحاً ... كَبَهْرَجٍ لَحِظَتْهُ عينُ مُنْتَقِدِ
دعوى العلومِ تحلّاها فأشبههم ... كما تشابَهَ لفظُ السَّعْدِ والسُّعُدِ[4]

وتوفي أبوه وهو على حاله من الاغتراب والاضطراب، فكتب إلى أخيه مع نثر:

تَبَّتْ يدُ البينِ كم من مهجةٍ عبثتْ ... بها وكم من فؤادٍ وهو مُنْصَدِعُ
دنوُّ رَبْعِكَ أقصى ما أُؤَمِّلُهُ ... لكنْ منالُ الذي لم يُقْضَ ممتنع

---

(١) قسطيلة: بلدة بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وأصل أبي الفضل يوسف من المغرب، ولعلّه نسب إلى القيروان لدراسته بها، ثم دخل الأندلس.
(٢) فاظت نفسه وفاضت: خرجت روحه؛ السند: المرتفع من الأرض.
(٣) العرماض: الطحلب؛ والثمد: الماء.
(٤) السَّعْد: الحظ؛ والسُّعد ــ بضم السين ــ نبات.

وكان أبوه أبو بكر[١] أحدَ شيوخ أبـي الفضل عياض[٢]، رحمه الله.

ومما سمعه، قال: أنشدني أبو جعفر ابن الدلال ببلنسية عن أبـي الحجاج ابن الشيخ سمعت منه بمالقة عن أبـي طاهر السلفي[٣] سمعه منه بالإسكندرية، قال أنشدني الإمام أبو المظفر الأبيوردي[٤] لنفسه بهمذان[٥]:

وقصائدٍ تحكي الرياضَ أضعتُها ... في باخلٍ ضاعتْ به الأَحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الـ ... ـممدوحَ قالوا: ساحرٌ كذَّاب

* * *

(١) أبو بكر محمد بن عبدالله بن البراء الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء، كان أحد فحول شعراء وقته، قرأ عليه القاضي عياض الكامل للمبرد، وتوفي ببلده في حدود عام خمسمائة (الغنية: ١٤٦ ــ ١٤٨).

(٢) أحد كبار شيوخ المغرب (توفي سنة ٥٤٤)؛ وله مؤلفات كثيرة من أشهرها ترتيب المدارك، وللتعريف به انظر الغنية والتعريف بالقاضي عياض لابنه محمد، وعدد المناهل رقم: ١٩.

(٣) السلفي أحمد بن محمد المحدث المشهور (توفي في حدود ٤٧٨) راجع مقدمة «أخبار وتراجم أندلسية».

(٤) أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردي، الشاعر المصنف (ــ ٥٥٧) انظر ترجمته في ابن خلكان ٤:٤٤٤ ومعجم الأدباء ١٧:٢٣٤ والوافي ٢:٩١ ومرآة الزمان: ٤٨ وطبقات السبكي ٤:٦٢ والنجوم الزاهرة ٥:٢٠٦ والشذرات ٤:١٨ والأنساب واللباب (المعاوي). وأبيورد المنسوب إليها بليدة بخراسان.

(٥) ديوان الأبيوردي ٢:١٥١.

ـ ٤ ـ
ابن الطراوة

سليمان بن محمّد بن عبدالله أبو الحسين السبائي[١] ـ بالسين المهملة وبالباء الموحّدة ـ المعروف بابن الطراوة من أهل مالقة. [أخذ عن أبي الحجّاج الأعلم والأديب أبي بكر المرشاني وأبي مروان ابن سراج، حمل عنهم كتاب سيبويه][٢] وكان إمام العربية في عصره وصاحب التواليف المشهورة فيها، وكانت وفاته في رمضان وقيل في شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. ومن شعره[٣]:

وقائلةٍ أتَهْفو للغواني ... وقد أضحى بمَفْرِقِكِ النهارُ
فقلتُ لها حَثَثْتِ على التصابي ... «أحقُّ الخَيلِ بالرَّكضِ المعارُ»

ومنه في فقهاء مالقة[٤]:

إذا رأوا جَمَلاً يأتي على بُعدٍ ... مَدّوا إليه جميعاً كَفَّ مقتنصِ

---

(١) الوافي ١٥:٤٢٢ والمقتضب: ١١ وانظر التكملة رقم: ١٩٧٩ وبغية الملتمس رقم: ٧٧٩ والمغرب ٢:٢٠٨ وبغية الوعاة ١:٦٠٢ والخريدة ٣:٥٧١ والذيل والتكملة ٤:٧٩ والنفح ٢:١٤٢، ٥٣٨، ٣:١٨٤، ١٩٢، ٣٨٤، ٤٠١، ٤:٣٣٢.

(٢) ما بين معقفين يشبه أن يكون منقولاً عن التكملة لا عن تحفة القادم.

(٣) البيتان في أخبار وتراجم أندلسية: ١٧ والذيل والتكملة ٤:٨١ والنفح ٤:٣٣٢ والخريدة ٣:٥٧٢.

(٤) البيتان في الذيل والتكملة وبغية الوعاة.

إن جئتَهم فارغاً لَزُّوك في قَرَنٍ　　وإن رَأوا رشوةً أفْتوك بالرُّخَصِ[١]

ومنه وقد خرجوا ليستسقوا على أثر قحط في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم[٢]:

خرجوا ليستسقوا وقد نَشَأَتْ　　بحريّةٌ قَمِنٌ بها السحُّ
حتّى إذا اصطفّوا لدعوتهمْ　　وبدا لأعينهمْ بها نَضْحُ
كُشِفَ الغمامُ إجابةً لَهُمُ　　فكأنّما خرجوا ليستَصْحوا

هكذا وجدت هذه الأبيات منسوبةً إليه، وقد سبقه إلى معناها أبو عليّ المحسن ابن القاضي أبي القاسم عليّ بن أبي الفهم التّنوخي[٣] صاحب كتاب «الفرج بعد الشدّة» في قوله[٤]:

خرجنا لنستسقي بيمنِ دعائه　　وقد كاد هُدْبُ الغيم أن يُلبسَ الأرضا
فلمّا ابتدا يدعو تقشّعتِ السما　　فما تمَّ إلاّ والغمامُ قد ارفضّا

* * *

(١) بعد هذين البيتين أورد له الصفدي قوله في هجاء قوم من جراوة انتسبوا إلى كلب:
خرجتم من جراوة ثم قلتم　　جراوة في التناسخ من كلاب
صدقتم ليس فيكم غير كلبٍ　　ومن تلدون أبناء الكلاب
وهذا اللون من الهجاء مما يستبعد أن يورده ابن الأبار.

(٢) الأبيات في الذيل والتكملة ٤: ٨١ والخريدة ٣: ٥٧١ وابن خلكان ٤: ١٦٠.

(٣) توفي المحسن التنوخي سنة ٣٨٤ ببغداد؛ راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١٣: ١٥٥ واليتيمة ٢: ٣٤٦ ومعجم الأدباء ١٧: ٩٢ والجواهر المضية ٢: ١٥١ والمنتظم ٧: ١٧٨ وابن خلكان ٤: ١٥٩ وعبر الذهبي ٣: ٢٧ والنجوم الزاهرة ٤: ١٦٨ والشذرات ٣: ١١٢.

(٤) البيتان في اليتيمة ٢: ٣٤٧ وابن خلكان ٤: ١٦٠.

ـ ٥ ـ
الأنـــدي

أحمد بن خليل أبو عمرو الأُنْدي(١) ـ بالنون والدال المهملة ـ من أهل بلنسية، كان طبيباً أديباً شاعراً صاحبَ افتنانٍ ومقطَّعاتٍ حسان، وهو القائل:

ومَـذعورةٍ من حَلْيهـا قد ذعـرتُهـا ... بِـسَلّةِ مـطرورِ الـغِـرارِ مـهنَّـدِ
فمـا وجـدَتْ للحَـزم إلّا التِفـاتـةً ... تُـرقـرِقهـا مـا بين دَمـع وإثمـدِ
حكمتُ على ألحاظِها بعضَ حُكمها ... فحسبُـكَ منّي مُعتـدٍ غيـرُ معتـدِ

ولــه أيضــاً:

وهَيفاءَ رام الغُصنُ يحكي قوامهـا ... وقالت لها شمسُ الضحى أنتِ أَملحُ
يُقِـلُّ رداحَ الـردفِ منهـا مخصَّـرُ ... بـأضيَقَ من خلخـالهـا يتـوشّـحُ
تَـلاعبُ بـالمـرآة عُجبـاً وإنّمـا ... تُلاعب ظبـيَ الموتِ في الماءِ يسبحُ

وله في فرس:

ذو غـرّةٍ إن مـرَّ تـحـسـبُـهُ ... ريـحـاً يـمـرُّ أمـامـهـا قَـبَسُ
شهمٌ كـطبعـكَ في الـوغى يقظٌ ... سهـلٌ كخُلْقِكَ في النَّـدى سَلِسُ

ولــه أيضــاً:

بحيث بدتْ خُضْرُ الكتـائبِ مقلةً ... تخالُ بها من مُشْرَعَاتِ القنا شفرا

ولــه أيضــاً:

ومــنـزلٍ مــا بــه أنــيـسُ ... يــلوح لـلسَّـفْـرِ فـيــه نـارُ

(١) الوافي ٦: ٣٧٤ والمقتضب: ١٢.

عــلَّلتُ طــرفي بــهــا بــخــدٍّ دخــانــهــا حــولَــه عــذارُ

ولـــه أيضــاً:

وغــديــرٍ رقَّتْ حــواشيــه حتى بــان في قَعْرِهِ الـذي كان ساحا
وكــأنَّ الــطيــورَ إذ كــرعت فيـ ـه وعــلَّتْ تــزُقُّ فــيــه فِــراخــا

* * *

- ٦ -

ابن فرتون

أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الأبرش النحوي(١) من أهل شنترين، تجول في بلاد الأندلس وغيرها معلماً بالعربية، وكان رأساً في العربية واللغة، حفظ كتاب سيبويه؛ وتوفي بقرطبة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، فمن قوله، أنشدنا أبو الربيع ابن سالم قال أنشدنا أبو القاسم ابن سمجون قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن الأبرش لأبيه:

لقد كنتُ أَخشَى أَنْ تكونَ ملالةً ... فقد وقع الأمرُ الذي كنتُ أحذرُ
فلقِّنْ لساني إن لقيتك حجةً ... فعند ارتحالي إن نسيتَ سأذكر

وله بالإنشاد المذكور(٢):

لو لَم يكنْ لِيَ آباء أَسودُ بهم ... ولم يُثْبِّتْ رجالُ العُرْبِ لي شَرَفا
ولم أنلْ عند مَلْكِ العصر منزلةً ... لكان في سيبويهِ الفخرُ لي وكفى

(١) الوافي ١٣: ٣٦٧ - ٣٦٨ والمقتضب: ١٣ وانظر الغنية: ١٤٩ وبدائع البدائه: ٨٠، ٣٥٤، ٣٥٩ والصلة ١: ١٧٤ وبغية الملتمس رقم: ٧٢٢ وبغية الوعاة ١: ٥٥٧ ونفح الطيب ٣: ٤٥٧، ٤: ١١١، ٣١٩، ٥: ٢٦٦؛ وقد أخذ ابن فرتون عن عاصم بن أيوب وابن عليم وغيرهما، وبعد فترة قضاها في التدريس جدد السماع لكتب الآداب والحديث فأخذ عن أبي علي الجياني وابن عتاب وغيرهما ثم انتقل إلى العدوة وسكن سبتة وأنزله القاضي عياض بجامعها ليقرأ عليه الناس، فقرأ عليه عدة من المشايخ والكهول كتب النحو واللغة والغريب ثم عاد إلى الأندلس، وأخذ يتنقل بين الجزيرة الخضراء وطنجة. (وأورد له صاحب نفح الطيب ٣: ٤٥٧ مقطوعتين لم تردا هنا وقطعة أو اثنتين في ٤: ٣١٩).

(٢) وردت الأبيات الثلاثة في بغية الوعاة ١: ٥٥٧.

وزاد أبو الربيع بيتاً ثالثاً عن ابن حمير بالإنشاد عن ابن الأبرش كذلك:

فكيفَ عِلْمٌ ومجدٌ قد جمعتهُما وكلُّ مختلقٍ في مثلِ ذا وَقَفا

وبالإنشاد الأول له[١]:

رأيتُ ثلاثةً تَحكي ثلاثاً إذا ما كنتَ في التشبيهِ تنصِفْ
فتاجو[٢] النّيلُ منفعةً وحُسناً ومصرٌ شنترينُ وأنت يُوسُفْ

وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن ابن حريق[٣] في هذا المعنى، وأنشدنيه:

أصبحَت تُدميرُ مِصْراً شَبَهاً وأبو يوسُف فيها يوسُفا

ولابن الأبرش يرثي غلاماً وسيماً غرق، قاله أو تمثل به وهو[٤]:

الحمدُ لِلَّهِ على كلِّ حالْ قد أطفأَ الماءُ سِراجَ الجَمالْ
أطفاهُ ما قد كانَ مَحْيا له قد يطفىءُ الزيتُ ضِياءَ الذُّبالْ

وقد أكثر الشعراء في رثاء الغريق فأجادوا، من ذلك قول أبي القاسم ابن العطار الإشبيلي في بعض الهَوزَنيين ومات غريقاً في نهر طلبيرة[٥] عند فتحها:

ولما رأوا أنْ لا مَقرَّ لسَيفِهِ سوَى هامِهم لاذُوا بأجرأ منهمُ
وكان من النهر المَعين مُعينُهم ومن ثَلم السدّ الحسامُ المثلّمُ
فيا عجباً للبحرِ غالتهُ نُطفةٌ وللأسَدِ الضّرغامِ أرداه أرقَمُ

(١) نفح الطيب ٤: ١١١.
(٢) تاجو: نهر تاجه، وهو من أكبر أنهار شبه الجزيرة الايبرية.
(٣) سيأتي التعريف به ص: ٦١.
(٤) البيتان في بغية الوعاة ٢: ٥٥٧ ونفح الطيب ٤: ١١١.
(٥) نهر طلبيرة هو نهر تاجو الذي ذكره الشاعر في مقطوعة سابقة، وطلبيرة (Talvera de Reina) على النهر بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً (الروض المعطار: ٣٩٥).

— ٧ —

العامري النحوي

أبو بكر محمد بن إبراهيم القرشي العامري[١] الخطيب النحوي من أهل شلب، وأصله من مدينة باجة. له ورسم أن يُكتَب على قبره[٢]:

لئن نفذ القدرُ السابقُ   بموتي كما حكمَ الخالقُ
فقد مات والدُنا آدمٌ   ومات محمّدٌ الصادقُ
ومات الملوكُ وأشياعُهم   ولم يبقَ مِنْ جمعهم ناطقُ
فقُلْ للذي سَرَّهُ مهلكي   تأهَّبْ فإنَّك بي لاحقُ

وللناس فيما يكتبون على القبور كثير مستجاد، من ذلك قول أبي إسحاق ابن خفاجة[٣]:

خليليَّ هل من وقفةٍ بتألُّمٍ   على جدثي أو نظرةٍ بترحُّمِ
خليليّ هل بعد الرَدَى من ثنيّةٍ[٤]   وهل بعد بطن الأرض دارُ مخيّمِ
وإنّا حَيينا أو رَدِينا لإخْوَةٌ   فَمَنْ مَرَّ بي من مسلم فليسلّمِ
وما ذا عليه أن يقول مُحيّياً   ألا عِمْ صباحاً أو يقول ألا آسلمِ
وفاءً لأشلاءٍ كرُمْنَ على البِلَى   فعاجَ عليها من رُفاتٍ وأعظُمِ

---

(١) الوافي ٢: ٢٠ والمقتضب: ١٥ وانظر بغية الوعاة ١: ١٧.

(٢) الأبيات في بغية الوعاة نقلاً عن الصفدي.

(٣) الأبيات في معجم شيوخ الصدفي: ٦١، وقد أضيفت إلى ديوان ابن خفاجة: ٣٦٣ نقلاً عن المعجم وعن تحفة القادم؛ وهي أيضاً في معجم الرعيني: ٧٠، سمعها من أبي الربيع ابن سالم عن أبي الرجال ابن غلبون عن ابن خفاجة.

(٤) المقتضب: من مآبة.

يردّد طوراً آهةَ الحُزن عندها ويذرفُ طوراً دمعةَ المترحّمِ

وقول أبي بكر عبدالرحمن بن محمد بن مُغاوِر[١] الكاتب ــ بالغين والواو المكسورة والراء[٢] ــ:

أيّها الواقفُ آعتباراً بقبري استمِعْ فيه قولَ عظمي الرميمِ
أودعوني بطنَ الضريح وخافوا من ذنوبٍ كلومُها بأديمي
قلتُ لا تجزعوا عليّ فإنّي حَسَنُ الظنّ بالرءوف الرحيمِ
وآتركوني بما آكتسبتُ رهيناً غَلِقَ الرهن عند مولًى[٣] كريمِ

أنشدنيهما أبو الربيع ابن سالم[٤] قال: أنشدنا أولاهما أبو رجال ابن غلبون[٥] بمرسية، قال: أنشدنا أبو إسحاق ــ يعني ابن خفاجة ــ لنفسه، وذكرها، قال أبو الربيع: وأنشدنا الثانية قائلها على باب داره بشاطبة.

* * *

(١) شاطبي سمع من أبيه ومن أبي علي الصدفي، وكان في وقته بقية مشيخة الكتاب وجلة الأدباء المشاهير بالأندلس، وله حظ وافر من قرض الشعر ومشاركة في الفقه، وديوان منثوره ومنظومه يسمى «نؤور الكمائم وسجع الحمائم» وكانت وفاته سنة ٥٨٧ (التكملة رقم: ١٦٢٢ وزاد المسافر: ٧٩ والمغرب ٢: ٣٨٥).

(٢) وردت الأبيات في التكملة من إنشاد أبي الربيع ابن سالم، وفي زاد المسافر: ٨١.

(٣) التكملة: ربٍّ.

(٤) ستأتي ترجمته رقم: ٩٠.

(٥) من شعراء زاد المسافر: ٧٢، وهو من أهل مرسية، رحل إلى ابن خفاجة وأخذ عنه ديوان شعره، وكان بليغاً متصرفاً في النظم والنثر، وتوفي سنة ٥٨٩؛ انظر المغرب ٢: ٢٥٦.

ـ٨ـ

ابــن العــريف

أبو العباس أحمد بن محمد [بن موسى بن عطاء الله] الصنهاجي، ابن العريف الزاهد[١]، من أهل المرية. ولي الحسبة ببلنسية، وقد أقرأ بسرقسطة، وبعد ذلك بَعُدَ صيته في العبادة. توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة ودفن بمراكش، وقيل إنه سُمّ، وله أخبار انظرها في غير هذا الموضع، وله نثر ونظم، فمن ذلك قوله:

تمشّى والعيونُ لهُ سَوامٍ ... وفي كلِّ النفوسِ إليه حاجهْ
وقد مُلِئَتْ غلائلُهُ شُعاعاً ... كما مُلِئَتْ من الخمرِ الزجاجهْ

وله[٢]:

إذا نزلَتْ بساحتكَ الرَّزايا ... فلا تجزعْ لها جَزَعَ الصبيِّ
فإنَّ لكلِّ نازلةٍ عَزاءً ... بما قَدْ كان من فقدِ النبيِّ

وله أيضاً[٣]:

إنْ لم أمتْ شوقاً إليكَ فإنَّني ... سأموتُ شوقاً أو أموتُ مَشوقا

---

(١) الوافي ٨: ١٣٣ والمقتضب: ١٧ وعيون التواريخ ١٢: ٣٦٨ ـ ٣٧٠ وانظر الصلة: ٨٣ وبغية الملتمس رقم: ٣٦٠ ومعجم شيوخ الصدفي رقم: ١٤ ووفيات الأعيان ١: ١٦٨ وشذرات الذهب ٤: ١١٢ ونيل الابتهاج: ٥٨ وأعمال الأعلام: ٢٤٨ ـ ٢٤٩ والمغرب ٢: ٢١١ والمطرب: ٩٠ والنفح ٣: ٢٢٩، ٤: ٣١٩، ٣٣١، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨.

(٢) نفح الطيب ٣: ٣٣١ وعيون التواريخ والمقتضب.

(٣) وردت في عيون التواريخ والوافي.

أَلبَسْتَني ثـوبَ الضنى فـعَشِـقتُـهُ مَنْ ذا رأى قبلي ضنًى معشـوقـا
لا قَـرَّ قَلْبـي في مَقَـرِّ جـوانحي إنْ لم يَـطِرْ قلبـي إليـكَ خفـوقـا
وبرئتُ من عيني إذا هي لم تَدَعْ للدَّمْعِ في مجرى الدموعِ طريقا
بحلاوةِ الإخلاصِ جُدْ لي بالرِّضى إنِّـي رأيْتُـكَ بـالـعِبـادِ رفيـقـا

ولـــه أيضـــاً(١):

قِفـا وقفةً بينَ المحصّبِ والحمى نصـافحْ بـأجفانِ العيـونِ المغانيـا
ولا تنسيـا أنْ تسألا سَمُـرَ اللِّوَى متى بات من سُمْرِ الأسنَّةِ عاريـا
فعهـدي به والمـاءُ ينسابُ فـوقَـهُ سمـاءً وماءُ الـوردِ ينسـابُ واديـا
كـأنَّ فؤادي في فمِ الليثِ كلّمـا رأيتُ سنـا بـرقِ الحمى أو رآنيـا
أقـامَ على أطـلالهِمْ ضـوءُ بـارقٍ من الحسنِ لا يُبقي على الأرضِ ساليا
سلامٌ على الأحبابِ تحدوه لوعـةٌ من الشوق لم يفقد من البينِ حاديا

* * *

(١) وردت في عيون التواريخ والمقتضب.

— ٩ —

ابـــن غتـــال

أبو الحكم جعفر بن يحيى المعروف بابن غتال[١] من أهل دانية، ولسلفه بها نباهة، وهو القائل:

حُـبُّـكَ لـذٌّ بكـلِّ مـعـنًـى إلـى كـرىً مـلتَ أو سـهـادِ
إن كـانَ لا بـدَّ مـن مـنـامٍ فـأضـلعي هـاكَ عـن وسـادِ
ونـمْ عـلى خَـفْـقِـهـا هُـدوًّا كـالـطفـلِ في نَهْنَـهِ المـهـادِ

أبو بكر يحيى بن بقي كان أظرف معنًى وألطف ذهناً، حيث يقول:

بـاعـدتُـهُ عن أضلعٍ تشتـاقُـهُ كي لا ينـامَ على وسادٍ خـافقِ

على أنّ بعض الأدباء نسبه إلى الجفاء لما قال: «باعدته عن أضلع تشتاقه» ولم يقل «باعدت عنه أضلعاً تشتاقه»، وهذا تنبيه حسن.

وأنشدنا أبو الربيع ابن سالم قال: أنشدنا أبو بكـر عبدالـرحمن بن محمد بن مغاور، قال أنشدنا أبو الحكم ابن غتال ارتجالاً في غلام وسيم لسعته نحلة في شفته:

إن لَـسَـعَـتْ لَـعْـسَـاءَه نـحـلةٌ ولم تَسَعْهَـا رُخْصَـةٌ في الـلَّمَمْ

---

(١) الوافي ١١: ١٦٥ ـ ١٦٧ والمقتضب: ١٨، وانظر التكملة: ٢٤٠ ومعجم أصحاب الصدفي: ٧٠ وغاية النهاية: ١٩٩ وكانت وفاته سنة ٥٣٩؛ وأثبته محقق الوافي عتال (بالعين المهملة) وهو خطأ، كما يدل على ذلك آخر الترجمة إذ أنه اسم الهر مصغراً واسم الهر بالاسبانية (العجمية) غاتو (Gato) وتصغيره (Gatillo)، وأورد الذهبي ضبطها بالغين المعجمة والثاء ثالثة الحروف المشددة «غثال».

عـذرتُها إذ أخـذَتْ شَهْـدَهَـا ... من شفـةٍ تـشهـدُ فيهـا لـفـم
لا غـروَ في النحلِ وَيُـوحَى لهـا ... أن تلثَمَ الـزهـرَ إذا مـا ابتسم

ودخل هو وأبو بكر ابن مغاور وصاحبٌ لهما من الأدباء حمام بيار من جهة شاطبة، فصادفوا هواء بارداً فقال ابن مغاور:

شَـرُفَتْ بحمـامِ النـوارِ بيـار ... فـدخـانـه تَعْشَى بـه الأبصـارُ

وقـال الآخـر:

بينـا تـرومُ تـنعمـاً في دفئـه ... يـغشـاكَ قـرٌّ مـا عـليـه قـرار

وقال أبو الحكم بن غتال:

لو أن لي فيه عصا موسى على ... آيـاتـهـا مـا فـرَّ عني الـفـار

فقال ابن مغاور: هذا على أنك ابن غتّال، وهو اسم الهر مصغراً باللسان العجمي.

* * *

ـ ١٠ ـ
ابن عَلْقَمَة البَلَنْسي

أبو محمد عبدُاللّـه بن محمد بن الخَلَف الصَدَفِي[(١)] من أهلِ بلنسية، ويُعرف بابن عَلْقَمَة، وأَبوه الكاتبُ أبو عبدالله هو صاحبُ «تاريخ بَلَنْسِية»[(٢)] وكتب أبو محمد هذا للقاضي أبـي الحُسين ابن عبدالعزيز.

وفيه يقول أبو العبّاس ابن العريف الزاهد[(٣)]، رحمه الله تعالى:

مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ وآياته ... سُكَّرَةٌ تُعْزَى إلى عَلْقَمَهْ
خِيفَ عليها العَيْنُ من طِيْبِها ... فهي بأضدادِ الكُنَى مُعْلَمَه
بقيّةُ المعنى لذي فطنةٍ ... لأنّها في اللفظ عِلْقٌ وَمَهْ

ومن شعر أبـي محمد يخاطب الأستاذ أبا عبدالله ابن خَلَصَة[(٤)] عقيبَ إبْلاله من مَرَضٍ أُرْجِفَ فيه بِمَوْتِهِ:

نَعَوْك وقاك اللّه كلَّ مُلِمَّةٍ ... وما هو نعيٌ بل مُصَحَّفُهُ بَقْيُ
ويَنْعُ لِزَهْرِ الجسمِ بعد ذُبُولِهِ ... وبالضِّدِّ من معناه يَبْدُو لنا الشيُّ
فهذا صحيحُ الزَّجْرِ بادٍ دليلُهُ ... ولِلّهِ فينا الحُكْمُ والأَمْرُ والنَّهْي

---

(١) الوافي ١٧: ٥٤٢ والمقتضب: ٢٠ وانظر التكملة: ٨٢٦ والذيل والتكملة ٤: ٢٢٧ والبداية والنهاية ١٢: ٢٢٣.

(٢) توفي محمد بن الخلف الصدفي سنة ٥٠٩، وكتابه المشار إليه يسمى «البيان الواضح في الملم الفادح» دوّن فيه استيلاءَ السيد الكنبيطور على بلنسية (انظر التكملة: ٤١١ والذيل والتكملة ٦: ١٨٤).

(٣) راجع الترجمة رقم: ٨.

(٤) راجع الترجمة الأولى في هذا المجموع.

فجاوبه ابن خَلصة بأبياتٍ منها:

لئن كنتُ مَنْعِيّاً فما الموتُ وَصْمَةً لقد نُعِيَتْ قبلي الرسـالةُ والـوَحْيُ

لِيُغْض(١) عَـدُوٌّ أو لِيُظْهِـرْ شماتـةً فعمّـا قليـلٍ يَتْبَـعُ المَيِّتَ الحَيُّ

* * *

(١) المقتضب: ليقصر (وهو أدق).

ـ ١١ ـ
ابـــن ورد

أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمـر بن ورد التميمي[١]، من أهل المرية.

سمعت الحافظ أبا الربيع ابن سالم الكلاعي يقول: سمعت أبا الخطاب ابن الحسن، هو ابن الجميِّل[٢] يقول، سمعت أبا موسى عيسى بن عمران[٣] ـ يعني قاضي الجماعة ـ يقول[٤]: لم يكن بـالأندلس مثـل أبـي القاسم ابن ورد:

---

(١) الـوافي ٨: ٧٢ والمقتضـب: ٢١ وانظر الصلـة: ٨٣ وبغيـة الملتمس رقـم: ٣٦٢ ومعجم شيوخ الصدفي: ٢٣ (رقم: ١٧)؛ وأصل أبيه من القيروان، هاجر إلى الأندلس وسكن المرية، وبها نشأ ابنه هذا وأخ له اسمه عبدالملك، وتعلقا في أول أمرهما بالسوق، ثم انتقلا إلى طلب العلم في بلدهما، ومنها ذهب أبو القاسم إلى قرطبة فدرس على ابن رشد الجد وغيره، ورحل إلى سجلماسة، وولي قضاء غرنـاطة ثم قضاء إشبيلية، ثم أبعد عن القضاء فعاد إلى المرية وأقام يُسمع ويدرّس حتى وفاته.

(٢) هو أبو الخطاب ابن دحية صاحب كتاب المطرب، واسمه عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميِّل (بالتصغير)، توفي بالقاهرة سنـة ٦٣٣؛ انظر تـرجمته في التكملة رقم: ١٨٣٢ وصلة الصلة: ٧٣ والبدر السافر، الورقة: ٤٠ وعنوان الدراية: ١٥٩ وذيل الروضتين: ١٦٣ ومرآة الزمان: ٦٩٨ وتذكرة الحفاظ: ١٤٢٠ وميزان الاعتدال ٣: ١٨٦ ولسان الميزان ٤: ٢٩٢ ووفيات الأعيان ٣: ٤٤٨.

(٣) عيسى بن عمران بن دافال المكناسي، صحب أبا القاسم ابن ورد واختصَّ به، وكان من الراسخين في العلم قائماً على الأصول والفروع، أديباً شاعراً خطيباً، ولي قضاء مراكش وتوفي سنة ٥٧٨ (التكملة رقم: ١٩٣١).

(٤) ورد هذا القول في معجم شيوخ الصدفي: ٢٥ والتكملة.

ولا أُحــاشـي مـن الأقــوام مـن أحــد(١)

توفي سنة أربعين وخمسمائة؛ وله:

سُـكْنَـى الـفَـنـادِقِ ذُلُّ والـبـيـتُ مـنـهُ أذلُّ
فـإنْ دُفِـعْـتَ إلـيـهـا فـحُـجْـرَةٌ لا أقَـلُّ

ولــه:

كـلُّ خِـلٍّ صـحـبْـتُـهُ من ذوي المـجـدِ والعـلى
أنـا مـنـهُ بـواجِـدٍ مـنْ عَـظِـيمَـيْـنِ مُـبْـتَـلى
بـاصـطـبـارٍ عـلى الأذى أو فـراقٍ عـلى الـقـلى
واعـتـبـرْ حـالَ من دنـا مـنـهُـمُ بـالـذي عَـلا
ودعِ الـنـاسَ كـلّهُـمْ تُـعـفَ من فـادح البَـلا
غـيـرَ تَـسْـلـيـمَـةِ الـلّقـا والـذي بـعـدهـا فَـلا
هـاكَـهـا من مـجـرِّبٍ فـاغـتَـنِـمْـهـا مـعـجِّـلا

وله في ابنٍ صغير:

فِلْذَةُ كِبْدي أَمَسُّها بيـدي يقولُ إن حاول الكـلامَ أَغُ
لو جمعَ الواصفونَ أن يصفوا مقـدارَ حبـي لَهُ لَمـا بَلَغوا

وحدثني أبو الربيع ابن سالم بلفظه ثمّ بقراءتي عليه، قال: حدثني أبو عبدالله ابن أبـي عمر، هو ابن عيّاد، عن أبيه، قال: حدثني أبو بكر بن إبراهيم بن نجاح الواعظ قال: دخلنا على أبـي القاسم ابن ورد عائدين له في مرضه الذي توفي فيه فسألناه عن حاله فأنشد بعدما استند لنفسه:

عَشْرُ الثمانينَ وعمـرٌ طويـلْ لم يَبْقَ للصحبـةِ إلاّ القليلْ
لا تحسبـوني ثـاويـاً فيكمُ فقدْ دنا الموتُ وآنَ الرحيلْ

---

(١) صدر البيت: ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه، وهو للنابغة الذبياني.

ـ ١٢ ـ
ابن أبـي ركب

أبو الطاهر إسماعيل بن مسعود الخُشني ابن أبـي رُكَب[١]، من أهل جَيّان. هو عَمّ أبـي ذَرّ[٢]. من قوله[٣]:

يقــولُ النــاسُ في مَثَــلٍ   تــذكّــرْ غــائبــاً تَــرَهُ
فــمــا لي لا أرى سَكَنـي   ولا أَنــسَــى تــذكُّــره

أنشدناه أبو الربيع عن ابن حُميد[٤] قال: أنشدناه أبو بكر ابن مسعود[٥] لأخيه إسماعيل.

وحدثني أبو الربيع بلفظه قال: حدثني أبو الحُسين ابن زرقون[٦] أن أباه

---

(١) الوافي ٩: ٢٢٤ والمقتضب: ٢٢ والنفح ٤: ٣٢٣ وانظر التكملة: ١٨٥.

(٢) أبو ذر هو مصعب بن محمد الجياني الخشني، توفي سنة ٦٠٤ (انظر ترجمته في التكملة: ٧٠٠).

(٣) البيتان في النفح ٤: ١١٣، ١٦٠، ٣٢٣ والتكملة.

(٤) ابن حميد: هو أبو عبدالله محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الأموي البلنسي، ولي قضاء بلنسية سنة ٥٨١ وكان عدلاً في أحكامه صليباً في الحق، مع حظ وافر من البلاغة والتصرف البديع في الكتابة، وأوطن مرسية في آخر عمره وتوفي بها سنة ٥٨٦ (التكملة: ٥٣٩ ـ ٥٤٠).

(٥) هو محمد بن مسعود الخشني أبوبكر، استوطن غرناطة وولي صلاة الفريضة والخطبة بجامعها، وكان إماماً في صناعة العربية وله حظ من قرض الشعر توفي سنة ٥٤٤ (المعجم: ١٥٧ والتكملة: ٤٦٩).

(٦) أبو الحسين محمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن زرقون، أحد الفقهاء المبرزين وله ردّ على كتاب المحلّى لابن حزم، وكتب عنه من الجلة أبو الربيع ابن سالم وكانت وفاته سنة ٦٢١ (التكملة: ٦١٦).

شيخنا، رحمه الله حدّثه قال: كُنَّا يوماً بِسَبتة في جُملة من الطلبة، ومعنا أبو الطاهر إسماعيل بن مسعود، وكان أبو الطاهر هذا أديباً شاعراً فاضلاً، فمرَّ بنا رجل صَنَع، وفي يده مِحبرة أبنوس، وقد آحتفل في عملها وتأنق في حِليتها، فأراناها وقال[1]: إن هذه المحبرة أريد أن أقصد بها بعض الكُبراء وأرغب أن تُتِمُّوا لي احتفالي فيها، بأن تصنعوا لي بينكم أبياتَ شعرٍ أدفعها معها، رجاءَ أن يكون ذلك أنجحَ لغرضي منها. قال أبـي: فأطرقنا نُفكِّرُ في مَطلبه، وبَدَرنا أبو الطاهر، فقال:

وافتْـك من عُـددِ العُـلا زِنجيّـةٌ   فـي حُلّةٍ مـن حِليـةٍ تَـتـبـخـتـرُ
سَـوداءُ صَفـراءُ الحُليِّ كـأنهـا   لـيـلٌ تُـسطِّرُزُهُ نُـجـومٌ تَـزْهـر

فسُرَّ الرجل بها وسأل كَتْبَها، فكُتبت له. وانفَصل عنّا شاكراً ما كان من إسعافه. فلم يَغبْ عنّا إلا يَسيراً، وإذا به قد عاد إلينا وفي يده قلَم نُحاس مُذْهَبٌ، فقال لنا: وهذا مما أعددته للدفع مع هذه المِحبرة، وأُنسيت قبلُ ذِكرَهُ لكم، فتفضّلوا بإكمال الصنيعة، فبَدَرَ أيضاً أبو الطاهر وقال:

حَملتْ بـأَصفَـرَ من نِجَـارِ حُلِيِّهـا   تُخفيـهِ أحيانـاً وحينـاً يَـظهـرُ
خَـرْسانُ إلا حين يـرضَـعُ ثَـديهـا   فتـراه يَنْـطِقُ مـا يشـاءُ ويَـذْكـر

وحُكي لي أن أبا الطاهر هذا حَضَر مع جماعةٍ من أصحابه، فيهم أبو عبدالله ابن زرقون متنزِّهاً في بعض الأعوام، وفي عَقب شعبان منه. فلما تملَّأوا بالطعام، قال أبو الطاهر لابن زرقون: أجزْ يا أبا عبدالله، فقال:

حَمِـدْتُ لشعبـانَ المُبـاركِ شَبعـةً   تُسهِّل عندي الجُـوعَ في رمضانِ
كمـا حَمِـدَ الصَّبُّ المُتَيَّمُ زَورةً   تحمَّـل فيهـا الهجـرَ طُـولَ زمـان

(١) انظر النفح ٤: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

فقال أبو الطاهر:

دَعَــوْهــا بشَعبــانيّــة ولــو أنهم　　　دَعَــوْهــا بشَبْعــانيــة لشَفــاني[١]

وحدَّثني بهذه الحكاية شيخُنا أبو الربيع، وأنشدني الأبيات لابن زرقون، وقال: «أكلة» مكان «شبعة».

* * *

(١) النفح: لكفاني.

ـ ١٣ ـ
ابـــن ولاد

أبو بكر محمد بن وَلّاد[١] من أهل شَلْطيش[٢] بغرب الأندلس، ومن شعره:

نَطْوِي سُبوتاً وآحاداً ونَنْشرها ونحن في الطيّ بين السبتِ والأَحَدِ
فَعُدَّ ما شئتَ من سبتٍ ومن أحدٍ حتى تصيرَ مع المدخولِ في العددِ

وهذا كما قال أبو بكر ابن دريد في رثاء أبي جعفر الطبري:

ما زلتَ تكتبُ في التاريخ مجتهداً حتى رأيتُكَ في التاريخ مكتوبا

وكان لابن ولاد هذا حفيد صغير يتعلم في الكتاب فتغدَّى معه يوماً وقد خبر منه نبلاً وفطنةً، فسأله إجازة قوله:

أَكَلْنا الخبزَ مصبوغاً بزيتِ

فقال الصبيّ:

غذاءً نافعاً في وسط بيتِ

فقال ابن ولاد:

فلو شيءٌ يردُّ الميتَ حيّاً

فقال الصبي:

لكان الخبزُ يُحيي كلَّ مَيْتِ

---

(١) الوافي ٥: ١٧٦ والمقتضب: ٢٥.

(٢) شلطيش (Saltes) تقع على مقربة من لبلة (Niebla) وهي اليوم تابعة لمديرية ولبة (Huelva) (انظر تعريفاً بها في الموسوعة الإسلامية).

وله في علةٍ طاولته:

مـلَّني الـعـائـداتُ والـعـوَّادُ   وجفـاني الكـرى فَلَيْـلِي سُهـادُ
قـد أَلِفْتُ الفـراشَ حـولاً عليلاً   وبـكبْـدي مـن السَّـقـام كُبـاد
إنـمـا الـداءُ والـدواءُ مـن الـلّـه   وإن كـان لـلطبيـب اجتـهـاد

وله مما وُجد بخطّه بعد موته:

أرجوك يا ربِّ في سرِّي وفي عَلَني   إنَّ الـرجـاءَ إليـكَ اليـومَ يحملني
مَن ذا يؤنّسني في القبـر منفـرداً   إن لم تكنْ أنت يا مولاي تؤنسني
وسوف يضحك خلٌّ قد بكى جزعاً   بعدي ويسلو الذي قد كان يندبني
ذنبـي عظيمٌ ومنك العفوُ ذو عِظَمٍ   فكيف يـا ربِّ من عفـوٍ تُخيِّبني
سمَّيتَ نفسَكَ رحمانـاً فقد وَثِقَتْ   نفسي بـأنك يـا رحمانُ تـرحمني

* * *

— ١٤ —
التطيلـي الأصغـر

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التُّطَيلي ــ بضم التَّاء المثناة من فوق وفتح الطاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام وياء النسبة ــ الضرير[١]، نشأ بقرطبة وسكن إشبيلية، وكان يُعرف بالتطيلي الأصغر، واشتهر بالشعر بعد أبي العباس التطيلي الأعمى[٢] بزمان يسير، وهو القائل[٣] من قصيدةٍ، منها في عماه:

يَثْني إلى وطءٍ ما يغتاله قَدَماً ... يُهْوِي إلى لمسٍ ما يعدو عليه يدا
يمشي فتحسبُه يقضي الصلاةَ خطاً ... إذا استوى راكعاً من ركعةٍ سجدا
تهوي به قدماه صولَجَيْ لَعِبٍ ... تنزو السِّلامُ كراتٍ عنهما بددا
مخالطُ لبني الدنيا مفارِقُهُمْ ... قد غاب عنه من الأشياء ما شهدا
شمسُ الظهيرةِ[٤] أعشَتْ كوكَبَيْ بصري ... كذا سنا النجم في ضوءِ الضحى خَمَدا
إن نازَعَ الدهرُ في ثنتَيْنِ من عَدَدي ... فواحدٌ في ضلوعي يبهرُ العَدَدا
يَغنى عن الشُّهْبِ في أجفانه مُقَلاً ... مَن كانت الشمسُ في أضلاعه خَلدا
مَنْ طال خُلقاً نَفَى في خَلقه قِصَراً ... لا تَقْدُرِ الجِلْدَ منه وٱقدُرِ الجَلدا

(١) الوافي ٦ : ١٣٤ ونكت الهميان : ٩٠ والمقتضب : ٢٧ وعيون التواريخ.

(٢) أبو العباس أو أبو جعفر التطيلي : أحمد بن عبدالله بن هريرة، توفي سنة ٥٢٥، انظر ترجمته في الذخيرة ٢/٢ : ٧٢٨ ونكت الهميان : ١١٠ والمغرب ٢ : ٤٥١ والمسالك ١١ : ٣٨٩ والقلائد : ٢٧٣ والخريدة ٣ : ٥١١ وبغية الملتمس رقم : ٤٢٩ وأخبار وتراجم أندلسية : ١٦ ؛ وقد نشرت ديوانه وبعض موشحاته في بيروت ١٩٦٣.

(٣) منها أربعة أبيات في الوافي.

(٤) المقتضب : البصيرة.

لا يُدركُ الرمحُ شأوَ السهمِ في غَرَضٍ ولـو تسلسَلَ فيـه لَـدْنُـهُ مـددا
لم يكفِ أنّي غريبُ الشخصِ في نَفَري حتّى غدوتُ غريبَ الطبع متّحدا

ومنهـا:

إن تجفُ حمصُ[1] فتجفوغيرَ ذي رحمٍ تعصُّبـاً لبنيهـا فيـه إذ مجـدا
وغـاظها أن رأتْ إنجـابَ ضَرَّتهـا ومن رأى كـرمـاً في نـدِّهِ حقـدا
فـإن نمتني وليـداً دارُ قـرطبـةٍ وأنكـرتني وسنّي قـد وفى رشـدا
فَعُـذْرُهَـا أن أمَّ الليثِ تُـرْضِعُـهُ شِبْلاً وتمنعُ منـه دَرَّهـا أَسَـدا

وهـو القـائل[2]:

أتـاك الـعِـذارُ عـلى غِـرَّةٍ وقـد كنتَ في غَفلة فـانتَبِـهْ
وقـد كنتَ تـأبـى زكـاةَ الجمـالِ فصـار شُجـاعـاً وطُـوِّقتَ بـهْ[3]

ومن شعره[4]:

ومعـذَّرٍ رقَّتْ لـه خمـرُ الصِّبـا حيث العِـذارُ حبَابُهـا المترَقْـرِقُ
ديبـاجُ حُسنٍ كـان غُفـلاً نـاقصـاً فـأتمّـه عَلَمُ الشبـاب الـمـونقُ
وشكـا الجمـالُ مقيله فـي وَرْده فـأظلَّهُ آسُ العـذار الـمشـرقُ
عـامت بماء الفضـل شامـةُ خَـدِّهِ فغـدا العـذار زُوَيـرقـاً لا يغـرقُ
إن كـان يمحو نَقْشَـهُ مِنْ وَجْهِـهِ فَـطُلَى الغـزالِ بمسكهـا تَتَفلَّقُ

وله من قصيدة يصف رمحاً:

وأسمـرَ يَضْحَى في شُعاعِ سنـانِهِ وإن كان من خَفْقِ اللواءِ لفي ظلٍّ
حوى جُرأَةَ الأعرابِ من سُمْرَةِ القنا وحاز دهاءَ الروم من زُرْقَةِ النصل

---

(١) حمص هي إشبيلية، وشكواه منها تشبه شكوى التطيلي الأكبر أيضاً.
(٢) وردا في عيون التواريخ ١٢ : ٣٩٩.
(٣) الشجاع: الحية؛ وتصحف في عيون التواريخ إلى «فصار شجى تطوقت به».
(٤) وردت أربعة أبيات من هذه القطعة في عيون التواريخ (وهي التي أوردها الصفدي).

عـلا نَصْلُهُ للشهبِ فانحطَّ لَـدْنُـهُ ... إلى القُضْبِ عن فرعٍ يحنُّ إلى الأَصلِ
يقـدِّمُهُ بـأسُ الحديـد إلى الوغى ... فيعـطفُـهُ لينُ القضيبِ إلى الـدلِّ

ومنها يصف سيفاً:

وأبيضَ يحكي الموتَ فعلاً ودقـةً ... فلولا شعاعُ الصَّقْلِ لم يبدُ عَنْ نَصْلِ
يـذيبُ بماء الصقـلِ كلَّ مُفـاضةٍ ... فما تقعُ الغـربانُ إلا على مُهْـلِ
وقــد عجمت دودَ النـوائبِ نصلُهُ ... فعضَّتْ وما أَبْدَتْ سوى أَثَرِ النمل

وله يصف قلماً:

وأَعجمِ الصوتِ قد أَلقَتْ به العَرَبُ ... أقلُّ شيءٍ لديـه الشعرُ والخـطبُ
يَـزْهَى بيـانـاً إذا مـا شُقَّ مقـولُـهُ ... وإذ يقطُّ ففي إِفصـاحِـهِ العجبُ

* * *

ـ ١٥ ـ

ابـــن عطيـــة

أبو عبدالله محمد بن علي بن عطيةَ الكاتب[١]، رحمه الله، من أهل بلنسية، ويُعرف بـآبن الشواش. كـان أبرع أهـل عصره خـطّاً، والتنافسُ فيما يوجد من وراقته مُتصل إلى اليوم.

له يخاطب أبا الحسن ابن الزقّاق[٢] مُعترضاً ومختبراً[٣] من قصيدة طويلة:

يـا مُهـدِيـاً قِـطعـاً زانتْ مَعـانِيهَـا ألفـاظُهَـا زِينـةَ الأسـلاكِ للعُنقِ
عنـد آمتحانِ الفَتى تبـدو حقيقتُـه أصِدْقَ دعوى أتى أم قَوْلَ مُختلق
والطِّرْفُ ليست تُرى في القيدِ خِبرته حتى يَمُـرَّ مع الفُـرسان في طَلَق
وقـد بعثتُ بهـا غـرَّاء حـالِيـةً تَبغي جـوابَ معـانيهـا على نَسَق
فـإنْ تُجاوبْ على مـا قُلتُه فـأنـا أُقِـرّ أنَّـك مَعصـومٌ من السَّرق

وأولهـــا:

يا زائراً صدَّه عن مضجعي أَرقي والصُّبحُ يَفترُّ ثغراً في لمَى الغَسَقِ

* * *

(١) المقتضب: ٣٠، وأهمله الصفدي أو لعله سقط من النسخة التي اعتمدت في التحقيق؛ وانظر التكملة: ٤٤٥ وفيها «ويعرف بالشواش»، والذيل والتكملة ٦: ٤٥٦.

(٢) هو علي بن عـطية البلنسي الشـاعر (انـظر ترجمتـه في المغرب ٢: ٣٢٣ والتكملـة رقم: ١٨٤٤ والذيل والتكملة ٥: ٢٦٥ ومقدمة ديوانه، بيروت ١٩٦٤).

(٣) لعل الصواب: معرّضاً ومتنجزاً.

ـ ١٦ ـ

الاقليمـــي

أبو عبدالله محمد بن شَبيه ـ بالشين المعجمة المفتوحة والباء المكسورة بواحدة من أسفل بعدها ياء باثنتين ـ الاقليمي[(١)] الكاتب من إقليم غرناطة، ويلقَّب بالعقرب، وهو القائل يخاطب القاضي أبا محمد ابن سماك[(٢)]، وقد حمل عليه في قضية، فملح ما شاء، أفادني ذلك الحافظ أبو الربيع ابن سالم، وأنشدنيه عن أبي جعفر ابن حكم عنه:

لـلَّـهِ حيٌّ يـا أُمَـيْـمَ حَـواكِ ... وحمـائمٌ فوقَ الغصـونِ حَـواكِ[(٣)]
غَنَّيـنَ حتى خلتُهـنَّ عَـنَـيْـنَـنـي ... بـغنـائـهنَّ فنُحْتُ في مَـغْنـاكِ
أذكَـرْنني مـا كنتُ قـد أُنْسِيتُـهُ ... لقـديم هـذا الـدهـر من شكـواكِ
أشكُو الزمانَ إلى الزمانِ وَمَنْ شكا ... نَكَـدَ الزمـانِ إلى الـزمـانِ فشـاكِ
شكـوايَ بالقـاضي إليـه ومـا أرى ... في الجوِّ يشكو عقـرب بسماك[(٤)]
يـا آبنَ السماكِ المستقـلّ برمحـه ... والعُزْلُ ترهبُ ذا السلاحِ الشاكي
راعِ الجــوارَ فبيننـا في جـوّنـا ... حقُّ السُّرى والسيرِ في الأفـلاك
وابسطْ ليَ الخُلُقَ المشوبَ ببسطةٍ ... ظَـرْفَ الكـرامِ بعفَّــةِ النســاك
وأنـا أذكّـر لم يفتْ من لم يمتْ ... فـدراكِ ثـم دراكِ ثـم دراكِ

(١) الوافي ٣:١٤٧ (ولم يورد من قصيدته إلا الأبيات الأربعة الأولى وحذف مناسبة القصيدة) والمقتضب: ٣١.

(٢) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن سماك، ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٧ (انظر الذيل والتكملة ٦:٢٣٨ في ترجمة ابنه، وكذلك المرقبة العليا: ١٠٩).

(٣) حواك (الثانية) جمع حاكية، أي حمائم تسجع وتترنم.

(٤) في العقرب والسماك هنا تورية هي محور الأبيات.

ـ ١٧ ـ

ابن محارب

أبو محمد مُحارب بن محمد بن مُحارب[١]: من أهل وادي آش، له يمدح القاضي أبا الفضل عِياض بن موسى بن عياض أثناء مقامةٍ من إنشائه[٢]:

غَدا سَلِسَ القِيادِ فما يُراضُ ... وعَمَّ جَميعَ لِمّتهِ البَياضُ
وأضحى القلبُ لا تُصبيهِ هِندٌ ... ولا سَلْمَى ولا الحَدَقُ المِرَاضُ
ولَا يُشْجيهِ طِيبُ نَسيمِ نَجْدٍ ... ولا تُسليهِ بالزَّهَرِ الرِّياضُ[٣]
وإنْ غَنَّى الحَمامُ بِغُصْنِ أَيْكٍ ... فمِن عَضِّ الزَّمانِ به عِضَاض
وقائلةٍ أتكرعُ في ثِمادٍ ... وقد لاحتْ لرائدها[٤] الحِياض
إلى كم ذا تقولُ لكُلِّ خَطْبٍ ... مقالةَ من أَلَمَّ بها المَخاض
وتَنقبضُ آنقباضَ العَيِّ حتى ... أَضرَّ بكَ السُّكون[٥] وآلانقباض
وَوَجْدُ بني عِياضٍ بالمَعالي ... مَدَى الدُّنيا حديثٌ مُستفاض
إذا قُصِدُوا أثاروا الجُودَ بحراً[٦] ... وسالُوا بالمكارم ثم فاضوا
فقلتُ لها: ومَن منهم عِياذِي؟ ... فقالت: ذاك سيّدهم عِياض

---

(١) الوافي (نسخة تونس، الجزء: ٢٣ الورقة: ١٨٢) والمقتضب: ٣٢ وانظر التكملة: ٧٣٦.

(٢) وردت القصيدة في أزهار الرياض ٥: ٨٣.

(٣) سقط البيت من الوافي.

(٤) الوافي: لرائضها.

(٥) الوافي: الشكوك.

(٦) الوافي: البحر جوداً.

إمامٌ زانَهُ عِلْمٌ وحِلم[١] لـه بالخُطةِ العُليا آنتهاض
يُقارِضُ من أَساء بحُسْنِ صَبرٍ وأَمرُ الدِّينِ والدُّنيا قِراض
ففي الآداب جَدْولُ ماءِ مُزنٍ وفي الآراء بَحرٌ لا يُخاض
ويُبرمُ ما يَرومُ فليس يُخشَى على أمرٍ قد آبرمه آنتقاض
يَهيم بكُل مَعْلُوةٍ وفَضْلٍ كما قد هام بالعَلْيا مُضاض
ومَن تَعْلقْ حِبالَ بني عِياضٍ يداه فلا يُضامُ ولا يُهاض

قلت: أنشدني أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالعزيز الشاطبي صاحبنا بحضرة تونس قال: أنشدنا الإمام تقيّ الدين أبو عمرو ابن الصلاح[٢] لنفسه في «مشارق الأنوار» وكان لا يُغِبُّ مطالعته والاستفادةَ منه بعد قعوده لإسماع الحديث بالدار الأشرفية بدمشق[٣]:

مَشارقُ أنوارٍ تبدَّتْ بِسَبتةٍ وذا عجبٌ كونُ المَشارِقِ بالغَرْبِ

(وذكر الأبيات التي أولها: «ظلموا عياضاً...» ونسبها إلى عامر المالقي).

* * *

(١) الوافي: حلم وعلم.

(٢) هو تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ ـ ٦٤٣) أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه. انظر ترجمته في ذيل الروضتين: ١٧٥ ووفيات الأعيان ٣: ٢٤٣ ومرآة الزمان: ٧٥٧ وتذكرة الحفاظ: ١٤٣٠ وعبر الذهبي ٥: ٧٧ وطبقات السبكي ٥: ١٢٧ والشذرات ٥: ٢٢١ والأنس الجليل ٢: ٤٤٩؛ وفي رحلة ابن رشيد أخبار كثيرة عنه (انظر السنة الثالثة من مجلة العرب).

(٣) انظر أزهار الرياض ٤: ١٨٦، ٣٤٣.

— ١٨ —

الهـــواري

ميمون الهواري(١) من أهل قرطبة، وأحد القادمين من فقهائها ونبهائها مُرسية غزاةً مع الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين(٢)، والقاضي أبو الوليد ابن رشد(٣) فيهم ومدار أمرهم عليه، ومصرف حكمهم إليه، وكانوا قد نزلوا بظاهرها فلقيهم أبو محمد ابن أبي جعفر(٤) هنالك، ودار بينهم في مجتمعهم ذلك ما أفضى إلى التفضيل بين لا إله إلا الله وبين الحمد لله، فغلب أبو الوليد

---

(١) الوافي (نسخة أحمد الثالث، الجزء: ٢٦، الورقة: ١٦٤) والمقتضب: ٣٤ وانظر التكملة: ٧١٨.

(٢) ولاه أخوه علي بن يوسف غرناطة سنة ٥٠١ ثم حوله عنها سنة ٥٠٤ لتولي تلمسان ثم أعيد إلى غرناطة ومن بعد تولى إشبيلية وصرف عنها سنة ٥١٧. وعندما اجتاح ابن رذمير الأندلس سنة ٥٢٠ وقام ابن رشد الجد بالوفادة على أمير المسلمين علي بن يوسف يحدّثه عن ضرورة إجلاء المعاهدة لتآمرهم مع العدو، وينصحه ببناء الأسوار حول المدن الأندلسية، استدعي تميم إلى مراكش وأقام في المغرب حتى توفي.

(٣) ابن رشد الجد الفقيه المشهور، توفي سنة ٥٢٠ له ترجمة في الصلة: ٥٤٦ والغنية: ٥٤ وبغية الملتمس رقم: ٢٤ والديباج المذهب: ٢٧٨ والمرقبة العليا: ٩٨؛ وهو صاحب البيان والتحصيل، (صدر عن دار الغرب الإسلامي في ثمانية عشر مجلداً)، وله مجموعة من النوازل نشرت نماذج منها بمجلة الأبحاث، كانون الأول: ١٩٦٩.

(٤) اسمه عبدالله بن محمد بن عبدالله الخشني ويعرف بابن أبي جعفر ويكنى أبا محمد من أهل مرسية، كان حافظاً للفقه على مذهب مالك بصيراً بالفتوى مقدماً في الشورى عارفاً في التفسير معظماً في أهل بلده، توفي بمرسية سنة ٥٢٠ (الصلة: ٢٨٤).

الهيللة وأبـى أبو محمد إلا الحمدلة، فقال ميمون هذا يخاطبه زارياً عليه، وكتب بها إليه:

أَعِـدْ نـظراً فيمـا كتبتَ ولا تَكُنْ بغيـر سهـامٍ للنضـالِ منـازعـا[١]
فـدونـك تسليمَ العلومِ لأهلهـا وحسبُـكَ منهـا أنْ تكـونَ متـابعـا
أَخِلْتَ ابنَ رشدٍ كالـذين عهدتهمْ ومن دونـه تلقى الهزبرَ المدافعا[٢]

فقال أبو جعفر ابن وضاح[٣] يراجعه عن ابن أبـي جعفر:

لعمـركَ مـا نَبَّهْتَ منِّيَ نـائمـاً ودونَكَ فاسْمَعْهـا إذا كنتَ سامعـا
فلو سلمتْ تلك العلومُ لأهـلهـا لمـا كنتَ فيمـا تـدَّعيـه منـازعـا
ولـو ضمَّنا عنـدَ التنـاظـرِ مجلسٌ سقيناك منها السمَّ لا شكَّ ناقعـا

* * *

(١) المقتضب: مسارعا.
(٢) المقتضب: المواقعا.
(٣) انظر نفح الطيب ٢: ٦٠١.

- ١٩ -
ابـــن الجـــائزة

أبو زكريا يحيى بن الجائزة من أهل شريش[١]: له وقد استأذن على قاضي بلده، فحجب، وقيل هو جالس مع أبي الأصبغ ابن غراب الفقيه، فكتب إليه:

لَعَمْرُ أَبيكَ ما هذا صوابُ يكونُ وزيرَكَ الأَعلى الغرابُ
إذا نعب الغرابُ بدارِ قومٍ فيوشكُ أن يصاحبها الخراب

* * *

(١) عن المقتضب: ٣٥ وحده.

— ٢٠ —
ابن الأصبغ

أبو الحسين محمد بن عبيدالله بن الأصبغ القرشي المرواني(١): من أهل قرطبة وسكن شاطبة. أخبرنا به القاضي أبو سليمان ابن حوط الله(٢) إذناً قال أنشدني أبو جعفر أحمد بن يوسف بن عياد(٣)، قال أنشدني أبي، قال: أنشدني أبو عبدالله الشاطبي لنفسه؛ كذا قال ابن حوط الله، والصواب ما كتب قبل في نسبه وكتبته، ومن خط ابن عياد نقلت ذلك:

تثنَّتْ فاسترابَ الخيزرانُ ... وفاهتْ فاستذلَّ الأقحوانُ
وأبدت من تَثَنّيها فنوناً ... قلوبُ العاشقين لها مكان
وقالت لا يُبَاءُ بنا قتيلٌ ... وليس لخائفٍ عندي أمان
أرى رِضْوانَ ملتمساً محلّي ... كأنّ الأرضَ عاد بها الجنان
وقالت للغزالة حُسْنُ وجهي ... وثغري يُجتنَى منه الجمان
وقالت عبشميٌّ من قريشٍ ... ولا مال يعين ولا زمان

---

(١) الوافي ٤: ١٠ والمقتضب: ٣٦ (وفيه القرشي الزواتي، وهو خطأ واضح لقوله في الشعر «عبشمي من قريش».

(٢) هو أبو سليمان داود بن سليمان بن داود المعروف بابن حوط الله، من أهل أندة وسكن مالقة، ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء بلنسية أواخر سنة ٦٠٨، وتوفي بمالقة سنة ٦٢١ (التكملة: ٣١٦ — ٣١٨؛ وترجمة أبيه في التكملة رقم: ١٩٨٤ والذيل والتكملة ٤: ٦٨).

(٣) هو أحمد بن يوسف بن عبدالله بن سعيد من أهل المرية من عمل بلنسية ويعرف بابن عياد (بالباء الموحدة هنا في التكملة: ١٠٨ وهو بالمثناة في غير موطن) كان شيخاً صالحاً عارفاً بالرواة، وقد كتب عنه أبو سليمان ابن حوط الله قطعة شعر يرويها عن أبيه، وكانت وفاته سنة ٦١٥.

ـ ٢١ ـ
ابــن صبــرة

أبو مروان وليد بن إسماعيل بن صَبْرة الغافقي(١): من أهل رُوقة من عَمَل سَرَقُسطة بالثغر الشرقي، وكان فارساً أديباً ذا نظم ونثر، له يفخر، وكان القاضي أبو جعفر ابن عمر مُعجباً بشعره:

لَعمرُ أبيك الخير إنِّي لكاتبٌ   ولكنْ صُدُورُ الدَّارِعينِ القَراطِسُ
أخُطُّ بخَطِّيٍ وأشْكُلُ بالظُّبا   فيقرؤه الأُميُّ والليلُ دامس
لئن قالتِ الكُتَّابُ إنِّيَ كاتبٌ   لقد قالتِ الفُرسانُ إنِّيَ فارس

وسمعت أبا القاسم ابن حسّان الكَلبي بداره بإشبيلية يَحكي أن آبن صبرة هذا قَصد أبا القاسم بن قَسيّ(٢)، عند ثورته بغرب الأندلس، ومَرّ في طريقه بقومٍ أنكروه، وسمع بعضهم يقول من هذا؟ فقال يجاوبه بديهاً:

إني آمرؤ غافقيٌّ ليس لي حَسبٌ   إلا الأَقبُّ وعسَّالٌ ونَصَّالُ(٣)
من آلِ صَبْرة قِدْماً قد سمعتَ بهم   سُحبٌ إذا سُئِلُوا أُسْدٌ إذا صالوا

وأنشدنا الحافظ أبو الربيع ابن سالم، وكتبتُه من خطه، قال: أنشدنا أبو عبدالله محمد بن علي بن قابل، قال: أنشدنا وليد بن سبرة لنفسه، مما يُكتب في قَوس:

---

(١) عن المقتضب: ٣٧.
(٢) أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي: كان أول ثائر بالأندلس حين سقوط المرابطين وتسمى ثورته ثورة المريدين إذ كان من مشايخ الصوفية، وهو صاحب كتاب «خلع النعلين» (انظر خبر ثورته في أعمال الاعلام: ٢٤٨ ـ ٢٥٢).
(٣) الأقب فرسه، والعسال رمحه، والنصال سيفه.

تـألّفتُ من عَـظمٍ وعُــودٍ كـأنّني هـلالٌ وعنـد النَّـزعِ بَـدرُ تَمــامِ
فَبِي تُـدْرَكُ الأَرْوَاحُ يومَ كـريهـةٍ إذا بَعُــدت عن ذابــلٍ وحســام
وإن رَدّ عن رُوحٍ حُساماً وذابـلاً دِلاصٌ فمـا تَسـطيـع رَدَّ سِهـامي
كَأَنَّ سهامِي لَحْظُ عَفراءَ في الوَغى وكُــلُّ كَـمِـيٍّ عُــروةُ بـن حِــزام

وهو «ابن سبرة» بالسين بخط أبـي الربيع، ونقلته عن آبن حيان بالصاد، وهكذا يوجد بخطه.

وله رَدٌّ على آبن غَرْسية[1].

ولم أقف على تـاريخ وفـاته، ولا على وفـاة المذكـورين قبله إلى أبـي القاسم ابن ورد[2]، فإن قدّمتُ وأخرتُ فعن غير قصد.

* * *

(١) أبو عامر أحمد بن غرسية، أصله من أبناء نصارى البشكنس، وله رسالة في الشعوبية يذم فيها العرب، وقد ردّ عليه عدد من أدباء الأندلس. انظر الذخيرة ٣: ٧٠٥ وما بعدها ونوادر المخطوطات (الجزء الأول) وقد ترجم رسالته والردود عليها الأستاذ جيمس منرو (كاليفورنيا ١٩٧٠).

(٢) قد مرت ترجمته برقم: ١١.

ـ ٢٢ ـ
خـــزرون

أبو المجد خزرون البربري[١]: من أهل إشبيلية؛ له من قصيدة في يحيى بن الحاج من أمراء الملثّمين:

هذا النسيمُ يَهزُّ من زهـرِ الرُّبـى فَمُرِ الحمامـةَ يا غضـا أن تَنْدُبَـا
أبـكى أُوار البَـــرقِ مُقـلةَ دِيمَـةٍ فـاستضحكَتْ ثَغْرَ الأقـاحةِ أشنبـا

منهـــا:

فَـوّارَةٌ كـالـسّـابـريـةِ نَـشْـرةً سَحَّتْ مكـانَ السَّمهَـرِيَّـةِ مِـذْنَبـا
قـالوا هي المِـرآةُ أُخلِصَ صَقْلُهـا ولَـربّمـا صَـدِئَتْ فكـانَ الـطُّحلُبَـا
وإلى الخميلَةِ حيثُ ألقت زَوْرهـا أحـوى أظـلَّ صِــوارَهُ والـرَّبــربـا

وكتبَ في يوم طلٍّ إلى أَحد الملثمين ـ وقد مطله بما وصله به وكيلٌ له يعرف بفلُّوس:

يـا مشبـهَ البـومِ إلا في تجهُّمِـهِ أنت المليُّ وَجَدّي في المفاليس
أنـا العقابُ تَـدَلَّتْ من شواهقهـا فكيف تُمْسِـكُ رزقي كفُّ فلّوس

ولـــه:

مَضَى يتلفَّـتُ السّـحـرَ الحـلالا ويـأنـفُ أن يقـولَ رَنـا غـزالا
وفـي خَـطواتـه نَـشَـواتُ تِيـهٍ تـعـربـدُ فـي معـاطِفِـهِ دَلالا
بَـذلتُ لـه الهـوى فنأى مِـراراً وبـاعَـدتُ الكَـرى فـدنـا خيـالا

---

(١) الوافي ١٣: ٣٠٨ ـ ٣٠٩ والمقتضب: ٣٩.

وَدونَ الأَجــرَعَـيْـنِ مَقيــلُ خِشْفٍ تَــوخَّى الــظِّلَّ والشَّـبِمَ الــزُّلالا
يُـنــاغِمُ ظَـبـيــةً مُـلِـئـتْ حــذاراً فتحسبُ كــلَّ مـا وَطِئت حِبــالا

* * *

ـ ٢٣ ـ

ابن سلام المعافري

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن سلام المعافري(١): من أهل شاطبة، هو خال شيخنا الحافظ أبي عمرو بن عات، توفي في حدود الخمسين وخمسمائة.

له في الثلج(٢):

ولم أَرَ مثلَ الثلج في حُسْنِ منظرٍ ... تَقَـرَّ بـه عَيْنٌ وتشنَـؤُهُ(٣) النفسُ
فنـارٌ بلا نـور يضيء لـه(٤) سنـاً ... وقـطرٌ بـلا مـاءٍ يقلّبـه اللمس
وأصبح ثغرُ الأرضِ يفترُّ ضاحكاً ... فقد ذاب خوفاً أن تقبّله الشمس(٥)

وله ارتجالاً في وسيم مرَّ به:

بنفسي وإن ضنَّ الحبيبُ بنفسـه ... ولم يُبْقِ بعضي للفراق على بعضِ
رمى مقتلي واعتـلَّ لي بجفـونـهِ ... وقد رنَّقَتْ في عينه سِنَةُ الغمض
وأبـدى له الإعـراضُ ليتـاً مـورَّداً ... فَأَبصرتُ غُصْنَ الوردِ في السوسنِ الغض

---

(١) الوافي ٦: ٢١٤ والمقتضب: ٤٠ وانظر التكملة: ٥٩ والذيل والتكملة ١: ٣٣ ومعجم أصحاب الصدفي: ٣٩؛ وضبط ابن عبدالملك «سلام» بتشديد اللام؛ وقد أخذ أبو جعفر العربية عن أبيه وروى عن أبي علي الصدفي، وكان سريع البديهة متوقد الخاطر، شديد الانقباض، قانعاً في معيشته بما يستفيده من ضيعة ورثها عن أبيه.

(٢) وردت في الوافي والمقتضب ومنها الأولان في الذيل ١: ٣٤.

(٣) الذيل: وتشنعه.

(٤) الوافي: لنا.

(٥) أورد ابن عبدالملك بيتاً لم يرد هنا وهو:

ترى الأرضَ منه في مثالِ زجاجةٍ ... كـأن كؤوسَ الماء يجمعها كـأسُ

ـ ٢٤ ـ

ابــن جحــاف

أبو محمد عبدُاللَّـهِ بن عُبَيْدالرَّحمن بن جَحَّاف المَعَافِري[١] من أهل بلنسية. من أَرْباب البُيُوت القَدِيمة فيها والنَّبَاهَة، وأبوه مسمًى على التصغير وهو والذي قبله مذكوران في «التكملة». توفّي في صفر سنةَ إحدى وخمسين وخمسمائة، ومن شعره ورواه أبو عمر ابن عياد عنه:

هُنَّ البُدور على الغُصون المُيَّسِ　　طَلَعَتْ فكان مَقَامُها في الأَنْفُسِ
يَـرْفُلْنَ في حُلَلِ الحَـريـر تَـأَوُّداً　　وقـد انتَقَبْنَ بَـراقِعـاً مِنْ سُنْـدُسِ
وإذا مَرَرْنَ أَثَرْنَ ما بـي من هوًى　　يا حُسْنَهنَّ وحُسنَ ذاك الملبسِ[٢]

ومنـــه:

يـا أَيُّـهـا الـقَـمَـرُ الـذي　　قَـدْ صِـرْتُ فيـه كـالـسُّـهَى
أَدَمـي بـخَـدِّك أمْ جَـرَى　　مـاءُ الـعَقِيـقِ عـلى الـمَـهَـا[٣]
خُـذْ مُـهْجَـتِي وهَـبِ الـرِّضَى　　واجْـعَـلْهُـمـا هـاءً وهـا

* * *

(١) الـوافي ١٧: ٢٤٩ والمقتضـب: ٤١ وانظـر التكملة: ٨٣٤، وورد اسم أبيـه فيها «عبدالرحمن» مكبّراً.
(٢) الوافي: المجلس.
(٣) المها: البلور.

ـ ٢٥ ـ
ابـــن قزمـــان

محمد بن عيسى بن عبدالملك بن قُزمان القرطبي[١] المتفرّد بإبداع الزجل، وتوفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة والأمير أبو عبدالله محمد بن سعد[٢] إذ ذاك محاصر قرطبة؛ فمن قوله[٣]:

يـــا رُبَّ يـــومٍ زارنـي فيــه مَـن أطــلعَ مـــن غُــرَّتِــهِ كــوكــبــا
ذو شـفــةٍ لـمـيــاءَ مـعــســولــةٍ ينشــعُ من خـدّيــه مــاءُ الصِبَــا
قـلتُ لــه هَبْ لـي بـهـا قُبـلةً فـقــال لي مـبـتـسـمـاً مــرحـبـا
فــذقـتُ شيئـاً لـم أذقْ مـثـلَهُ لــلَّـهِ مــا أحـلَى ومــا أعــذبــا
أســعــدنــي الــلَّـهُ بـــإســعــاده يــا شقـوتي يـا شقـوتي لـو أَبَـى

ومن شعره[٤]:

كـثيــر الـمــال تبــذلُــهُ فـيفـنَـى وقــد يَبْقَـى من الـذكـرِ القليــلُ

---

(١) الوافي ٤: ٣٠٠ والمقتضب: ٤٢ وانظر المغرب ١: ١٠٠ والإحاطة ٢: ٤٩٤ (وخلط بينه وبين عمه الذي ترجم له الفتح بن خاقان في القلائد، وكذلك حدث هذا الخلط في مصادر أخرى). وقد لقي ابن قزمان الزجال عناية هامة وخاصة من المستشرقين، وصدرت عنه بحوث كثيرة، وصوّر ديوانه أولاً، ثم حاول قراءته نكل، وأخيراً أصدره غرسيه غومس في ثلاثة مجلدات، كما قرأه كورينطي، وتعدّ محاولته خير محاولة في هذا الصدد.

(٢) محمد بن سعد بن مردنيش الثائر على الموحدين، وملك شرق الأندلس مدة واستولى على جيان وغيرها وما زال في حرب معهم حتى مات سنة ٥٦٧. انظر أعمال الاعلام: ٢٠٤، ٢٩٩ وتاريخ ابن خلدون ٤: ١٦٦.

(٣) وردت الأبيات في الإحاطة ٢: ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ونفح الطيب ٤: ٢٤.

(٤) انظر الإحاطة: ٤٩٧ ونفح الطيب ٤: ٢٩٧.

ومَن غـرستْ يـداه ثمـارَ جُـودٍ ... فـفي ظـلِّ الـثنـاءِ لـه مـقيـلُ

ومنـه[١]:

يمسـكُ الـفـارسُ رمحـاً بيـدٍ ... وأنـا أُمْسِـكُ فـيهـا قَـصَـبَـهْ
فـكِـلاَنـا بَـطَلٌ فـي حـربـه ... إنَّ الأقـلامَ رمـاحُ الـكـتَـبَـهْ

ومنـه[٢]:

وعهـدي بـالشبـاب وحُسْنُ قـدّي ... حكى أَلِفَ ابنِ مُقلَةَ في الكتَابِ
وقـد أصبحتُ مُنحنيـاً كـأنّي ... أُفَتِّشُ في التـرابِ على شبابـي

وقال يعتذر ارتجالاً[٣]:

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقُهُ ... ما مِلتُ لكنَّني مالتْ بيَ الـراحُ
فـإن أكنْ مُـطفِئـاً مصبـاحَ بيتكمُ ... فكلّ مَن فيكمُ في البيتِ مصباحُ

ولـه:

خـلِيـليَّ مـا لـي بـالـتـجـلد حـيـلة

الأبيات المشهورة.

ومن أزجالِ ابن قزمان[٤]:

أُفـني زمـانـي عـلى اختـيـاري ... ونـقـطع الـعـمـر بـاجـتـهـاد
لم يحـلُ حسّ الطَّـرَبْ بـداري ... حـتـى يـمـيـلْ راسِ لـلوسـاد
واجِـدْ مـؤذّنْ سـكـنْ جـواري ... شـيـخ مـلـيـحْ ازهـد الـعـبـاد

---

(١) ورد البيتان في الريحان والريعان، الجزء الأول، الورقة: ١٢٧ ب والإحـاطة: ٤٩٧.
(٢) البيتان في الإحاطة: ٤٩٧ والنفح ٤: ٢٤.
(٣) البيتان في الإحاطة ٢: ٤٩٦ وسرور النفس: ٤٠٠ (ف: ١٢٠٨) والغزولي ١: ٨٩ وحلبة الكميت: ١٨٤.
(٤) لست أقطع أن هذا مما أورده ابن الأبار في تحفة القادم فلعله لم يكن يرى إدراج الزجل في «الكتب المجلدة المخلدة»؛ وهذا الزجل على نسق الموشّح.

إذا طلعْ في السحرْ يَعِظْني يقـول حـيَّ على الفــلاحْ
يبـدّل العـودْ سمـاعَ أُذْني حـيَّ على العشق للملاحْ

نـهـارِ أم لـيـلِ كـانْ مـودّي لم نخـل من شُـربِ أو مجـونْ
لـمّـا يكـون الحبيب عـنـدي ليس نعـرف النـوم ايش يكـونْ
وآنـا هو شيـخ الخلاعَـه وحـدي نـسـهَـرْ إذا نـامـت الـعـيـونْ

وليلة الهجـر تـفتـقِـدْني إذا طلعْ [كوكب] الصباحْ
لا شكَّ بين الغصونْ تَجِذْني نـعلّم الـقُمـرِي الـنـواحْ

لأيْ سَبَبْ قُـلّيَ آنتَ غـضبـانْ ايش أخبـروكْ عنّـي من قـبيـحْ
أكثَـرْ نحبَّـكْ من كـلِّ إنسـانْ ونـكـتـم الـسـرّ مـا نـبـيـحْ
إيّـاكَ أن تـبـتـلى بـهـجـرانْ تـذوق مـا ذقـتُ يـا مـليـحْ

من الجفا والصدودْ أَجِرْني فقـال: مَن يعشق الملاحْ
يكـونْ أخـا ذلّـةٍ وحُـزْنِ فقلت: زدني فـلا بـراحْ

* * *

ـ ٢٦ ـ

ابن سيد الجراوي

أبو العباس أحمد بن الحسن بن سيد الجُراوي[(١)] ـ بالجيم والراء وبعدها ألف وواو ـ الأستاذ من أهل مالقة وليس باللص[(٢)] وإنّما توافقا في الاسم والكنية والنسبة، ذاك من أهل إشبيلية وهو كنانيّ النسب، وكلاهما أقرأ الأدب والعربية، تقدمت وفاة المالقي منهما، وغلط أبو بحر صفوان بن إدريس في كنية الإشبيلي منهما عند ذكره في كتاب «زاد المسافر» وقد ذكرتُهما جميعاً في كتاب «التكملة». ومن قوله[(٣)]:

وبينَ ضلوعي للصبابةِ لوعةٌ بحُكْمِ الهوى تقضي عليَّ ولا أَقضي
جَنى ناظري منها على القلبِ ما جنى فيا مَن رأى بعضاً يعين على بعضِ

وأورد له أيضاً:

لمّا رأيتُك عينَ الزمانِ وأنَّ إليكَ تُحَثُّ الخطا

---

(١) الوافي ٦: ٣٠٧ والمقتضب: ٤٤ وانظر التكملة: ٦٩ والذيل والتكملة: ١: ٩٢ وبغية الوعاة ١: ٣٠٢؛ وكان من كبار النحاة في عصره أخذ عن ابن الطراوة وغيره، ونالته وحشة من قبل القاضي أبي محمد ابن أحمد الوحيدي اضطرته لمفارقة مالقة والذهاب إلى قرطبة، ثم خاطب الوحيدي واستلان جانبه فأذن له بالعودة، فعاد، حتى إذا ولي خطة القضاء أبو الحكم الحسين بن الحسين الكلبي المعروف بابن حسون، حظي لديه، ولما نكل ببني حسون ذهب إلى مراكش، فاستخلصه عبدالمؤمن الموحدي لتأديب أبنائه، وظل هنالك حتى توفي في مراكش بعد الستين وخمسمائة بيسير.

(٢) اللص هو أحمد بن علي بن محمد بن عبدالملك، أبو العباس الإشبيلي، وكانت وفاته سنة ٥٧٧ أو التي بعدها (انظر التكملة: ٨٠ وزاد المسافر: ٩٤ وصفحات متفرقة من نفح الطيب والمغرب ١: ٢٥٢).

(٣) البيتان في التكملة والذيل والتكملة والنفح ٤: ٢٤.

بكــرتُ إليــك بـكــورَ الغــرابِ ورُحْــتُ عـليــك رواحَ الـقَـطا

هكذا أُنشِدَ الأول على الخَرْم وعيوب الشعر الجائزة للعرب لا تجوز للمُحدَثين ومَن احتجّ بهم عندي ليس بمصيب، على أنّه قد وقع في شعر حبيب:

هُــنَّ عــوادي يــوســفٍ وصــواحــبُــهْ[١]

وقرأتُ لعباس بن ناصح الأندلسي[٢] في ديوان شعره:

إنّــك بــالــصــبــر لا تُــوبَــنُ وفـي الـجَـزَع الـخـلقُ الأشْيَنُ

ووافقهما أبو الطيب في قوله[٣]:

لا يُحــزِن اللّـه الأميــرَ فــإنني لآخــذُ مـن حــالاتِــهِ بنـصـيـبِ

وحسبنا اليوم القبول، إذا نقّحنا وجوّدنا ما نقول.

ولابن سيد المالقي ما قاله في جريح بسهم:

حَسَدَتْكَ نُشّـابُ القسيِّ لأنْ رأتْ عينيك أمضَى في الإصابةِ مقصدا

فجنَتْ عليـك ويا لهـا ممّا جَنَتْ لهفي عليك فكَم خشيتُ الحُسَّدا

* * *

(١) عجزه: فعزماً فقدماً أدرك النجح طالبه (انظر ديوانه ١:٢٢٣).

(٢) عباس بن ناصح الجزيري أبو العلاء من قدامى شعراء الأندلس، ترجمت له في الشعراء الذين ذكرهم الكتاني في كتاب التشبيهات، ص: ٢٩٤ (الطبعة الثانية)، وذكرت أهم المصادر التي أوردت أخباره وأشعاره.

(٣) ديوانه: ٣١٥.

ـ ٢٧ ـ
ابـــن سكـــن

أبو بكر ابن سَكَن[١]: من أهلِ شِلْب، لم أقف على آسمه؛ له من قصيدة يمدح:

أخجلتَ الشمسَ لـدى الحَمَـلِ وَسَمَـتْ قَـدمـاك عـلى زُحَـلِ
وكـسفـتَ الشُّـهْـبَ بـنيِّـرةٍ مـن شُهْبٍ ظُباً بـذُرى الأَسـلِ
أحـرقـتَ عُـداتَـكَ إذ مَـردوا من لَمـعِ شِفـارِكَ بـالشُّعَـلِ
سجـدتْ في الأَرضِ رُءوسـهمُ بـظُبـا الأسيـافِ على عجـلِ
لـزمـوا تـقبيـلَ الأَثْـلَبِ إذ أَخْلَوْا يُمنـاك من القُبَـلِ
كُـحِلَتْ بـمَـراوِدِ سُمْـركـمُ حَـلَقُ المـاذيَّـةِ كـالمـقَـلِ
وجـنـتْ راحـاتُ بـنُودِكُـمُ لـحَفـيـظتكـم ثَـمَـر الـقُلَلِ
قَـبضت بـأنـامـلَ من عَـذَبٍ وسَـطَتْ بشَبـا ظُفُـرٍ عَصِـلِ

ولا أحسن إشارة، ولا أبين عبارة، لمن أراد الكلام على هذه العروض من قول شيخنا أبي الحسن علي بن محمد بن حريق[٢] في قصيدة فريدة أنشدنيها وقرأتها عليه، وكان ممدوحه[٣] بها قد قال له، لما علم أنه

(١) الوافي ١٠: ٢٣٢ والمقتضب: ٤٥ وعيون التواريخ ١٢: ٤٠٣ وتحفة العروس: ١٤٨ ومعاهد التنصيص ٤: ١٩٩.

(٢) من شعراء زاد المسافر، وكانت وفاته سنة ٦٢٢ (انظر الزاد: ٦٤ والتكملة رقم: ١٨٩٥ وصلة الصلة: ١٢٩ والذيل والتكملة ٥: ٢٧٥ والمغرب ٢: ٣١٨ ورايات المبرزين: ٨٦ وفوات الوفيات ٣: ٦٤).

(٣) هو السيد أبو عمران بن أبي عبدالله بن أبي يعقوب بن عبدالمؤمن، وإنما حثه على ذلك لأنه شهر عنه تجنبه للخبب.

ما آستعمل في ذلك مِقْوَلَه(١):

خُـذ في الأشعـار على الخَبَب ... فـقصُـورك عـنـه من الـعَـجِـب
هـذا وبـنُـو الآداب قـضَـوْا ... لـك بـالـعَلْيـاءِ مـن الـرُّتـب

فقـال(٢):

أَبُـعَيْـدَ الـشَّيـبِ هـوًى وصِبَـا ... كـلا لا لـهـوَ ولا لَـعـبَـا

ومنهـا:

ذَرَتِ الـسِّتـون بُـرادَتـهـا ... في مِسْكِ عِذارِك فـآشتهبَا
فـخُذنْ في شُكرِ الكَبـرةِ ما ... جـاءَ الإصبـاحُ ومـا ذَهَبـا
فيهـا أحـرزت مَعـارف مـا ... أبـليتَ لـجـدَّتـه الحِـقَبـا
والخمـرُ إذا عَتِقت وُصفت ... أغلى ثمـنـاً منهـا عِنَبـا
وبقيّـة عُـمـرِ المـرءِ لـه ... إن كـان بهـا طَبّـاً دَرِبـا
يَـبـنـي فـيـهـا بـإنـابـتـه ... مـا هـدَّمـه أيـامَ صِبـا
ويُنبِّـه عَين تُـقًى هَـجعـت ... ويُعَمِّـر بيتَ حِجىً خَـربـا
ويُحبِّـر فيهـا الشِّعـر على ... وزنٍ هَـزِج يُـدْعَى الخَببـا
وَحْشٍ في العُـرب منـازِلُـهُ ... مَجهـولِ الأَصْلِ إذا نُسبا
سَهـلِ التقـطيـع ولكنْ لم ... يُنْطِقْ بـاريـكَ بـه العَربـا
نَكِـرتْـه فلم يَضـربْ وَتِـداً ... في الحيِّ ولم يَمـدُد سَببـا

وقلت أنا من قصيدة أمدح فيها الأمير أبا زكريا(٣):

---

(١) البيتان في الذيل والتكملة ٥: ٢٧٦.

(٢) الأول في الذيل والتكملة ٥: ٢٧٦.

(٣) هو الأمير الحفصي أبو زكريا بن أبي محمد عبدالواحد بن الشيخ أبي حفص، بويع في أفريقية سنة ٦٢٦ واستولى على مناطق من المغرب وبايعته اشبيلية والمرية وطريف وسبتة، وكان ملكاً جزلاً عاقلاً، وأيامه أيام رخاء، وله شعر مدون، وحكم ٢٢ سنة وتوفي بظاهر بونة سنة ٦٤٧ (الفارسية ١٠٨ ــ ١١٤).
وهذه الأبيات من قصيدة طويلة لابن الأبار، انظر ديوانه: ١٥٦.

قامتْ بالحقِّ خلافتُه يتقلَّدُهُ ويُقلِّدُهُ
وأتى والدينُ إلى تَلَفٍ فتَلافَى الدينَ يُجدِّده
ما أَوقده العُدوان غدا يُطفيه العدلُ ويُخمده
وكأنّ عِداه وصارمَه ليلٌ والصبحُ يُبدِّده
قُبضتْ أيدي الكُفَّارِ به لما بُسطت فيهم يدُه

ولابن سكن في حَبّ المُلوك وأحسنَ ما شاء[1]:

ودَوحٍ تَهَدَّلَ أغصانُهُ رَعى الطَّرفُ من حُسنه ما آشتَهى
فما آحمرَّ منه فُصوصُ العقيقِ وما آسودَّ منه عُيونُ المَها

وقد قال [فيه] أبو عمر أحمد بن عبدالله بن حربون[2]، وأهداه:

خذوا باكورةَ الثمرِ الغريبِ تُحدِّثكم عن الألمى الشنيبِ
وما حَبُّ الملوك بعثتُ لكنْ بعثتُ إليكُمُ حَبّ القلوب

وحكى[3] بعض الأدباء أن ابن سكن هذا كان بمجلس أُنس على نهر شِلْب بالجسر بحيث ينصبُّ النهر السلسال في البحر العجَّاج، وينساب العذب الزلال في الملح الأُجاج، وقد تعرَّضَتْ هناك إحدى الجواري لجواز الجسر، وذكَّرته عيونَ المها بين الرُّصافةِ والجسر، فلما بَصُرَتْ به رجعت عن وجهها، وسترت ما ظهر من محاسن وجهها، فقال:

وعقيلةٍ لاحتْ بشاطىءِ نهرها كالشمسِ طالعةً لدى آفاقِها
فكأنها بلقيسُ وافت صَرْحَها لو أنها كشفتْ لنا عن ساقها

---

(١) وردت القطعة في عيون التواريخ.

(٢) من شعراء زاد المسافر: ١٣١، وله شعر كثير في البيان المغرب وفي المن بالإمامة، أما بيتاه الواردان هنا فهما في عيون التواريخ.

(٣) أورد الكتبي هذه الحكاية ومعها بيتان من شعر ابن سكن وبيت المنخَّل، وهو يتابع الصفدي في ذلك.

[حـوريـةٌ قـمـريـةٌ بـدويّـةٌ ليس الجفا والصدُّ من أخلاقها][(١)]

ثم لقي أبا بكر ابن المُنَخَّل[(٢)] فأنشده الأبيات فقال في ذلك:

مـا ضرَّهـا وهي الجمـالُ بـأسـرِهِ لـو أنّهـا زُفَّت إلـى عُشَّـاقـهـا

* * *

(١) زيادة من تحفة العروس، وهو ينقل عن ابن الأبار.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن عبدالله أبو بكر، شلبـي يعرف بابن المنخل كان شاعراً حسن الخط، توفي في حدود ٥٦٠ (وستأتي ترجمة ابنه رقم: ٣٨).

— ٢٨ —

ابن الشوّاش المغربيّ

أبو الوليد إسماعيل بن عمر الأستاذ المعروف بالشوّاش[١] ـ بشينين معجمتين والواو مشدّدة بعدها ألف ـ من أهل شِلْب، وفي طبقة أبي بكر ابن المنخل وأبي عمر ابن حربون، وكان من القادمين من أهل بلده على سلا مهنّئين بالبيعة المنعقدة ليلة العاشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[٢]. ومن شعره في بيعة الأمير محمد بمراكش سنة سبع وأربعين وخمسمائة[٣]:

أهاب به داعي الحياةِ مثوِّبا ... فبادره واستنجد الريحَ مركبا
وأزمع يقتادُ الهوى في مراده ... وينحو سحابَ الخير حيث تسحّبا
بحيثُ غمامُ السعدِ ينشأُ حافلاً ... فيَهْمُلُ دفّاقاً وينهلُّ صيِّبا
وتنبعث الأنوارُ من مَطلع الرضى ... فتوضِحُ للحيران نهجاً ومذهبا

منها:

أقول لِوَفْد الخيرِ إذ جَدَّ جِدُّهم ... وقد جُشِّموا الأهواءَ شأواً مغرِّبا
وشرّفهم قصدُ الإمام فجرّروا ... على عاتقِ الجوزاءِ ذيلاً مسحَّبا:
هُدًى لمطاياكم فإنّ سبيلها ... أبرُّ سبيلٍ مقصداً وتطلُّبا

---

(١) الوافي ٩: ١٨١ والمقتضب: ٤٨ وانظر البيان المغرب ٣: ٦٢، حيث أورد له قصيدة يهنىء فيها أبا يعقوب بالعودة إلى مراكش سنة ٥٦٠.

(٢) هي البيعة التي تمت بعد وفاة عبدالمؤمن لابنه أبي يعقوب يوسف.

(٣) كان عبدالمؤمن قد بايع من بعده لابنه الأكبر محمد، ولكنه اضطر إلى خلعه لاستهتاره بشرب الخمر وشيوع ذلك عنه بين رجالات الموحدين.

سيبدو لكم عن سيركمْ عَلَمُ الهدى ويـوري لكم زَنْـدُ السعـادةِ مثقبـا

منهـــا:

أرى جبلاً من رحمة اللّـه خاشعاً يخفُّ لـه رَضْوَى إذا عقَـد الحُبا
تصوَّرَ شخصاً رُكِّب البأسُ والندى صـــريحين فيـه للعــلا فتــركّبـا
فلولا نـــدًى في راحتيــه تـلهّبــا ولـولا استعارُ البـأس فيه تسـرّبـا

* * *

ــ ٢٩ ــ
ابـن الصقـر

أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي[١]، أصله من سرقسطة، انتقل جد أبيه منها فسكن بلنسية وولد بها أبوه عبدالرحمن وولد أبو العباس هذا بالمريّة في آخر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وكان من أكابر الطلبة، وولي القضاء بإشبيلية وتوفي بمراكش في جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة، وهو القائل[٢]:

لـلَّـهِ إخـوانٌ تَـنـاءتْ دارهُـم حفظوا الودادَ على النوى أو خانوا
يُهـدي لنـا طيبَ الثنـاءِ ودادُهُمْ كـالندِّ يُهـدي الطيبَ وهـو دخان

وله في الحضّ على السياسة والمداراة[٣]:

أَرضِ العـدوَّ بظاهـرٍ متصنّـعٍ إن كنت مضـطراً إلى استرضـائِـهِ
كمْ من فَتًى أَلْقى بـوجـهٍ بـاسمٍ وجـوانحي تنقـدُّ من بغضـائـهِ

* * *

---

(١) الوافي ٧: ٤٧ والمقتضب: ٤٩ وانظر التكملة: ٧٦ والذيل والتكملة ١: ٢٢٣ (وأطال في ترجمته) والإحاطة ١: ١٨٩ ــ ١٩٣ والديباج: ٤٨ والاعلام بمن حل مراكش وأغمات ١: ٢٢٧.

(٢) وردا في النفح ٣: ٣٣٣.

(٣) وردا في التكملة والذيل والتكملة ١: ٢٣٠ ونفح الطيب ٤: ٣١٩.

ـ ٣٠ ـ
ابن أبـي رَوْح

أبـو محمد عبـدُالله بن محمّد بن أبـي رَوْح[١]، من أَهْـل الجَزيـرة الخَضْراء، ورَحَلَ عنها إلى المَشْرق سنةَ سبعين وخمسمائة أو نحوَها ولـم يَعُدْ إليها، فقال يَتَشَوَّقُها[٢] أنشدني ذلك له الأستاذ أبو عبدالله ابن هشام وغيره:

أُعَلِّلُ يـا خَضْـرَاءُ نَفْسيَ بـالمُنَى ... وأَقْنَـعُ إنْ هَبَّتْ ريـاحُـكِ بـالشَّمِّ
إذا غِبْتِ عن عَيْني يغيبُ مَنـامُها ... وكيف يَنَامُ الليلَ ذو الوَجْدِ والهَمِّ
تذكَّرتُ مَنْ فيها ففاضتْ مَدامعي ... فللَّـهِ مَنْ فيهـا من الخالِ والعَمِّ
أَحِنُّ إلى الخَضْرَاءِ من كلِّ مَوْطِنٍ ... حَنِيـنَ مَشُـوقٍ لـلعِنَـاقِ ولـلضَّمِّ
ومـا ذاك إلّا أنَّ جِسْمي رَضيعُها ... ولا بُدَّ مِنْ شوقِ الرَّضيع إلى الأُمِّ

ولـــه:

إذا بلغتَ الحمى أو واديَ العَسَلِ[٣] ... فقفْ قليـلاً به يـا حاديَ الإبـلِ
وقـلْ لقـاتلتي ظلمـاً بـلا قَـوَدٍ ... هـلا رحمتِ قتيلَ الأعينِ النجـل

وفي هذا الوادي يقول الرصافي[٤]:

كم بين شطيك من ريّ لجانحةٍ ... ذابتْ عليكَ صدىً يا واديَ العسلِ
ومـا دعاهـا إلى وادٍ سواكَ ظـمـاً ... إلّا تبيَّـنُ فيـهـا فَتْـرَةُ الـكسـل

(١) الوافي ١٧: ٥٤٠ والمقتضب: ٥٠ وانظر رايات المبرزين: ٥٤ ونفح الطيب ٢: ٩٣.
(٢) منها بيتان في النفح.
(٣) وادي العسل: على مقربة من الجزيرة الخضراء، كان أهل تلك المدينة يتخذون لهم جناناً عنده (انظر اختصار القدح: ٩٥).
(٤) ستأتي ترجمة الرصافي (رقم: ٣٤)، وبيتاه في ديوانه: ١٢٦ (عن تحفة القادم).

— ٣١ —

ابن سعد الخير

أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير الأنصاري[١]، الأستاذ من أهل بلَنسية: وكان على تقدُّمه في العربية وتفنُّنه في الآداب منسوباً إلى غفلة تَغلب عليه. وله رسائل بديعة وتواليف، منها: «كتاب الحلل في شرح الجمل» ابتدأه من حيث انتهى البطليوسي[٢]، وكتاب «جذوة البيان وفريدة العِقيان»، وكتاب «القرط»[٣]، وغير ذلك[٤]. وتُوفي بإشبيلية في أوائل ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

ومن شعره ونقلتُه من خطه[٥]:

ألا سائِلِ الـرُّكبانَ هـل ظَلَّ لَعلَعٌ   كما كان مَطلولَ الأصائل سَجْسجا
وهـل وَردوا ماءَ العُـذَيب مَناهـلاً   إذا صـافحتْ كفُّ النَّسيم تَـأَرَّجـا
وعن حَرَجاتِ الحيّ ما لي وما لها   تُجدِّد لي شوقاً إذا الرَّكْبُ عَـرَّجا
وعن أَثَلاتِ الجِزْع هل حال ظِلُّها   وهل تَخِذتْ ريحُ الصَّبا فيه مَدْرجا

(١) ما أثبته هنا هو ما ورد في المقتضب، وللشاعر ترجمة في التكملة: ٨٥١ والذيل والتكملة ٥: ١٨٧ وصلة الصلة: ٩١ والمغرب ٢: ٣١٧ ورايات المبرزين: ٧٨ وزاد المسافر رقم: ٥٥ ونفح الطيب ٣: ٣٣٠، ٦٠٢، ٦٠٤.

(٢) بداية عمله بعد باب الندبة إلى آخر الكتاب.

(٣) هو مجموع طرر أبي الوليد الوقشي وأبي محمد ابن السيد على كامل المبرد إلى زيادات لابن سعد الخير نفسه، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق صديقنا الدكتور ظهور أحمد أظهر (جامعة بنجاب بلاهور ١٩٨٠).

(٤) من مؤلفاته الأخرى «كتاب مشاهير الموشحين بالأندلس» وهم عشرون رجلاً.

(٥) في زاد المسافر: ١٤٦.

لئن ظَمِئت نفسي إليها فطالما وردتُ بمَغناهنّ أَشنبَ أفْلجا
بحيثُ يَشِفُّ السِّترُ عن ماءِ مَبْسِمٍ أرى بابَ صَبري عنه أبهمَ مُرْتجا
ركبتُ الهَوى عُرْيَ السُّراة وربما ركبتُ إلى الهَيجاءِ أَدهمَ مُسْرَجا
فيا رُبَّ يومٍ قد صَلِيتُ بحرِّهِ تراه بنارِ المُرْهفاتِ مُؤَجَّجا
غدوتُ وجفنُ الشمس بالنور أَزرق فغادرتُه بالنَّقع أرمدَ أَدْعجا
سقيتُ العَوالي بالنَّجيع فنوَّرت بَهاراً يُرى عند الطِّعان بَنَفْسجا

وله:

بأبي من بني الملوكِ غَريرٌ قد تردَّيتُ فيه بُرْدَ التَّصابي
ضاعفتْ حُسْنَه ضفيرةُ شَعْرٍ هي منه طِرازُ بُرْدِ الشَّباب
تتلوَّى على الرِّداءِ مِراحاً كحَبابٍ ينسابُ فوق حَباب

وله في هذا وقد لبس ثياباً حمراء وبعينيه رَمد(١):

ومُهَفهَفٍ يجري بصفحةِ خدِّه ولَماهُ من ماءِ الحياةِ عُبَابُهُ
ما زال يَهتكُ باللِّحاظِ قُلوبَنا حتى تَضرَّج طَرفُهُ وثِيابه
فبدا بحُمرةِ ذا وحُمرةِ هذه كالسَّيفِ يَدْمَى حَدُّهُ وقِرابه

وله في سحابة:

وساريةٍ سَحبتْ ذيلَها وهزَّت على الأُفْقِ أعطافَها
تُسَلُّ البُروق بأرجائها كما سَلَّتِ الزِّنجُ أسيافَها

وله في رُمانة مفتَّحة، وأنشدنيه له صاحبُ الأحكام أبو الحسن ابن أبي الفتح(٢):

وساكنةٍ من ظِلال الغُصونِ بِخِدْرٍ تَروقك أفنانُهُ

---

(١) زاد المسافر: ١٤٧.
(٢) الذيل والتكملة ٥: ١٩٠ والنفح ٣: ٦٠٤.

تُضاحكُ أترابَها فيه لمّـ ـا غدا الجوُّ تدمع أجفانه
كما فَتح[1] الليثُ فاه وقد تضرَّجَ بالدَّمِ أسنانه

وله في حَفلة كِنَاز آصطفّت بها جُملة غُربان:

ومُخضرّةِ الأرجاءِ قد طَلَّها النَّدى وقابلها أنفُ الصَّبا بتنفُّسِ
تبدَّتْ بها الغِرْبانُ سطراً كما بدتْ ضفيرةُ شَعرٍ فوقَ بُردةِ سُندس

وأنشدنا له القاضي أبو الخطّاب والأستاذ في الحساب والفرائض أبوعبدالله ابن نعمان البكري عنه يصف دُولاباً[2]:

لـلّهِ دولابٌ يَفيض بسَلسلٍ في رَوضةٍ قد أينعت أفنانَا
قد طارَحَتْه بها الحمائمُ شَجوها فيُجيبها ويُرجِّعُ الألحانا
فكأنه دَنِفٌ يَدورُ بمَعهدٍ يبكي ويسألُ فيه عَمَّنْ بانا
ضاقت مَجاري طرفه عن دَمعِهِ فتفتَّحت أضلاعه أجفانا

* * *

(١) الذيل والتكملة: فغر.
(٢) الأبيات في المغرب والذيل والتكملة وزاد المسافر ونفح الطيب.

ـ ٣٢ ـ
ابـــن هـــرودس

أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هَرَوْدَس(١) ـ بفتح الهاء والراء وسكون الواو وفتح الدال المهملة وفي آخره سين مهملة ـ الأنصاري الكاتب من أهل حصن مَرْشانة من عمل المريّة، وسكن مالقة وتوفي بمراكش في الطاعون الواقع بها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وأخبرنا أبو القاسم ابن بقي قال: أنشدنا الكاتب أبو الحكم ابن هرودس لنفسه(٢):

أَإبـــراهـــيـــمُ إنّ الـــمـــوتَ آتٍ وأنت من الغـــوايـــة في ســبـــاتِ
رجـاؤك مثلُ ظـلِّ الـرمحِ طـولاً وعـمـــرُكَ مثـــلُ إبـهـــامِ القـــطـاةِ

* * *

(١) الوافي ٦: ٥٧ والمقتضب: ٥٤ وانظر التكملة: ١٥٤ (وذكر أن وفاته كانت سنة ٥٧٣) والمغرب ٢: ٢١٠ (وسماه أحمد)؛ وقال في التكملة إن أصله من وادي آش وكتب لبعض الولاة، وذكر ابن سعيد أنه كتب لعثمان بن عبدالمؤمن ملك غرناطة؛ وذكره الرعيني في برنامجه: ١١٠ وأورد له بيتين.
(٢) أورد البيتين في التكملة أيضاً.

ـ ٣٣ ـ
النجـار الكـاتب

أبو الحسن علي بن زيد النجار الكاتب[١] من أهل إشبيلية، كتب للسلطان بعد وفاة أبـي الحسن عبدالملك بن عياش[٢] سنـة ثمان وستين وخمسمائة، وعاجلته منيته فتوفي بمراكش في الطاعون وفي صفر من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، المذكورة قبلُ؛ من شعره:

تغـارُ بهـا الشمسُ في من يَغـارُ ... ويعشقهـا البـدرُ في مـن عشـقْ
تـرى الفـرعَ في مـوج أردافهـا ... وقـد كـاد يغـرقُ أو قـد غـرق
وتـبـصـر قِـلَّةَ حظِّ الـوشـاحِ ... منـهـا فـتـعـذِرُهُ فـي الـقـلق
تُسَـاقِطُ لفـظاً نـثيـرَ الـجمـان ... وتـبسـمُ عـن مـثـله مـتَّسـق
وتـهـديـك أنـفـاسَ ريـحـانـةٍ ... تـنفَّسَ عـنهـا صـديـعُ الـفـلق
وتُـظْلِمُ من فـرعهـا في الصبـاح ... وتصبـحُ من وجههـا في الغسق

ومنـه يـرثي:

أمـا تشتفي منّي صـروفُ زمـاني ... وهـلّا كـفـى الأيـامَ أنـيَ فـانِ
وحسبُ المنايا أنْ خلعتُ شبيبتي ... ولـولا حـذاريهـا خلعتُ عنـاني
فغيَّضْتُ أَمـواهَ الـدمـوع بمقلتي ... وأَخمـدتُ نيرانَ الجـوى بجنـاني

---

(١) الوافي (نسخة أحمد الثالث، الجزء: ٢١، الورقة: ٤٩) والمقتضب: ٥٥.

(٢) كاتب وشاعر بليغ بارع الخط استكتبه أبو جعفر ابن حمدين آخر أيام اللمتونيين (المرابطين) بقرطبة، فلما همَّ أبو جعفر بالفتنة هرب ابن عياش إلى إشبيلية ثم اتصل ببني عبدالمؤمن ونشب في صحبة الملوك بالكتابة عنهم ونال منهم دنيا عريضة (انظر الذيل والتكملة ٥: ٢٦ ـ ٣٠ والتكملة رقم: ١٧٢١).

ونزَّهْتُ عن سمع القيانِ مسامعي   وقـدستُ عن بنتِ الدنـان بنـاني
فـأَشـرق عُـذْري للنهى فعـذرنني   وأَظلم في عيني الصبـا فلحـاني
ولم تقنـعِ الأيـامُ حتى رمينـني   بعـرضِ شمـامٍ أو بـركنِ أبـان
فطار فؤادُ البرقِ يحكي جـوانحي   وأرسـل عينيـه الحيـا فبكـاني

ومنهـا[١]:

بـدا ليَ أن الـدهـرَ ليس مُـصَرِّداً   كؤوسَ الـردى أو يشـربَ الملوانِ
وأبصرتُ ما بين المصارعِ مصرعي   سـريعاً رمـاني الدهـر أو متـواني

* * *

(١) لم يرد البيتان في الوافي.

ـ ٣٤ ـ
الرفـــاء الرصـــافي

أبو عبدالله محمد بن غالب الرفاء الرصافي(١)، من رصافة بلنسية، وسكن مالقة، وكان شاعر عصره، مع [عدم الانتجاع بشعره، واقتصر على التعيش من صناعته، وأمداحه قليلة، وكان في قصائده كثيراً ما يذكر شوقه إلى معاهده فيأتي بما يعجب ويعجز، وعرف بعزوف النفس، فصار الأكابر يجزلون منحه ويخطبون مدحه، وهو بصناعته مشتغل، إلى أن توفي بمالقة في رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. [وشعره مدون يتنافس فيه] [ولم يتزوج] [روى عنه أبو علي ابن كسرى المالقي وأبو الحسين ابن جبير].

فمن قوله في قصيدة يراجع أبا الحسن ابن لبال الشريشي(٢):

على أنني لا أرتضي الشعرَ خطّةً ... ولو صُيِّرتْ خضراً مسارحيَ الغبرا
كفى ضَيْعَةً بالشعر أنْ لستُ جالباً ... إليَّ بــه نفعــاً ولا دافعــاً ضُــرّا
يقــول أنــاسٌ لــو رفعتَ قصيــدةً ... لأدركتَ حتماً في الزمانِ بها أمرا
ومن دون هــذا غَيْـرةٌ جــاهليــةٌ ... وإن هي لم تلزمْ فقد تلزمُ الحرَّا
ألم يــأتهم أني وأدت بحكــمهــا ... بُنَيَّاتِ صدري قبل أن تبرحَ الصدرا

---

(١) الـوافي ٤: ٣٠٩ والمقتضب: ٥٦ ـ ٥٩ وانظر المغـرب ٢: ٣٤٢ والتكملة: ٥٢٠ وشذرات الذهب ٤: ٢٤١ والمعجـب وصفحات متفرقة من نفح الطيب، وأدباء مالقة، الورقة: ١٨ وما بعدها؛ وقد كنت جمعت قدراً من شعره (بيروت ١٩٦٠) وصدرته بدراسة موجزة عنه، ثم أضفت إليه زيادات كثيرة، ونشر في بيروت ١٩٨٣.

(٢) ستأتي ترجمة ابن لبال (رقم: ٤٤) وهذه الأبيات من قصيدة في الديوان: ٧٧، أكثرها عن سفينة ابن مباركشاه.

وله وقد قتل إنسان اسمه يوسف(١):

يا وردةً جادتْ بها يدُ مُتحفي ... فَهَمَى لها دمعي وهاج تأسُّفي
حمراءُ عاطرةُ النسيم كأنَّها ... من خدِّ مقتبَلِ الشبيبةِ مُترَفِ
عرضتْ تُذكّرني دماً من صاحبٍ ... شربتْ به الدنيا سلافةَ قرقفِ
فلثمتُها شغفاً وقلتُ لعبرتي ... هي ما تمجُّ الأرضُ من دمِ يوسفِ

وله [في يوسف أيضاً](٢):

لا تسلْ بعد قتلِ يوسفَ عنّي ... ففؤادي مثلَّمٌ كسلاحِهْ
لو تأملتَ مقلتي يومَ أَودى ... خلتَني باكياً ببعضِ جراحه

ومن قوله في نائمٍ تحبَّبَ العرقُ على وجهه(٣):

ومهفهفٍ كالغصنِ إلاّ أنه ... سلب التثّني النومَ عن أثنائِهِ
أضحى ينامُ وقد تحبَّبَ خَدُّهُ ... عَرَقاً فقلت الوردُ رُشَّ بمائه

وقال، وهي في موسى بن رزق(٤):

وعشيةٍ لبستْ رداءَ شحوبها ... والغيمُ بالجوِّ الرقيق مقنَّعُ
بلغتْ بنا أَمَدَ السرور تألفاً ... والليلُ نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها رمقَ الغَبوق فقد أَتى ... من دونِ قُرْصِ الشمسِ ما يُتَوَقَّعُ
سقطت ولم يملك نديمك ردَّها ... فوددتُ يا موسى لو آنك يوشع

---

(١) الديوان: ١٠٩ عن المغرب ٢: ٣٤٨ والوافي.

(٢) هي في الديوان: ٥٢ عن المغرب ٢: ٣٤٨ والسفينة: ٢٥٥ والسحر والشعر: ٣١ – ٣٢.

(٣) الديوان: ٣٣ عن المعجب: ١٤٤ والسفينة: ٢٤٧ وابن خلكان ٤: ٤٣٣ والسحر والشعر: ٦١ ولمح السحر: ٤٩ ظ والمسالك ١١: ٢٧٧ والإحاطة ٢: ٥١٣ وتاريخ إربل ١: ٤٢٩ وجذوة الاقتباس: ٢٦٨ وزهر الأكم ٢: ٨٠.

(٤) الديوان: ١٠٦ عن المغرب ٢: ٣٥٠ والمعجب: ١٤٣ والنفح ٣: ٤٣٧ ورفع الحجب: ١٩٠ والسفينة: ٢٤٣ والشريشي ١: ١٨٤.

وله من جملة قصيدة[١]:

لو جئتَ نار الهُدَى من جانب الطورِ قبستَ ما شئتَ من علمٍ ومن نورِ
من كـلِّ زهراءَ لم تُـرْفَعْ ذوائبها ليـلاً لسارٍ ولم تُشْبَبْ لمقـرورِ
نورٌ طوى اللّـه زندَ الكونِ منه على سقطٍ إلى زمنِ المهـديِّ مذخـورِ

ومنـه أيضـاً[٢]:

مرأى عليه اجتماعُ للنفوسِ كما تشبّثتْ بـلذيـذِ العيش أجفـانُ
للعين والقلب في إقبـالـه أمـلٌ كـأنّـه للشبـاب الغضّ ريعـانُ

وله من أبيات قالها في حائك[٣]:

غزيِّلٌ لم تـزلْ في الغزل جـائلةً بنـانُهُ جَـوَلان الفكـرِ في الغَـزَلِ
جَـذْلان تلعبُ بـالمحـواكِ أنمُلُه على السّدَى لعبَ الأيامِ بالدُّوَلِ
ما إن يَني تعبَ الأطرافِ مشتغلاً أفديه من تعبِ الأطـرافِ مشتغلِ
جـذباً بكفَّيْـه أو فحصـاً بـأرجُله تَخبُّطَ الظبـي في أَشراكِ مُحتبـلِ

وله من قصيدة يصف نهراً نضب ماؤه[٤]:

فـتـوالـتِ الأمـحـالُ تـنـقـصُـهُ حـتـى غـدا كـذؤابـةِ الـنـجـمِ

وله يصف نهراً ألقت عليه ظلها دوحة وهي فيه[٥]:

ومهـدَّل الشـطّيـن تحسِبُ أنـه مـتـسيِّـلٌ مـن دُرّةٍ لـصـفـائـهِ
فـاءتْ عليه مـع العشيّـةِ سَرحـةٌ صَـدِئتْ لفيئتهـا صحيفـةُ مـائـهِ
فتـراه أزرقَ في غـلالـةِ حُمـرةٍ كـالـدارع آستلقى بـظلٍّ لـوائِـه

---

(١) الديوان: ٨٧ من قصيدة طويلة في مدح عبدالمؤمن.
(٢) الديوان: ١٢٨ من قصيدة طويلة في مدح السيد أبـي سعيد.
(٣) الديوان: ١١٦ ـ ١١٧ (وفيه تخريج كثير).
(٤) الديوان: ١٢٧ (عن التحفة).
(٥) الديوان: ٣٢.

كثر التولع بهذه الأبيات عام أحد وأربعين وستمائة، فأنشدني في ذاك لنفسه الخطيب أبو القاسم بن معاوية اليحصبي صاحبنا، واسمه كنيته، ويكنى أبا الفضل:

وبحـرٍ طـافـح الشـطّين صــافٍ نـأى عرضـاه في عرضٍ وطـولِ
تُــوافيـه الجـداولُ وهْي حَسْرَى فتشكــو بثّهــا شَكْـوَى العليــلِ
كـأنَّ المـوجَ في عبـرَيْه تـرسٌ تُـذهِّـب مَتْنَـهُ كفُّ الأَصيــلِ
تفـيءُ عـليـه دائـحـةٌ حســانٌ فـتُـؤوِيَـه إلـى ظـلٍّ ظــليــلِ
كــأنّ مكــانَ فِيءِ الـظلِّ منــه مكـانُ اللمسِ من سيفٍ صقيـلِ

وللخطيب أبـي القاسم أيضاً:

ويـومٍ عكفنا طـولَه نجتني المنى بـأعــذبِ نهـرٍ في ألـذِّ نهــار
لــدى ربـوةٍ غنّــاءَ طيبةِ الثـرى وذات مـعيــن سـائـح وقــرار
على رفرف خضر بسـطن لدوحـة وَرُدِّيــنَ من أمــثـالـهـا بـازار
فجَدْوَلُه في سـرحةِ المـاءِ مُنصُلٌ ولكنّـه في الجزعِ عـطفُ سوارِ
وأمــواجـه أردافُ غيـدٍ نــواعمٍ يُـلَفَّعْـنَ بـالآصــال رَيْطَ نُـضـارِ
إذا قـابلتْه الشمسُ أذكـاه نـورهـا فَبُــدِّلَ منــه المــاءُ جـذوةَ نـارِ
يفيءُ عليـه الدوحُ ظـلاً مضاعَفاً فيــرجــعُ منــه بـدره لســرارِ
كـأنّ مكانَ الـظلّ صفحةُ وجنةٍ أظـلّتْ عليهــا خضـرةُ لـعـذارِ
أو البكر حاذتْ بالسَّجَنْجَل خدَّها وقـد سترتْ من بعضــه بخمـارِ

وقلت أنا(١):

ونهـرٍ كمـا ذابت سبائـكُ فضّــةٍ حكى بمحـانيـه انعـطافَ الأراقمِ
إذا الشفقُ آستولى عليه آحمـراره تبدَّى خضيباً مثلَ دامي الصوارمِ

---

(١) وردت أبيـات ابن الأبـار هـذه في الـوافي ٣:٣٥٧ وأزهــار الــريـاض ٣:٢٢٣ وديوانه: ٢٩١.

وتحسِبُـهُ سُنَّتْ عليـه مُفـاضـةٌ   لأن هاب هبَّاتِ الرياحِ النـواسمِ
وتُـطلِعـه من دُكْنـةٍ بعـد زُرْقَـةٍ   ظـلالٌ لأدواحٍ عـليـه نـواعـمِ
كما انفجر الفجرُ المُطِلُّ على الدجى   ومن دونه في الأُفْقِ سُحْمُ الغمائمِ

وقلت أيضاً[1]:

سقيـاً لـروض رُدْتُـهُ رأدَ الضحى   وحمـامُـهُ طـربـاً ينـاغي البلبـلا
شتَّـى مـحـاسنُـهُ فمن زَهَرٍ على   نَهَـرٍ تَسَـلَّلَ كـالحبـابِ تسـلُّلا
وكـأنما حميَ الـربيع لقـطفه   فـاستـلَّ منه يـذود عنـه منصـلا
غربتْ به شمسُ الظهيرة لا تَني   إحْـراقَ صفحتِـه لهيبـاً مُشعـلا
حتى كسـاه الـدوحُ من أَفْنـانِـهِ   بُـرداً يمزِّقُ في الأَصـائلِ هلهـلا
فكـأنَّمـا لمـعُ الـظلال بمَتْنـه   قِـطَعُ الدمـاءِ جمـدنَ حين تحلّلا

وقلت أيضاً[2].

غـازلـتُ فـي[3] شـطِّيـه أبـ   ـكارَ المُنَى عصـرَ الشبـابِ
فـالـظلُّ يـبـدو فـوقـه   كـالخـالِ في خـدِّ الكَعـابِ
لا بـل أدار عـليـه خـو   فَ الشمسِ منـه كـالنِّقـابِ
مـثـل المـجـرّة جـرَّ فيــهـا ذيـلَه جـونُ الـسحـابِ

* * *

(١) انظر الوافي ٣:٣٥٨ وأزهار الرياض ٣:٢٢٣ وهي في ملحقات الديوان: ٤٥٧.
(٢) الوافي ٣:٣٥٧ وأزهار الرياض ٣:٢٢٤ والديوان: ٩٤.
(٣) الوافي: غارت على (وهو خطأ).

ـ ٣٥ ـ
السالـــمي

أبو زيد عبدالرحمن السالميّ من أهل إستجّة(١):

ذُكر له(٢):

تسلَّيت عن عِيسى بحُب مُحمَّد(٣) ولولا هُدى الرحمن ما كنتُ أَهتَدِي

ومـا عن قِلًى منّي سلوتُ وإنمـا شَـريعـةُ عيسى عُـطِّلت بمحمَّـد

وهي عندي مُتصلة بالإنشاد إلى القائل من طريق ابن الطَّيلسان.

* * *

(١) عن المقتضب: ٦٠.

(٢) شهرت نسبة البيتين لابن سهل، وهما في ديوانه: ١١٦، وعلق الصفدي في ترجمة ابن سهل أنه رآهما في تحفة ابن الأبار للسالمي وأن الذي استقر بين الأدباء أنهما لابن سهل. وهما في الفوات ١: ٤٢ وذيل مرآة الزمان ١: ٤٨٢ والمسلك السهل: ١٢ ومسالك الأبصار ١١: ٤٧٥ والمنهل الصافي ١: ٥٢ ونفح الطيب ٣: ٥٢٤.

(٣) الرواية الأشهر: تسليت عن موسى (لأن ابن سهل كان يهودياً) ويروى أيضاً: تركت هوى موسى لحب محمد.

- ٣٦ -
ابن جُرْج الكاتب

أبو جعفر عبدُالله بن محمد بن جُرْج[١] - بجِيمَيْن بينهما راء - الكاتب من أهل قرطبة ومن بيوتاتها النبيهة، أصلهم من أَلْبِيرة. وكانت وفاة أبي جعفر سنةَ خمسٍ وسبعين وخمسمائة، ومن شعره يستدعي طبيباً:

خلِّ ابن سيناءَ وأقوالَهُ ... فإنّها من خُدَعِ المَرْءِ
ولتأْتني في منزلي مُسْرِعاً ... فإنّ عندي «حِيلَةَ البُرْءِ»

ومنه[٢]:

أمّا ذُكاءُ فلم تَصْفَرَّ إذ جَنَحتْ ... إلاّ لفُرْقَةِ هذا المنظرِ الحَسَنِ
رُبىً تَروقُ وَقِيعانٌ مُزَخْرَفةٌ ... وسابحٌ مُدَّ بالهطَّالَةِ الهُتُنِ
وللنسيم على أرجائه حَبَبٌ ... يكادُ من رِقَّةٍ يَخْفَى على الغُصُنِ

وتُنْسَبُ هذه القطعةُ غلطاً إلى أبي القاسم أخيل بن إدريس الرُّنْدي[٣]، كاتب ابن حمدين ولم يصحّ، وأنشدها أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي[٤]

(١) الوافي ١٧: ٥٦١ والمقتضب: ٦١.
(٢) قال البلفيقي صانع المقتضب: هي عندنا منشدة عن [ابن] الطيلسان، الأبيات الثلاثة؛ وانظر الحلة السيراء ٢: ٢٤٤، حيث أورد الأبيات وصحح نسبتها لابن جرج.
(٣) كتب أخيل في أول أمره للملثمين ثم استكتبه أبو جعفر ابن حمدين فلما دخل ابن غانية قرطبة وأخرج ابن حمدين منها لجأ أخيل إلى بلده رندة واستبد بضبطها ثم أخرج منها وتقلبت به الأيام حتى استقر بمراكش إلى أن ولي قضاء قرطبة ثم قضاء إشبيلية وكانت وفاته سنة ٥٦٠ أو التي بعدها (الحلة السيراء ٢: ٢٤١ - ٢٤٤ والمن بالإمامة: ٢٢٤).
(٤) عامر بن هشام القرطبي أديب شاعر وكاتب بارع، كتب عند بعض بني عبدالمؤمن وله مصنفات ومقامات، وقد انهمك في آخر عمره بشرب الخمر وتوفي سنة ٦٢٣ (الذيل =

في مجموعٍ له لأبـي جَعْفر ابن جُرْج هذا وهو بَلَدِيُّهُ ولعلَّه سَمِعَها منه. واهتدم البيت الأول منها أبو عبدالله ابن مرج الكحل الجزيري من جزيرة شقر، فجاء به في آخر قطعة من حُرِّ كلامه، أَنشدَنَاها مراراً وهي(١):

عـرِجْ بمنعَـرجِ الكثيبِ الأَعفـرِ — بين الفـرات وبين شطِّ الكـوثـر
ولـنـغـتـبـقـهـا قـهـوةً ذهـبـيـةً — من راحَتَيْ أحوى المدامِعِ أحور
وعشيّـةٍ كـم بِتُّ(٢) أرقُـب وقتَـهـا — سمحتْ بهـا الأيـامُ بعـد تعـذُّر
نِلنـا بهـا آمـالَـنـا في رَوضـة — تُهـدي لـنـاشِقِـهـا نسيمَ العَنبـر
والـدهـرُ من نَـدمٍ يُسَفِّـه رأيَـه — فيمـا صَفَـا(٣) منـه بغَيـر تكـدُّر
والـوُرْقُ تَشـدو والأراكـةُ تَنْثني — والشمسُ ترفلُ في قَميصٍ أصفر
والـروضُ بين مُـذهَّب ومُفضَّض — والـزهـرُ بين مُـدَرْهم ومُـدَنَّـر
والنهـرُ مَرقـومُ الأباطـحِ والـرُّبَـى — بمُصَنْـدَل من زَهْـره ومُعَصـفـر
فـكـأنّـه وَجِهـاتُـه مَحفـوفـة — بـالآس والنُّعـمـان خَـدُّ مُعـذَّر
وكـأنـه وكـأنّ خُضـرةَ شَـطِّه — سيفٌ يُسـلّ على بِسـاط أخضـر
وكـأنما ذاك الحَبَـاب فـرنْـده — مهمـا طَفَا في صَفحـه كالجَـوهر
نهـرٌ يَهيم بحُسنـه من لم يَهـم — ويُجيـد فيه الشِّعـرَ من لم يَشْعـر
ما أصفرّ وجه الشّمس عند غُروبها — إلا لفُـرقـة حُسن ذاك المَـنـظر

* * *

= والتكملة ٥:١٠٦ وبرنامج الرعيني: ١٩٧ والمغرب ١:٧٥ والتكملة رقم: ١٩٤٤).

(١) نفح الطيب ٥:٥١ وأزهار الرياض ٢:٣١٥ وسرور النفس: ٥٠ والإحاطة ٢:٣٤٤ والذيل والتكملة ٦:١١١؛ وستأتي ترجمة ابن مرج كحل في الملحق.

(٢) الذيل: كنت.

(٣) الذيل: مضى.

ـ ٣٧ ـ
العبـــدري

أبو الأصبغ عيسى بن محمد العَبدريّ(١)، المعروف بآبن الواعظ، من أهل المرية سكن أَلشْ(٢) من أعمال مُرسية، وأنشدني أبو الربيع ابن سالم، قال أنشدني أبو القاسم ابن الحذاء المُرسي، قال أنشدنا أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبدالله بن الواعظ العَبدريّ لنفسه في سُكناه بأَلش، وكان أصله من المرية:

عَدِمْتُ بإخمالي وجوهاً من الإنْس ... فها أنا في الأيام مُستوحشُ النَّفْسِ
برئتُ زمانـاً من حوادثَ أَمـرضتْ ... وأَلشُ لَعمري أَسلمتْني إلى النُّكس
أقمتُ بهـا كـالسَّيفِ لازمَ جَفنَـه ... وإن كُنْتُ حيّاً مثلَ مَن دُسَّ في رَمْس
فـإنِّـي بـآدابـي أَتيـتُ جـزيـرةً ... فعُوقبتُ منها بـالإقامـةِ في حَبس
وهـل وحشةُ الإنسـانِ إلّا بمثلهـا ... فَصِيـح لسـانٍ بين ألسنةٍ خُـرْس
شَرَوْني رَخيصاً ليس يَدْرون قيمتي ... وقد تُشْتَرى الأعلاقُ بالثَّمنِ البَخس

ومن شعـره مما ذكـره عنـه أبـو عبـدالله ابن عيّـاد في مشيخـة أبيـه أبـي عُمر(٣):

إن قيل في الصَّيف رَيحانٌ وفاكهةٌ ... فـالأرضُ مُغبـرَّة والجـوُّ مَحْـرورُ

---

(١) لم ترد له ترجمة في مخطوطة تونس من كتاب الوافي، وهو في المقتضب: ٦٣.

(٢) ألش (Elche) من كورة تدمير، وتبعد عن أريولة خمسة عشر ميلاً، ومنها إلى لقنت خمسة عشر ميلاً (الروض المعطار: ٣٠).

(٣) هذا وهم لا أدري كيف وقع، فالقصيدة في ديوان الصنوبري: ٤٢ وهي من مشهور شعره: انظر تهذيب ابن عساكر ١: ٤٥٩ ونثر النظم: ١٥٠ وسرور النفس: ٢٢١.

وإن يكُن في الخَريف النخلُ مُختَرَفاً فـالأَرْضُ مُـربدَّةٌ والجـوُّ مـأسـور
وإن يكُن في الشِّتاء الغيثُ مُنسكباً فـالأرضُ مُبتلّةٌ والجـوُّ مَقْـرور
ما الدَّهر إلا الرّبيـع المُستنير إذا أتى الـربيـعُ أتـاك النَّوْرُ والنُّـور
الأرضُ سُنـدسةٌ والجـوُّ لُؤْلُـؤَةٌ والـنَّـوْرُ فَيـروزجٌ والـمـاءُ بلّور
مَن شَمَّ ريحَ تحيّاتِ الرِّياضِ يَقُلْ لا المِسْكُ مِسكٌ ولا الكَافورُ كافور

وكتب أبو بكر مالك ابن حِمير[١] من أهل أَرْيُولة إلى أبـي الأصبغ هذا:

رحـلتُ وإنّـنـي مـن غـيـر زادِ ومـا قَـدّمـتُ شيـئـاً لـلمَـعـادِ
ولـكـنـي وثـقـتُ بـجُـودِ ربِّي وهـل يَشقَى المُقِـلُّ مـع الجَـوادِ

فقال في معناه:

رحــلتُ بـغـيـر زادٍ لـلمَـعـادِ ولـكـنِّـي نـزلـتُ عـلى جـوادِ
ومَن يَـرحَـلْ إلى مـولًى كـريمٍ فمـا يحتـاجُ في سَـفَـرٍ لـزاد

ولاَبن شرف في هذا المعنى، وأنشدَناه أبو الرَّبيع عن أبـي عبدالله:

رحلتُ وكنـتُ مـا أعـددتُ زاداً ولا قصَّـرتُ في قُـوتِ المُقيـمِ
فـهـا أنـا ذا رحلتُ بـغيـر زادٍ ولـكـنّـي نـزلـتُ عـلى كـريـم

وذَكرتُ أبياتَ المُنصفي في هذا المعنى[٢]:

قـالت ليَ النفسُ أتـاك الـرَّدَى وأنتَ في بَحـر الخَـطايـا مُقيمْ
ومـا آدخرتَ الـزادَ قلتُ آقصِري هـل يُحْمَلُ الـزادُ لـدارِ الكَـريمْ
واخَـجْـلتـا مـنـه إذا جئـتُـه والعبـدُ مـطلوبٌ بـدَيـنٍ قـديم
ومـا أرى يـطلبُـني قـد دَرى أنّـيَ محـتـاجٌ إليـه عَـديـم

(١) ترجمته في التكملة: ٧٠٩، وكانت وفاته سنة ٥٦١، وورد البيتان في التكملة.

(٢) المنصفي نسبة إلى المنصف من قرى بلنسية وهو أبو الحجاج يوسف المنصفي الزاهد، سكن سبتة، انظر المغرب ٢: ٣٥٤، ومن شعره بيتان فيه وفي النفح ١: ١٨١، ٣: ٥٩٥.

ولستُ محتـاجـاً إلى شـاهـدٍ لأنَّ مـولايَ بـحـالي عـليـم
وحكمـه القِسْطُ ولا يَقتضي هـلاكَ مِـدْيـانٍ بمـال الغَـريم

هي من آخر كلامه، متصلة بمَشهد حِمَامه.

وقد نَظم الرئيسُ ــ رحمه الله[1] ــ صاحب مَنُورقة، أبو عثمان سعيد بن حكم القُرشي[2]، في هذا المعنى:

يـا رَبِّ إنِّي راحـلٌ والـزادُ مـا عـنـديَ منـه لـلرَّحيـلِ عَتـادُ
والـوقتُ عنـه ضَيِّق ولـديـك مـا يَسَـعُ الـوَرى لهُمُ وأنت جَـواد

ولـه أيضـاً:

حـان قُـدومي على القـديـمِ ويَحسُـن الـظنُّ بـالـكـريـمِ
إن كـان ذَنبي عـظيمـاً آضحى فـأيـن منـه عَفْـوُ العـظيـم
حَسْـبِيَ أنّـي أرجـو لـديـه فـضـلَ غنـيٍّ عـلى عَـديـم

أفسد في صدر البيت الثاني والثالث من حيث الوزن، وقد وقع فيه جُمهور من الشعراء.

قال آبن عيّاد: ومن شعره ما كتبه لأبـي بخطّه ونقلتُه منه:

لا تَصحبِ السُّلطانَ في حـالـةٍ صـاحبُـه ليثَ الشَّـرى يَـركبُ
يـهـابُـهُ النـاسُ لـمَـركـوبِـهِ وهْـوَ لـمـا يـركبُـهُ أهـيـب

* * *

(١) قوله: رحمه الله زيادة من بعض النساخ لأنّ ابن حكم توفي بعد وفاة ابن الأبار، أو لعل التعليق كله كان حاشية على الأصل.

(٢) سعيد بن حكم الطبيري أبو عثمان، حكم منورقة ابتداءً من سنة ٦٣١ فضبط الجزيرة وسار فيها سيرة عادلة، وصار مقصد طلاب العلم والشعراء، وله مطارحات ومراسلات مع أدباء عصره، وكانت وفاته سنة ٦٨٠ (ترجمته في الذيل والتكملة ٤: ٢٨ ــ ٣٣ واختصار القدح: ٢٨ ــ ٤١ والمغرب ٢: ٤٦٩ ومصادر أخرى كثيرة).

ـ ٣٨ ـ

ابـن المنخـل

أبو محمد عبدُالله بن أبـي بكر محمد بن إبراهيم بن المنخَّل المَهْري(١) من أهل شِلْب، ومن شعره(٢):

شَرَفُ الخِلافـةِ أنْ مَلَكتَ زمامَهـا ... وغَـدَوْتَ من عَقِبِ الإمام إمـامَها
وَافتْـكَ تَبْتَـدِرُ الـرِّضـا إذْ رُمْتَهـا ... ولشَدَّ ما آمْتَنعتْ على مَنْ رامهـا
طَبَـعَ الإلهُ لهـا حُسـاماً صـارِماً ... يَحْمي جـوانبَهـا فكنتَ حُسـامَهَـا
ورأتْ عُـداةُ اللّـهِ أنَّ حِمَـامَهـا ... من قيسِ عَيْـلانٍ فكنتَ حِمامَهـا
فَعَلى رمـاحِـكَ أن تَشُقَّ جُيـوبَهـا ... وعلى حُسـامِـك أنْ يُفَلِّقَ هـامَهـا

منهـا:

مَلِكٌ يُجيرُ من الزمـان فإن تَضِمْ ... حُـرّاً بـوادِيـهِ الليالي ضَـامَهـا
قِسْطاسُ عَدْلٍ لا يميلُ فإنْ رأى ... مَيْـلَ الخـلافـة أَمَّهـا فـأَقـامَهـا
مـا الجُـودُ إلاّ مـا تُفِيضُ بَنـانُـهُ ... لا ما تُفيضُ العربُ فيـه سِهَامَهـا

(١) الوافي: ١٧: ٥٤٤ والمقتضب: ٦٦، ووالده من شعراء زاد المسافر: ١٢٩، ترجم له في التكملة: ٤٩٦ والمغرب ١: ٣٨٧ والذيل والتكملة ٦: ٩٥.

(٢) كان الخليفة الموحدي أبو يعقوب قد اجتاز إلى الأندلس سنة ٥٦٦ وأدركه عيد الأضحى بقرطبة، وفي ثاني يوم العيد دخل عليه أشياخ الموحدين وطلبة الحضر والفقهاء والقضاة والكتاب وسلموا عليه واحداً بعد واحد، ودخل الشعراء يهنئونه فقام عبدالله بن الشيخ الشاعر محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي فأنشده القصيدة التالية (المن بالإمامة: ٤٥٧ ـ ٤٦١) وفي الأبيات هنا تقديم وتأخير.

مـا البـأسُ إلاّ مــا تَضمَّنَ سيفُـهُ   لا مـا تَضَمَّنَ بعضُـه صمصـامَهـا
مـا الـرِّجْزُ إلاّ مـا يَجُـرُّ خِـلافُـهُ   ليس الــذي وَسَمَتْ بـه أيَّـامُهـا
يُطْفي الحروبَ إذا توهّج جَمْـرُها   ولـرُبَّمـا خَمَـدَتْ فَشَبَّ ضِـرَامُهـا
وإذا أُسُـود الحرب هـاج عُرامُهـا   عـانى بِحَـدِّ المَشْـرَفِيّ عُـرامَهـا
وإذا بُـروقُ المُـزْنِ لُحْنَ كَـواذِبـاً   صَـدَقَتْ بُروقُ نَـوَالِهِ مَنْ شـامَهـا

ومنهــا:

لَمَّـا رأيتَ الـدينَ أَظْلَمَ وَجْهُـه[1]   والحربُ قد سَـدَلَتْ عليه قتـامَها
أَقْبَلْتَهـا شُعْثَ النَّـواصي شُـزَّبـاً   جُـرْداً تُباري في الفَـلاَةِ سِمَامَهـا
من كـلِّ مُشْـرفـةِ التَّليـلِ كـأنَّمـا   عَقَـدوا بباسقـةِ النَّخِيـل لِجَـامَهـا
وأغـرَّ وضّـاحِ الحُجُـولِ مُـطَهَّمٍ   يجلو إذا خـاض الغِمارَ ظَـلامَهـا

منهــا:

يلقى العُـدَاةُ الرُّعْبَ قبـل لقـائـه   فيُـزِلُّ قبـل قتـالهـا أَقْـدَامَهـا

وقال مُسَلِّياً عن هزيمةٍ:

لا تَكتـرِثْ يـا ابنَ الخَليفـةِ إنّـه   قَـدَرٌ أُتيـحَ فمـا يُـرَدُّ مُتـاحُـهُ
قـد يَكْـدُر المـاءُ القَـراحُ لِعِلَّةٍ   ويعـودُ صفْـواً بعـد ذاك قَـرَاحُـهُ

* * *

---

(١) المن: جوه.

ـ ٣٩ ـ
ابـــن ننَّـــة

أبو بكر محمد بن أبـي بكر بن فرح بن سليمان[١] من أهل جيّان ويعرف بابن نِنَّة ـ بنونين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة ـ من شعره في أسود بقلنسوةٍ حمراء:

وأســـودَ غـربيبٍ على أنَّ رأسَـــهُ ... بـــه كمـــةٌ كـــالبـــارقِ الـمتـــألِّقِ
نـــظرتُ إليهـــا من بعيـــدٍ كـأنهـــا ... بقيـــةُ نـــارٍ فـــوق جِـذْعٍ مُحَـــرَّقِ

ومن شعره في ديك:

ولـــه إذا ولّـــى الـــظلامُ تـــطرُّبُ ... تـــلتـــذّه أَسمـــاعُ كـــلِّ طَـــرُوبِ
لِيَبُثّـــه في يـــومـــه مـــستـعـليـــاً ... حتى تـمـيـــلَ ذُكـــاؤه لـغُـــروبِ
ولقـد يُـريـك بصفحتيـه سَـــوسناً ... مـــا بين وردٍ بـــالحيـــاءِ مَشُـــوبِ
ويُـريك من مثـل الدمشق مُـلاءَةً ... لم تَـــرمِهـــا عينٌ رَنَت بعيـــوبِ
تَـــرنُـو إلى عينيـــه إذ يُـــذكيهمـــا ... فتقـــول مـاءٌ جـــالَ في أُلهُـــوبِ

معاني هذه الأبيات من قول أبـي العلاء المعرّي[٢]:

أيا ديكُ عُدَّتْ من أياديك صيحةٌ ... بعثتَ بها مَيْتَ الكَرَى وهـو نائمُ
عليـك ثيابٌ خـاطهـا اللّـه قـادراً ... بهـا رَئِمَتْـكَ العـاطفـاتُ الـرَوائِمُ
وتـاجُـكَ معقـودٌ كـأنَّـك هُـرمـزٌ ... يُـبـاهِي بـه أمـلاكـه ويُـوائِـمُ
وعينـاك سِقْطٌ ما خَبـا عنـدَ قِـرَّةٍ ... كلمعةِ برقٍ مـا لها الـدهرَ شـائِمُ

---

(١) الوافي ٢: ٢٦٠ والمقتضب: ٦٧.

(٢) انظر اللزوميات ٢: ٣٨٦ ـ ٣٨٩ (من طبعة دار صادر).

ورثتَ هُدَى التذكار من قبل جُرهمٍ أوانَ ترقَّتْ في السماء النعائمُ
وما زِلتَ للدين القويم دِعامةً إذا قلِقت من حامليه الدعائِمُ

ولابن معمعة قصيدة في ديك منها[1]:

لِيَ ديكٌ حَضنتُه وَهْو في البيـــضة من منصبٍ كريم الخِيم
يأكل العفو كيف ما شاء من ما لي كأكل الوصِيّ مالَ اليتيم
أبيضُ اللون أفرَقُ العُرفِ نظّا رُ بعينٍ كأنّها عينُ رِيم
وعلى نحرهِ وشاحان من شَذ رٍ نشيرٍ[2] ولؤلؤٍ منظوم
رافعٌ رايةً من الذنب المشرف يسعَى بها كسعي الظليم
وإذا ما مشى التَبَهْنُسَ[3] مشيَ الـ طَرِبِ المُنتشِي من الخُرطوم
وسَمَ الأرضَ وسمَ طينِ كتابٍ بخواتيم كاتبٍ مختوم
وله خنجران في قَصَب السا قَينِ قد رُكّبا لحفظ الحَريم
وعليه من ريشه طيلسانٌ صِيغَ من صنعة اللطيف الحكيم
وإذا ما رأيتَه بين خمسٍ من دجاجاته كبار الجسوم
قلت مَلْكٌ يخدُمْنَهُ فتياتٌ يتهادَين بين زنج ورُوم
وترى عُرفَه فتحسِبُه التا جَ على رأس كسرويٍّ كريم
ثاقِبُ العلم بالمواقيت ليلاً ونهاراً وحاذِقٌ بالنجوم
ويحثّ الجيرانَ حولي على البـرّ كحثّ المدير كأسَ النديم

* * *

(١) من قصيدة طويلة في سرور النفس: ١١٧ (ف: ٣٦٦).
(٢) سرور: بديع.
(٣) سرور: تبختر.

— ٤٠ —

ابن صاحب الصّلاة

أبو محمد عبدُالله بن يحيى بن عبدالله بن فُتُوحٍ، الحضرمي[١] الأستاذ الدّاني النحوي المعروف بعَبْدون وبابن صاحب الصّلاة. أقرأ النحو بشاطبة زماناً، وأدّب بَني صاحب بَلَنسية، وكان مبرّزاً في العربية مشاركاً في الفقه ويقول الشعر، وفيه تواضُع وطيبة أخلاقٍ. توفي ببلنسية مستهل رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة[وأخذ عنه جلّة منهم أبو جعفر الذهبي، وأبو الحسن ابن حريق وأبو محمد ابن نَصْرون، وأبو الرّبيع ابن سالم][٢]، ومن شعره في ابن سعدٍ وقد كبتْ به البغلة:

إن تَكْبُ في السّير بنتُ العَيْرِ بالملكِ ... فليس يُدركها في ذاك مِنْ دَرَكِ
عُـذْرُ الملومة فيها أنّها حَمَلَتْ ... ما ليس يحْمل غير الأرضِ والفلكِ
الـدهـرَ والبحـرَ والـطَّودَ الأشمَّ ذرىً
والبدرَ بدر الدّجى والشمسَ في الحلكِ[٣]

وهذا مأخوذ من قول ابنِ المعتزّ في رئيس سقط عن بغل:

لا ذنبَ عنديَ لابنِ العَيْرِ يومَ وَهَتْ ... قـواهُ من خَـوَرٍ فيها ومن لينِ
حمّلتُموه سوى ما كان يَحْمله ... فُـرْهُ البغال وأصناف البَـراذينِ
الشّمسَ والبدرَ والطَّودَ المنيفَ وليـ ... ـثَ الغابِ والبحرَ والدّنيا مع الدينِ

---

(١) الوافي ١٧: ٦٦٨ والمقتضب: ٦٨ وانظر التكملة: ٨٥٧.
(٢) لعلّ هذا من التكملة، فهو بها أشبه.
(٣) علق الصفدي على هذا الشطر بقوله: كذا وجدته ولعله: والشمس شمس الضحى والبدر في الحلك، قلت: ولعل الصواب «والشمس في الحبك».

وللشعراء في هذا أبيات نادرة، وهو من تحسين القبيح، منها قول أبي بكر ابن مُجْبَرٍ[١]:

لا ذنبَ للطِّرْفِ إن زلَّتْ قوائمُهُ وهضْبَةُ الحلم إبراهيمُ يُجْريها
وكيف يحملُهُ طِرفٌ وخردلَةٌ من حِلمِهِ تزنُ الدّنيا وما فيها

ولـه أيضـاً:

ألا اصفحْ عن الطِّرف الذي زلَّ إذجرى أيَثْبتُ طِرفٌ فوقَه الناسُ والدّهرُ
تداخَلَه كِبْرٌ لئنْ كنتَ فوقه فتلك لعَمْري زلّةٌ جرّها الكِبْرُ
ثبتٌ عليه حين زلَّ رَجاحةً أيَخْرج عن أثناء هالته البَدْرُ
ولم يدْر هل أمسكْتَهُ أو ركضتَهُ وللعُجْبِ سُكْرٌ ليس يعدله سُكْرُ

ومن شعر عبدون أيضاً:

يا مَنْ مُحَيّاهُ جنّاتٌ مفتّحَةٌ وهجْره ليَ ذَنْبٌ غَيْرُ مغْفُورِ
لقد تناقضتَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ تناقض النّارِ بالتّدخين والنّورِ

ومنه ما ألْغَزَهُ في باكورة تين:

وما شيءٌ نَمَاهُ العُودُ حتّى تَنَاهَى بالنَّماءِ إلى الصّلاحِ
تَكَفّلهُ الهواءُ بدَرِّ سَكْرى من الأنواء صيّبةٍ رداحِ
طَلَتْهُ الشّمس مسكاً ثم خَطّتْ بكافورٍ عليه يدُ الرّياحِ
خُطوطاً بالبياض على سوادٍ كما خطّ الدّجى ضَوْء الصّباحِ

ولعبدون في رحلته عن شاطبة إلى بلنسية ــ وكان الرئيس أبو الحجاج يوسف بن سعد هو الذي نقله منها واستأدبه لبنيه لما كان عليه من التصاون والعدالة، وأباح له الإقراء، فكان يعلمهم العربية بالقصر فإذا انفصل عنهم

---

(١) هو يحيى بن عبدالجليل أبو بكر الفهري شاعر المغرب في وقته، وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت، (انظر ترجمته في النفح ٣: ٢٣٧ ــ ٢٤١).

علَّم الناس أيضاً بمسجد رحبة القاضي من بلنسية، إلى أن توفي في التاريخ المتقدم ذكره:

سأرحل عن دارٍ نَبَتْ بـي ولم يَقُمْ بها أحدٌ بـي حين أقعدني الدهرُ
ففي الناس صحبٌ إن جفانيَ صاحبٌ وفي الأرض قطرٌ حافلٌ إن نبا قطر
ألم تـر أنَّ الماءَ بـالجـري أزرق وبالمكث في مستنقع الماء مصفرّ
ورحلةُ أهلِ الفضلِ عن أهل بلدة شهيــدٌ بنقص فيهمُ ولهـا خســر
وشــرٌّ بلاد اللّـهِ مـا لم يكن بهـا معينٌ على أن لا يستقرَّ بها الحرّ

وقــال(١):

وعَجَّلَ شيبـي أن ذا الفضل مبتلى بدهرٍ غدا ذو النقصِ فيه مؤمَّـلا
ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى بهــا الحـرَّ يَشْقَى واللئيمَ ممــولا
متى ينعمُ المعتـرُّ عيناً إذا اعتفى جــواداً مُقِــلاً أو غنيــاً مبخَّــلا

* * *

(١) النفح ٤: ٣٤٥ والتكملة.

ـ ٤١ ـ
ابـن الجنـان

محمد بن عبدالغني الفهري المعروف بابن الجنّان[١] من أهل جيّان، سكن مدينة فاس؛ وله:

قالوا المشيب نجومٌ والشباب دُجًى　　لو يَحْسُنُ القبحُ أو لو يَقْبُحُ الحَسَنُ
ما كان أغناكَ يا ليلَ الذوائبِ عن　　نجوم شيبك ذي[٢] لو أنصَفَ الزمنُ

ولـه أيضـاً[٣]:

لمَن كلمٌ كالسِّحر من غُنجِ أحداقِ　　سقاكَ بكأسٍ لم تُدِرْها يدُ الساقي
ولم أرَ شعراً فَصَّلَ السحرَ لؤلؤاً　　على غيـر لبَّاتٍ ومن غيـر أعناقِ
سِـوى نَفثـاتٍ للرُّصـافيِّ رُصِّفت　　شـرابـاً لـظمـآنٍ وكنـزاً لإمـلاقِ

* * *

(١) الوافي ٣: ٢٦٦ والمقتضب: ٧٠.
(٢) المقتضب: نجوم ذي شيبة.
(٣) هو يقرظ أبياتاً للرصافي (راجع الترجمة رقم: ٣٤).

ـ ٤٢ ـ
ابــن غلنــده

أبو الحكم عبيدالله بن علي بن غَلِنْدُه ـ بفتح الغين المعجمة وكسر اللام وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها هاء ـ الكاتب[1]، من أهل سرقسطة، وسكن إشبيلية وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وقد أسنّ، وكان يشارك في فنون من الطب والأدب وغير ذلك مع الخط البارع والاتقان لكلّ ما يحاول. ومن شعره:

يــا خيــرَ مَنْ عَلِقَ الفؤادُ بحبِّــهِ وأَجـلَّ من يسمـو إليــه النـاظــرُ
عجبـاً لأنـك ملءَ عينـك نــائمٌ وأنـا كمـا يختـار صـدُّكَ ســاهـر

ومنــــه:

آهِ والـبيـنُ قــد أَجَــدَّ بصـحبي لــو أفــاد الـعــزاءُ تكــرارَ آهــا
يـا لـواةَ الـديـونِ من غيـر عُسْـرٍ إن مَــطْلَ الـغنـيِّ ظلمٌ تـنــاهى

(١) من الوافي والمقتضب: ٧١ وانظر التكملة: ٩٣٧، حيث ذكر أنه أموي بالولاء، خرج من بلده سرقسطة حين تغلب عليه العدو وتوجه إلى قرطبة فأخذ فيها عن ابن أبي الخصال وأبي بكر الحجاري ثم رحل عنها إلى إشبيلية فأوطنها وكان شاعراً مترسلاً صَنَع اليدين ولبراعته في الخط كتب وقيد كثيراً، ويقال إنه بلغ سبعاً وتسعين سنة، ومن لزومياته:

إذا كـان إصلاحي لجسمي واجبـاً فـإصلاح نفسي لا محـالـة أوجبُ
وإن كان ما يفنى إلى النفس معجباً فإن الذي يبقى إلى العقل أعجب

وقال وهو من لزومياته(١):

تكثَّـرْ من الإخـوانِ للدهــرِ عُـدَّةً   فكثرةُ دُرِّ العقدِ من شَـرَفِ العِقدِ
وعظِّمْ صغيرَ القـومِ وابدأ بحقّـه   فمن خِنْصَرَيْ كَفَّيْكَ تبدأُ بالعَقْـدِ

* * *

(١) كان سبب قوله هذين البيتين أنه مرض فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السنّ فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم، ففطن لذلك وأنشد ارتجالاً: تكثر من الإخوان.. البيتين (انظر نفح الطيب ٣: ٥٩٧ ــ ٥٩٨) ثم نظر إليهم وأنشدهم ارتجالاً قوله:

مغيث أيـوب والكافي لـذي النون   يجلني فـرجـاً بـالكـاف والنـون
كم كربة من كروب الدهر فرجها   عني ولم ينكشف وجهي لمن دوني

ـ ٤٣ ـ

ابـــن طفيـــل

أبو بكر محمد بن عبدالملك بن طفيل القيسي[١] من أهل بَرشانة من عمل المريّة. وكان طبيباً أديباً كتب لوالي غرناطة وقتاً، وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان جنازته؛ وشعره في غاية الجودة وهو القائل[٢]:

أتـذكرُ إذ مسحتَ بفيـكَ عيني[٣] ... وقــد حلّ البكــا فيهــا عقــودَه
ذكــرتُ بـأنّ ريقــك مــاء وَردٍ ... فـقــابـلتُ الـحــرارة بــالـبــرودَه

وقـــال[٤]:

يقولون لي ظميـاءُ أضحتْ عليلةً ... فقلت فمـا بـالي بقيت إذن حيّـا
أتصبح شمسُ الأرضِ كاسفةَ السَّنا ... ولا يعتــري جسمي لعلّتهـا فيّــا
إذا ما طوى عني السقامُ وصالَهـا ... طوى الموتُ روحي في ملاءتِهِ طيا

---

(١) الوافي ٤:٣٧ والمقتضب: ٧٢ والبدر السافر، الورقة :١٢٨/أ والإحاطة ٢:٤٧٨ وانظر المغرب ٢:٨٥ والذيل والتكملة ٦:٤٠٧ والبيان المغرب ٣:٨٨، حيث أورد له قصيدة في استنفار العرب.

(٢) من المقتضب والوافي والبدر السافر ولذة السمع في صفة الدمع للصفدي (برنستون: ٢٨٠) ٢٣/ب.

(٣) المقتضب: دمعي.

(٤) من المقتضب.

وقال[١]:

ألمَّتْ وقد نام الرقيبُ وهوَّما وأسرت إلى وادي العقيق من الحمى
وراحتْ إلى نجدٍ فراح مُنَجَّداً ومرَّت بنعمانٍ فأضحى منعما
وجرَّتْ على تُرْبِ المحصّب ذيلَها فما زال ذاك التربُ نهباً مقسما
تناقَلُهُ أيدي الرجالِ لطيبه ويحمله الداريُّ أيّانَ يمما
ولما رأتْ أن لا ظلامَ يُجِنُّها وأن سُراها فيه لن يتكتما
سَرَتْ عذبات الريط عن حُرِّ وجهها فأبدت شعاعاً يرجع الصبح معلما
فكان تجلِّيها حجابَ جمالها كشمس الضحى يَعْشَى بها الطَّرف كلَّما
ولما رأت زُهْرُ الكواكبِ أنها هي النيِّرُ الأسمى وإن كُنّ بالسما
بكتْ أسفاً أن لم تَفُزْ بجوارها وأسْعَدها صوبُ الغمام فأسْجَمَا
تجلَّت يَمُجُّ القَطْرَ ريّانُ بُرْدها فتَنْفضُهُ كالدُّر فذاً وتوأما
يضم عليها الماء فضل ثيابها[٢] كما بلَّ سِقْطُ الطَّلِّ نَوْراً مُكَمَّما
ويَفْتَقُ نَضْحُ الغيثِ طيِّبَ عَرفها نسيم الصّبا بين العَرار تنسّما
جلَتْ عن ثناياها وأَوْمَضَ برقُها فلم أدر من شَقَّ الدُّجُنَّةَ منهما
وساعدني جَفْنُ الغمام على البكا فلم أدر وَجْداً أيَّنا كان أَسْجَما
ونظَّمَ سِمْطَيْ ثغرها ووشاحها فأبصرتُ دُرَّ الثغر أَحْلَى وأنْظما
تقول وقد ألْمَمْتُ أطرافَ كمِّها يديَّ وقد أَنْعَلْتُ أخْمَصَها الفما
نشدتُك لا يَذْهَبْ بك الشوق مذْهباً يُسَهِّل صعباً أو يُرَخِّص مَأْثَما
فأقْصَرْتُ لا مُستغنياً عن نوالها ولكن رأيتُ الصَّبر أوفى وأكرما

---

(١) جميعها في الإحاطة؛ والأبيات ١ ـ ٦ في المقتضب، ١٣ ـ ١٥ في الوافي، والبيتان ١٣، ١٤ في لذة السمع الورقة: ٣٠/ب.

(٢) كذا وهو في الأصل شديد التصحيف.

وهو القائل من قصيدة في فتح قَفْصة سنة ست وسبعين[١] وأُنْفِذت إلى البلاد[٢]:

ولما انقضى الفتحُ الذي كان يُرتجى وأصبح حزبُ اللَّهِ أغْلَبَ غالبِ
وأنجزَنا وعدٌ من اللَّهِ صادقٌ كفيلٌ بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التّوفيقُ حتى تبينت مقاصدنا مشروحةً بالعواقب
وأذعن من عُليا هلال بن عامر أبيٌّ ولبّى الأمرَ كلُّ مجانبِ
وهبُّوا إذا هبَّ النسيم كما سرى ولم يتركوا بالشَّرقِ عُلْقة آيب
يَغَصُّ بهم عُرْضُ الفَلا وهو واسع وقد زحموا الآفاقَ من كلِّ جانب
كأنَّ بسيطَ الأرض حَلْقَةُ خاتمٍ بهم وخِضَمُّ البحرِ بعضُ المذانب
ومَدَّ على حُكْمِ[٣] الصَّغارِ لسلمنا يَدَيْهِ عظيمُ الرومِ في حال راغب
يُصرِّحُ بالرؤيا[٤] وبين ضلوعه تَنَفُّسُ مذعورٍ وزفرةُ راهب
وَعَى من لسانِ الحالِ أفصحَ خُطْبة وما ضمنت[٥] عنه فِصاح القَواضب
وأبْصَر مَتْنَ الأرضِ كِفَّةَ حابلٍ عليه وما ضرَّاه في كفِّ حالب
أَشَرْنَا بأعناقِ الجياد إليكم وعُجْنا عليكم من صدور الرّكائب
إلى بُقْعَةٍ قد بيَّنَ اللَّهُ فضلها بمن حلَّ فيها من وليٍّ وصاحب

(١) في الأصل: ست وتسعين وهو خطأ، فإن الخليفة الموحدي أبو يعقوب خرج من مراكش سنة ٥٧٥ ووصل في السنة التالية تلمسان، وفي صفر منها توجه إلى قفصة ووصل إليه أشياخ العرب من قبيلة رياح وغيرها وحاصر قفصة وافتتحها وأسكنها بعسكر من الموحدين ونزل عنها الثائر المعروف بالطويل وأرسل إلى الأندلس ومراكش القصيدة التالية مبشراً بالفتح.

(٢) جميعها في الإحاطة، والأبيات ١ ـ ٤، ٧ ـ ١٤ في البدر السافر، والأبيات ١، ٢، ٥ ـ ١٠، ١٢، ١٣ في البيان المغرب ٣: ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) البيان: رغم.

(٤) البيان: بالرغبى.

(٥) البيان: صمتت.

على الصَّفوة الأدْنَين منّا تحيةٌ   توافيهمُ بين الصَّبا والجَنائب

وقال[١]:

سألتُ من المليحةِ بُرءَ دائي   برَشْفِ بَرُودِها العذبِ المزاج
فما زالتْ تُقْبِّل في جفوني   وتَبْهرني بأصناف الحِجاج
وقالت إن طَرْفك كان أصلاً   لدائك فلْيقَدَّم في العلاج[٢]

* * *

(١) في الإحاطة والبدر السافر.
(٢) البدر: بالعلاج.

ـ ٤٤ ـ

ابـــن لبـــال

أبو الحسن عليّ بن أحمد بن لَبّال الأميـي القاضي(١)، من أهـل شريش. توفي بها سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ضُحى يوم الثلاثاء الثاني لذي الحجة، ودفن في اليوم المذكور.

ومـــن قولـــه:

لمّا تقوَّس منّي الجسمُ(٢) عن كِبَرِ   فآبيضَّ(٣) ما كان مُسودّاً من الشَّعَرِ
جعلتُ أَمشي كـأنّي نصفُ دائـرةٍ   تَمشي على الأرض أو قوسٌ بلا وتَر

وقـــال:

قــوَّس ظَهــري المَشِيبُ والكِبَــرُ   والــدَّهــر يــا عمــرُو كُلُّه عِبَــرُ
كــأنّني والـعصــا تَــدبُّ مـعـي   قــوسٌ لهـا وهَيْ في يــدي وتَــر

---

(١) من الوافي والمقتضب: ٧٤ والبدر السافر، الورقة ٢/ب وانظـر: صلة الصلـة: ١٠٨ والمغرب ١: ٣٠٣ والتكملة رقم: ١٨٧٤ والـذيـل والتكمـلة ٥: ١٦٩ وروايـات المبرزين: ٢٣ ونفح الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٦٤، ٢٣١، ٢٣٣.
وكان ابن لبال معتنياً بالقراءات مجوداً لها وافر الحظ من الآداب حافظاً للتاريخ والنسب، عاقداً للشروط، واستقضي بشريش، فكان قائماً بالعدل في أحكامه، ثم تخلى عن القضاء وتجرد للتدريس ونشر العلم، وكان براً بالطلبة لين الجانب، مبتذلاً في لبسته يتولى خدمة نفسه وشراء ما يحتاج إليه، وله شرح على المقامات، ومقدمة في العروض، ومولده سنة ٥٠٨.

(٢) البدر: الظهر.

(٣) البدر: وابيض.

وقال:

ما كنتُ أحسب قبل رُؤيـة وجهه   أنّ البُـدورَ تَـدُورُ في الأَغْصـانِ
غـازلتُـهُ حتى بـدا ليَ ثَـغْـرُهُ   فـحسبتُـهُ دُرّاً عـلى مَـرْجـان
كـم ليـلةٍ عـانقتُـهُ فكـأنـمـا   عـانقتُ من عِـطْفَيْـهِ غُصْن البـان
يَطغى ويلعبُ تحت عَقد سواعِدِي   كـالمهـرِ يلعب بين[١] ثِنْي عِنـان

ولـه:

ألـبسـني حُـلَّةَ الـضـنـا قـمـرٌ   ألـبسـه الـحسـنُ حـلَّةَ الـخـفـرِ
أَرسـل من صـدغـه لعـارضِـهِ   ذؤابـةً تـحت لـمـةِ الـشـعـرِ
يـفـتـرُّ عـن فـضـةٍ وعـن بَـرَدٍ   وعـن أَقـاح نـدٍ وعـن دُرَرِ

* * *

(١) البدر: تحت.

ـ ٤٥ ـ
ابـن مسلمـة

أبو الحسين محمد بن محمد بن مسلمة[1] من أهل إشبيلية، ودار سلفه قُرطبَة، وكان جميل الصورة في صغره، وفيه يقول أبو العباس اللصّ[2]:

خـلبـتَ قـلبي بـلحظٍ أبـا الـحـسـينِ خَـلوبِ
فـلِمْ أسـمَّـى بـلصٍ وأنـت لصُّ الـقـلوبِ

توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وقال في كير الحدّاد:

ومنضّـدٍ فيه الـريـاحُ سـواكنٌ فـإذا تـحـرَّكَ آذنْـت بـهبوبِ
يَـطوي على زَفَـراتـه كشحـاً لـه عنـد التحرُّكِ هيئـةَ المكـروبِ
ولآبنُـوس الفحم إن عَـرَّضـتَـهُ أهـدى له مـا شئتَ من تـذهيبِ
صَـدرُ المحبّ يُخال منه مُعْمَـلاً ومـتى تُـعـطّلهُ فخصـرُ حبيـبِ

وله من قصيدة يمدح:

مـا دارهم بـمجيبـةٍ أطـلالُهَـا فـاستجرِ دمعَـكَ لن يُفيدَ سؤالهـا
أعيتْـكَ دارسـةٌ سـطا بجـديـدهـا كـرُّ الجديـد فـأشكلتْ أشكـالُهـا
والـدارُ تلك وإنمـا بـك لـوعـةٌ ألقـاكَ في ليل الشكـوك ظـلالهـا
يا دارَ وادي الشطِّ من أعلى القُرى هـطلتْ عليكِ من الغمـام ثقالُهـا
عهدي بدَوحِكِ وهو يخطر من قناً والسِـربِ وهو من الجيـادِ رِعالُهـا
وَمَهـاكِ هذي البيض وهي أوانسٌ يقصـدن حَبَّـاتِ القلوبِ نِبـالُهـا

---

(١) الوافي ١ :٢١٣ والمقتضب: ٧٥.

(٢) نفح الطيب ٤ : ٢٠٠ ـ ٢٠١.

نَفـرٌ تَصِيـدُ ولا تُصـادُ وإنـمـا   تُـدني لنـا آجـالَنـا آجـالُهـا
من كـلّ سابغـة الوشـاح خـريـدةٍ   لفّـاءَ غَصٍّ بسـاقهـا خلخـالُهـا

منهــا:

أيامَ أرضُـكِ لا يـطيـرُ غـرابُهـا   سـالتْ مـذانبهـا ورقَّ ظـلالُهـا
فكـأنّهـا والأمْـنُ فيـهـا والمُـنَى   لأبـي سليمـان آغتـدتْ أعمـالُهـا

* * *

ـ ٤٦ ـ

ابـــن ذمــام

أبو محمد عبدُالله بن محمد بن ذِمَامٍ(١)، الكاتب المُرْسي: من أهل لَقَنْت ـ بفَتْح اللام والقاف وسكون النون وبعدها تاءُ ثالثةُ الحروف ـ من عمل مرسية وسكن مالقة. وكان في أول أمره توجّه إلى مرّاكُش وتعلّق بخدمة أبـي الغَمر هلال ابن الأمير محمد بن مَرْدنيش(٢)، فكتب إليه أبوه الأستاذ أبو عبدالله مع رسالةٍ يُشْعِرُهُ اللُّحاقَ به وقد رغب إليه فيه:

إلى الحَضْرةِ العُلْيا المَسيرُ المُحقَّقُ ... بهـا أَمَلٌ إنْ شـاءَهُ اللّـهُ يَلْحَقُ
بهـا كعبةُ الآمـال طُوبـى لِـطائِفٍ ... يُـقَـبِّـلُ أَرْكـانـاً لـهـا ويُـخَـلِّقُ
فطوبـى لِمَنْ أمسى وقد حَطَّ رَحْلَهُ ... بسـاحـةِ بـابٍ للهُـدى ليس يُغْلَقُ
وتعساً لمَنْ لم يَنْظِم الدَّهْرُ شَمْلَهُ ... بمـرّاكُش الغَـرَّاء حيث التـأنُّقُ

فراجعه برسالةٍ يقول فيها:

بنـانُـك مِنْ بَحْـر المَعَـارِفِ تُنْفِقُ ... وذَهْنُـكَ للمعنى البـديـع مـوفَّقُ
فنـظْمُـكَ دُرٌّ أَنْفَسُ الـدُّرِّ دونَـه ... ونَثْـرُكَ مِسْكٌ طيِّبُ العَـرْف يَعْبَقُ
وأنـتَ مليـكٌ لـلبـلاغـة كلِّهـا ... ورايـاتُها من فـوق رأسِـكَ تَخْفِقُ

---

(١) الوافي ١٧: ٥٤٦ والمقتضب: ٧٦.

(٢) هو أكبر أولاد محمد بن سعد بن مردنيش؛ وبعد أن قضى أبو يعقوب الموحدي على ابن مردنيش، تزوج إحدى بناته وقرَّب الأبناء وجعل لهلال شرق الأندلس وبالغ في تقريبه، حتى انه أعطاه في يوم واحد اثني عشر ألف دينار (انظر المعجب: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ وكنيته فيه أبو القمر ولعله أصوب ليوافق لفظة «هلال»، وصفحات متفرقة من المن بالإمامة).

وللَّهِ بِكْرٌ بنتُ عَشْرٍ زَفَفْتَها ... تُعَبِّر عن سحرٍ حَلالٍ وتَنْطِقُ
تجلَّتْ فجلَّتْ أن يُعارَضَ حُسْنُها ... وكيف وفيها للمعالي تَأَنُّقُ
وما هو إلّا أن فضضْتُ ختامها ... فهَيَّجَ بلبالي إليك التَّشَوُّقُ
فيا لَيْتَ مُرَّ الشوقِ لم تَدْرِ طَعْمَهُ ... ويا ليتَ هذا البينَ لم يَكُ يُخْلَقُ
فذاكَ لِلَذَّاتِ التَّواصُلِ قاطِعٌ ... وهذا لشمل الأَقْرَبينَ مُفَرِّقُ

واقْترح عليه أبو الغَمر المذكور أن يعارض أربعةً من أشعار الغناء، أولها:

يَخُطُّ الشَّوْقُ شَخْصَك في ضَميري ... على بُعْدِ التَّزاوُرِ خطَّ زُورِ

فقال:

ملكتَ الفَضْلَ يا نَجْلَ ابنِ سَعْدٍ ... فما لكَ في الأكارمِ من نَظيرِ
حُسامُكَ حاسمٌ عَدْوَ الأعادي ... ومالُكَ مُذْهِبٌ عُدْمَ الفقيرِ
ووَجْهكَ إن تَبَدَّى في ظَلامٍ ... تَجلَّى عن سَنا قَمَرٍ مُنيرِ
لِذا سَمَّاكَ مَنْ سَمَّى هلالاً ... لإشراقٍ حُبِيتَ به ونُورِ

وثانيها:

أشاقك طيفٌ آخِرَ الليل مِنْ هند ... ضمانٌ عليه أن يَزُورَ على بُعْدِ

فقال:

حكى دَمْعُها الجاري على صَفْحَةِ الخدِّ ... نَثيرَ جُمانٍ قد تساقطَ من عِقْدِ
فقلتُ لها: ما بالُ دَمْعِكِ جارياً ... فقالتْ: لِمَا في القلب من أَلَم الوَجْدِ
ولولا لَهيبٌ ظلَّ بين جَوانحي ... يُجَفِّفُ دَمْعي كان كالسيل في المَدِّ
وما يُطْفِىءُ الجَمْرَ المضرَّمَ في الحَشَا ... سِوَى وصلِ مَوْلانا هِلالٍ أبي سَعْدِ

وثالثُها:

أُعَانِقُ غُصْنَ البَانِ منها تعلُّلاً ... فأُنْكِرُهُ مَسّاً وأَعْرِفُهُ قَدّا

فقـــال:

شكتْ يا لها تشكو لفَرْطِ صبابةٍ ولوعةِ وَجْـدٍ ألبستها الضَّنَى بُـرْدَا
وقالتْ ودمعُ العينِ في وَرْدِ خَدِّها يُريكَ جُمان الطَّلِّ إذْ بَلَّلَ الـوَرْدا
أيـا قَمَـرٌ رِفقـاً على القلبِ إنَّـه سَقِيمٌ ضعيفٌ ليس يَحْتَمِلُ الصَّدَّا
فلو حمّلتْ شُمُّ الجِبال من الهوى كبعض الـذي حُمّلْتُهُ هـدَّها هَـدَّا

ورابعُهـــا:

صحا القلبُ عن سلمى وَعُلِّق زَيْنَبَا وعـاوَدَهُ أضعـافُ مـا قـد تَجَنَّبـا

فقـــال:

إذا نَمَّتِ الأزهــارُ واعتلَّتِ الصَّبـا وَهَيَّجَتِ الألحانُ أَشْجَانَ مَنْ صَبَا
ودَارَتْ كؤوسٌ للمُـدامِ تَخَـالُهـا لـرِقَّـةِ مـا فيهـا لُجَيْنَـاً مُـذَهَّبـا
تَـهُـزُّ هـلالاً لـلمـكـارم هَـزَّةً كهـزِّ القنا يـومَ الكـريهـةِ والـظُّبا
ففي حـالةِ الإفْضـال يُشْبهُ حـاتماً وفي حالة الإقْـدام يحكي المُهَلَّبا

ومن شعره ـ والرابع مُضَمَّن:

نَفَى نَـوْمي وهَيَّـجَ لي خيـالـي فِـراقٌ لم يكنْ يَجْـري بـبـالي
وكـنَّـا قبـلَه في خَـفْضِ عَـيْشٍ وأُنْسٍ وانـتِـظامٍ واتّـصـالِ
فـشـتّـتـنـا الـفِـراقُ ورَوَّعَـتْـنَـا مَـطِيُّ البَيْـنِ تُـدْنى لارتـحـالِ
«فلو نُعْـطَى الخيـارَ لمـا آفْتَـرَقْنـا ولكن لا خِيـارَ مـع الليـالـي»

* * *

ـ ٤٧ ـ
أبو بكر اليعمري

أبو بكر محمد بن محمد بن حارث اليعمري[١] من أهل أبذة ـ بالذال المعجمة وباؤها الموحدة مشددة وهمزتها مضمومة ـ أنشدني أبو عبدالله ابن الصفّار الضرير، قال: أنشدنا أبو بكر المذكور لنفسه يهجو ابن همشك:

همشكٌ ضُمَّ من حرفين من همٍّ ومن شَكِّ
فعين الدين والدنيا لإمرَتِهِ أَسًى تبكي

هذا إبرهيم بن أحمد بن همشك[٢] رومي الأصل مَلَكَ في الفتنةِ جيّان وشقُورة وكثيراً من أعمال غرب الأندلس، كان عاتياً قاسياً، فكان يعذّب خلق الله تعالى بالتعليق والتحريق، ولا يتناهى عن منكرٍ فعلَهُ من رميهم بالمجانيق، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق، وصاهر ابن سعد وحالفه ثم إنه صار إلى الدعوة المهدية على يد الشيخ أبي حفص رحمه الله.

وحكى ابن صاحب الصلاة عن بعض الصالحين أنه رآه في النوم فقال له: كيف حالك وما لقيت من ربك؟ فأنشده بيتين لم يُسمعا قبلُ وهما:

---

(١) الوافي ١: ٢١٤ والمقتضب: ٧٧.

(٢) كان ابن همشك صهر ابن مردنيش ومؤيداً له في رفض طاعة الموحدين، وداخل النصارى واستمدهم وهاجم كثيراً من المدن الأندلسية، ثم نشأت بينه وبين ابن مردنيش شحناء طلق ابن مردنيش على أثرها ابنة إبراهيم هذا وطردها إلى أبيها، فعند ذلك تطارح ابن همشك على أبي حفص يطلب التوحيد والتوبة، فوصل قرطبة عام ٥٦٤ واستقبل استقبالاً حسناً (راجع صفحات متفرقة من المن بالإمامة والجزء الثالث من البيان المغرب والحلة السيراء).

من سرَّهُ العَيثُ في الدنيا بخلقةِ من ‏ ‏ يصوِّر الخلقَ في الأرحام كيف يَشا
فليحزَنِ اليومَ حـزناً قبـل سَطوتِـهِ ‏ ‏ مُغَلَّلاً يمتَـطي جمرَ الغضـا فُرُشـا

* * *

ـ ٤٨ ـ
ابـن أيـوب

أبو الحجاج يوسف بن عبدالله بن أيوب الفهري[١]: من أهل دانية، وسكن بَلَنسية، وولي بها الأحكام،وكان له بعَقد الشروط استقلال، وتوفي في شعبان سنةَ اثنتين وتسعين وخمسمائة.

وأنشدني أبو الربيع ابن سالم، قال أنشدني لنفسه[٢]:

أَبـى اللَّـهُ إلّا أن أفـارقَ منـزلاً ... يُـطالعني وجهُ المُنى فيه سـافـرَا
كـأنَّ عـلى الأقـدارِ ألا أحُـلَّه ... يمينـاً فمـا أغشـاه إلا مُسـافـرا

وقـولـه:

تـذكـرتُ فـانهلَّتْ جفـونيَ أدمعـا ... مَصيفاً على عهد الشبابِ وَمَرْبَعَـا
منـازلُ حالتْ دونَهـا غربـةُ النوى ... وهـاجتْ عليهـا للمشـوقِ تفجعـا
وقد راقني والشمسُ تقضي حُشاشةً ... لهـا والـدجى قـد آن أن يتقنعـا
تـألَّفَ سـربُ خلتـه وَسْطَ مِـذْنبٍ ... سفيناً على ساجٍ من البحر مُقْلِعا

ومنهـا:

تهـادَى أُصَيْـلانـاً إلى وُكُنـاتِـهِ ... كمثـل المهـاري بـالأزمَّـةِ نـزعـا
دعـاهُ لهـا داعي الحنينِ وحثَّـهُ ... حبابٌ إلى تلك السبيل فـأسرعـا
وسـدَّد مسعـاه هنـالـك خـائفٌ ... تـوقَّـع من حصبـائِـهِ مـا تـوقعـا

* * *

(١) من الوافي والمقتضب: ٧٨ والبدر السافر، الورقة: ٢٤٢/أ.
(٢) البيتان في النفح ١: ٩٢، ٤: ١٥٤.

ـ ٤٩ ـ
ابن رضا

أبو عمرو رضيّ بن رضا الكاتب[١] من أهل مالقة، أنشد لبعضهم هذه القطعة وهي:

أرادوا بعادي فأدنيتهمْ ... فقالوا عجيبٌ عجيبٌ عجيبْ
فأهملتُ دمعي على وجنتي ... فقالوا مريبٌ مريب مريب
فناديتُ في الحيِّ يا غربتي ... فقالوا غريبٌ غريب غريب
فقلتُ متى الوصلُ يا سادتي ... فقالوا قريبٌ قريب قريب
فسلَّمتُ تسليمَ صبٍّ بهم ... فقالوا حبيبٌ حبيب حبيب

واستغربت بمالقة، فصنع في ذلك مقامة تدلُّ على مكانه من الأدب، وقال يعارضها:

نسبتُ بها في الهوى مُعْلناً ... بذكري فقالوا نسيبٌ نسيبْ
وأغربتُ في حبِّها طالباً ... رضاها فقالوا غريبٌ غريب
أهابَ التصابي فلبيتُهُ ... وهبتُ فقالوا مهيب مهيب
وكم قد كُذبت فلم أنخدعْ ... لقيلٍ فقالت كذيب كذيب
أرابوا وإني لذو إربةٍ ... وإربٍ فقالت أريب أريب
عسى وطن سمعت منشداً ... يقول فقالتْ حبيبٌ حبيب

وله أيضاً:

ولما التقينا نسيتُ النسيبَ ... فقالت نسيبٌ نسي بي النسيبا

---

(١) الوافي ١٤: ١٣١ والمقتضب: ٧٩.

وحـقـقـت أنـيَ مـغـرًى بـهـا فقالت غريبٌ غـري بـي غـريبـا
كَنَتْ عـن محـبٍّ بغـيـر اسمِـهِ فقـالت منيبٌ مُنـي بـي منـيبـا

ومن شعره قوله:

بكيتُ بـدمـع كَـذَوْبِ العـقـيـق غـرامـاً وشـوقـاً لـوادي العقيقْ
وبـيـتٍ عـتـيـقٍ ثـوى تُـرْبَـهُ مـحـمـدُ الـمصـطفى أو عتـيـق
فـللَّـهِ تـربٌ كمسـكٍ سـحـيـقٍ عـدانـيَ عنـه مـكـانٌ سحيـق
بـودِّيَ لـو سـرتُ سيـرَ الفنيق أجـوب إلى البيت نـيقـاً فـنيـق
فـأبغي لأعـلى رفيـقٍ خـلاصـاً عسى الرَّبُّ الآعلى يرى بـي رفيق

وحدَّثني أبو الحسين عبدالله بن محمد بن الموصلي بثغر بطليوس أن أبا عمرو هذا استشهد بدانية[١] من نواحيها، وهو إذ ذاك يتولَّى الكتابَةَ لواليها بعد التسعين وخمسمائة.

* * *

(١) المقتضب: براية؛ الوافي: بدانة.

ـ ٥٠ ـ

ابـن البـراق

أبو القاسم محمد بن علي الهَمْدَاني(١) ـ بالميم الساكنة والدال المهملة ـ المعروف بابن البرَّاق(٢) من أهل وادي آش، وخرج منها في الفتنة فسكن مُرسية وبَلنسية وكتب بها الحديث وسمع من شيوخها ثم انصرف إلى بلده قبل التسعين وخمسمائة وبعد موت ابن سعد وتوفي هنـاك سنة ست وتسعين وخمسمائة. ومن قوله(٣):

للفجر من خَلَلِ السحاب تشوُّفُ　　وعلى المَـذاكي عـزّةٌ وتشـرُّفُ
فكـأنّ مَـوشيّ الـدَّرانِكِ سُنـدسٌ　　وكـأنّ منضـود الأرائـكِ رَفْـرَفُ
ولـربّمـا سَجَعَتْ هنـاكَ حمـائمٌ　　فحسبتُ أنَّ بهـا قيـانـاً تعـزِفُ

وقوله في لابس ثوبٍ أصفر فوق أحمر(٤):

بَـرَّحَ بـي ذو محـاسنٍ صَـرَفَتْ　　لـواحظَ الخلقِ عن سَنـا الـفلقِ

---

(١) الـوافي ٤ : ١٥٦ والبـدر السـافـر، الـورقـة: ١٣٩ والمقتضب: ٨٠ وانـظر التكملـة: ٥٥٦ والذيل والتكملة ٦ : ٤٥٧ والمغرب ٢ : ١٤٩؛ وهو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم؛ وأطال ابن عبدالملك في ذكر شيوخه اعتماداً على برنامج له، وكان محدثاً حافظاً راوية، ذا نظر صالح في الطب أديباً بليغاً سريع البديهة، وله عدة مصنفات، غربه ابن سعد عن بلده فعاد إليها بعد وفاة ابن سعد سنة ٥٦٧ وتوفي فيها، وأورد له الرعيني (البرنامج: ١٥٢) مطلع قصيدة طويلة في النبي (ص) سماها القراءة اليثربية وذكر أن له جزءاً في صناعة التوشيح؛ وانظر نماذج من شعره في النفح ٣ : ٥٠٦.

(٢) البدر: بابن البزاق، المقتضب: المعروف بالبراق.

(٣) من الوافي وحده.

(٤) من الوافي والبدر السافر.

تشتاقُهُ أضلُعي وإن رَشَقَتْ　　أحناءَها منه أسهُمُ الحدقِ
يَعطفُهُ التيهُ في مصبَّغةٍ　　بَثَّتْ هناك الشعاع في الأفقِ
كالشمس عند الأصيل قد لبستْ　　صفرتَها تحت حمرةِ الشفقِ

ومن قوله في مليح يلبس أطماراً، قاله ارتجالاً[١]:

عاينتُه بين أطمارٍ يُزانُ بها　　ما بين مستترٍ منها ومنكشفِ
كأنّه قمرٌ دارتْ به سُحُبٌ　　فالبعضُ منكشفٌ والبعضُ في سَدَفِ

وقوله[٢]:

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهم　　لا يحسنُ الروضُ ما لم ينبتِ الزَّهَرُ
هل التحى طرفُهُ السَّاجي فأَهجرَهُ　　أو هل تزحزحَ عن أجفانِهِ الحَوَرُ

* * *

(١) من الوافي والمقتضب.
(٢) من المقتضب والبدر السافر.

ـ ٥١ ـ
ابـن الفـرس

أبو محمد عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم بنِ أحمد الخزرجي القاضي المعروف بابن الفرس(١) المالكي، من أهل غرناطة وبيوتاتها الأصيلة؛ [(٢) وحكى ابن الصيرفي أن جده أبا القاسم سمع بغرناطة أول الدولة المرابطية على القاضي أبي الأصبغ ابن سهل. وحكى أيضاً أن أبا بكر ابن جعفر القليعي ولاه قضاء المنكب فتقبله كارهاً، وكان فقيهاً حافظاً مبرزاً وإليه كانت الرحلة في وقته؛ < وذكر أنه من أهل بيت علم وجلالة بغرناطة > قلت: غاب عن الصيرفي من كان منهم بشارقة الأشراف من عمل بلنسية].

[(٣)سمع أبو محمد أباه وجدَّه أبا القاسم وتفقه في كتب أصول الدين

---

(١) من الوافي؛ ولكن يبدو أنه يعتمد في الترجمة على تحفة القادم وعلى غيره، والمقتضب: ٨١؛ وانظر ترجمة له في بغية الملتمس رقم: ١٠٥٠ وبرنامج شيوخ الرعيني: ٦٥ وصلة الصلة: ١٧ والتكملة رقم: ١٨١٤ والذيل والتكملة ٥: ٥٨ والإحاطة ٣: ٥٤١ وروايات المبرزين: ٥٤ وبغية الوعاة ٢: ١١٦ والبلغة: ١٣١.
وقد أطنب ابن عبدالملك في عد شيوخه والآخذين عنه وذكر أنه كان متقدماً في علوم اللسان فصيح المنطق، استظهر المدونة وكتاب سيبويه واعتنى بمصنفات الفارسي وابن جني؛ وذكر له ابن الخطيب عدة مؤلفات واختصارات ومنها ردّ على رسالة ابن غرسية.

(٢) يقول صاحب المقتضب: وذكر (أي ابن الأبار) ما قاله الصيرفي في جده عبدالرحيم؛ وقد نقلت ما ذكره الصيرفي عن التكملة ولكن لعل المقصود هو ما زدته < > أي أنه من أهل بيت علم وجلالة، وهذا النصّ قد ورد عند ابن عبدالملك.

(٣) ما بين معقفين هنا متابع لما في الوافي ولكني لست على يقين من أنه من نوع ما يحرص ابن الأبار على قوله في تحفة القادم، فلعله من مصدر آخر، إلا ذكر عام الوفاة فإنه ورد في المقتضب.

والفقه وبرع وألف كتاباً في أحكام القرآن(١) من أحسن ما وضع في ذلك، واضطرب < في روايته >(٢) قبل موته بقليل، وكسر الناس نعشه لما مات(٣)، رابع جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة].

ومن شعره:

بعثوا برأسِ العلج عنه مُخْبِراً — يا مَنْ رأى مَيْتاً يقولُ ويخبرُ
فسما به مَتْنُ القناةِ كواعظٍ — يسمو به بين المعاشرِ منبر
وكأنه قد أثمرته قناتُهُ — يا من رأى غصناً برأسٍ يثمر

ومنه قوله أيضاً:

انظر إلى رأسٍ نأى عن جسمه — ولرب نأيٍ ليس فيه تلاقِ
أَضحى له سورُ المدينةِ جُثَّةً — من غير رِجْلٍ ظاهرٍ أو ساق
وكأنَّ ذاك السُّورَ مقعدُ نزهةٍ — وكأنه متشوفٌ من طاقِ

ومن شعره ويروى لغيره(٤):

أأدعو فلا تُلْوي وأنت قريبُ — وأشكو فلا تُشْكي وأنت طبيبُ
فهل شِيبَ من تلك المصافاةِ مَشْرَعُ — وَهِيلَ على ذاك الإخاءِ كثيب

ومنه في صدر رسالة(٥):

ما بالنا متهماً وذُنا — ونحن في ودكمُ نقتتلْ
كأنكم مثلُ فقيهٍ رأى — أن يتركَ الظاهرَ للمحتمل

---

(١) قال عنه ابن عبدالملك: إنه أجل ما صنف في بابه.
(٢) زيادة من الذيل والتكملة؛ وهذا الاضطراب الحادث له إنما كان بسبب اختلال أصابه صدر سنة ٥٩٥ مع علة خدر طاولته.
(٣) يعني كسروه وتقسموه تبركاً به. وقال ابن الخطيب: وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه.
(٤) ورد البيتان في المقتضب.
(٥) وردا أيضاً في بغية الوعاة.

ومنه في خسوف القمر:

تـطَلَّعَ البـدرُ لم يشعـرْ بناظِـرِهِ حتى استوى ورأى النظّارَ فاحتجبا
كالخودِ ألقتْ رواقَ الخدرِ ناظـرةً ثم استـردَّت حياءً فـوقها الـطنبـا

ولي في ذلك(١):

ألم تـر للخسـوف وكيف أَودى ببـدر التـمِّ لـمـاع الـضـيـاء
كمـرآةٍ جـلاهـا الصقـلُ حتـى أنـارت ثـم رُدَّتْ فـي غـشـاء

ولي فيه أيضاً بعكس المعنى وإبقاء التشبيه(٢):

تـنـاولتِ الـمـرآةَ وهي صـقيـلةٌ تَـأَمَّلُ وجهـاً دونـه ذلـك الصَّقْـلُ
فلمـا تنـاهت أَوْدَعَتْهـا غشـاءَهـا وقد حَدَّثَ القرطاسُ واستمع الحجل
فشبهتهـا بـدراً عـلاهُ خسـوفُـهُ فـأظلم منه مـا أَنار لـه قبـلُ

ومن شعر ابن الفرس في تفاحة:

وتفـاحـةٍ يُهـدي إليـك نسيمهـا فمـا شئت من طيبٍ ينمُّ لنـاشِقِ
تـروقُكَ منهـا حمرةٌ فـوق صفـرةٍ كوجنةِ معشـوقٍ على خدِّ عـاشق

ومن شعره في نارنجة وسط النهر:

ونـارنجـةٍ في النهـرِ تحسبُ أنهـا شـرارةُ جمـرٍ في الـرمـادِ تلوحُ
وما هو إلا الروضُ أبدى شقيقَـهُ يهـدِّبهـا غُصْنٌ هـنـاك مَـرُوحُ
أو الدرع تضفو فوق أعطافِ فارسٍ غدا في رحى الهيجاء وهو جريح
تـغيـب وتبـدو مـرةً فكـأنـهـا عقيقـةُ بـرقٍ في الحبيِّ تـلوح
كـأن حبـابَ المـاءِ يكتمُ سـرَّهـا وقـد جعلت تفشـو بـه وتبـوح

وقال ابن الفرس هذه الأبيات بجزيرة شقر، وفي نهرها أبصر تلك

---

(١) ديوانه: ٥٤.
(٢) ديوانه: ٢٥١.

النارنجة، وجاراه فيها جماعة منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن فتحون المخزومي فقال:

ولقد رميتُ مع العشيِّ بنظرةٍ ... في منظرٍ غضٍّ البشاشةِ يبهجُ
نهرٌ صقيلٌ كالحسام كأنه ... روضٌ لنا نفحاتُهُ تتأرج
تثني معاطفَهُ الصَّبا في بُرْدَةٍ ... موشيَّةٍ بيدِ الغمامة تُنْسَجُ
والماءُ فوق صفائِهِ نارنجةٌ ... تطفو به وعبابُهُ يتموج
حمراءُ قانيةُ الأديم كأنها ... وَسْطَ المجرَّةِ كوكبٌ يتوهج

وقال أبو المطرف ابن أبي بكر ابن سفيان المخزومي في ذلك:

ومنظرٍ قد راقني حُسْنُهُ ... من أزرقٍ ينسابُ كالأَرْقَمِ
أبصرتُهُ يحملُ نارنجةً ... طافيةً حمراءَ كالعندم
ودرَّجَتْ ريحُ الصَّبا مَتْنَهُ ... لما انبرت وهيَ بها ترتمي
فخلته مهنداً مُصْلَتاً ... هُزَّ وفيه قطرةٌ من دم

وقال محمد بن إدريس المعروف بابن مرج كحل(١):

وعشيةٍ كانت قنيصةَ فتيةٍ ... ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
وكأنها العنقاءُ قد نصبوا لها ... مِنَ الانحناء إلى الوقوع فخوخا
شملتهمُ آدابهم فتجاذبوا ... سرَّ السرور محدِّثاً ومصيخا
والورْقُ تقرأ سُورةَ الطربِ التي ... يُنسيكَ منها ناسخٌ منسوخا
والنهرُ قد طَفَحَتْ به نارنجةٌ ... فتيممت من كان فيه منيخا
فتخالهم خَلَلَ السماء كواكباً ... قد فارقت بسعودها المريخا
خرق العوائدَ في السرورِ نهارُهُمْ ... فجعلتُ أبياتي له تاريخا

---

(١) الأبيات في برنامج شيوخ الرعيني: ٢٠٨.

وقال عبدالمنعم ابن الفرس أيضاً:

ونارنجةٍ تحمرُّ في النهرِ مثلما توقَّدَ نجمٌ في المجرةِ سابحُ
تحملها صدرُ الغديرِ كأنَّها سريرةُ حبٍّ قد طوتها جوانح

ومن شعره:

انظر إلى خضرةٍ في الزرع قارنها مبيضُّ نَوْرٍ ومصفرٌّ وأحمرُهُ
كثوبِ وشيٍ أجادَتْهُ صوانعه والريحُ تطويه طوراً ثم تنشره

ومنه أيضاً:

أخاماتُ زرعٍ أم بحورٌ تلاعبتْ بأمواجها أيدي الرياح النواسمِ
تراها أمام الريح وهي تسوقها كجيشِ زنوجٍ فرَّ قدَّامَ هازم

وأنشدنا أبو الربيع ابن سالم قال أنشدنا أبوعبدالله ابن زرقون، أنشدنا أبو الفضل عياض لنفسه ارتجالاً، وقد نظر إلى زرع تتخلل الشقر خضرته[١]:

انظر إلى الزرع وخاماتِهِ تحكي وقد ولَّتْ أَمامَ الرياحْ
كتيبةً خضراءَ مهزومةً شقائقُ النعمانِ فيها جراح

* * *

(١) البيتان في أزهار الرياض ٤: ٢٤١.

ـ ٥٢ ـ
ابــن إدريس

أبو بحر صفوان بن إدريس التُّجيبي[١] الكاتب، من أهل مرسية وفي نبيهات البيوتات بها. وهو ممن جمع تجويد الشعر إلى تحبير النثر، مع سداد المقصد وسلامة المعتقد. ومن تصانيفه كتاب «بداهة المُتحفز[٢] وعجالة المستوفز»، يشتمل على رسائله وأشعاره، وما خُوطب به وراجع عنه، و«زاد المسافر» ـ وهو الذي عارضته بهذا المجموع ـ وتأليف في أدباء الأندلس لم يُكمله، ومن أصحابنا من عثر على بعضه فحدّث بكثرة ما حُشر فيه من الفوائد.

وتُوفي مُعْتَبَطاً لم يبلغ الأربعين سنة، وثكله أبوه الخطيب أبو يحيى، وهو تولّى الصلاةَ عليه عند وفاته في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

أنشدني الأديب أبو محمد عبدالله بن علي الغافقي المرسي، قال: أنشدني [أبو البحر] لنفسه[٣]:

أَحمى الـهَـوى قلبـه وأَوْقَـدْ   فَـهْـو عـلى أنْ يـمـوت أو قَـدْ
وقـال عـنـه الـعـذولُ سـالٍ   قـلَّده الـلّـهُ مـا تـقـلَّد

---

(١) وردت ترجمته في التكملة: ٨٦٧ والذيل والتكملة ٤: ١٤٠ ومعجم الأدباء ١٢: ١ والإحاطة ٣: ٣٤٩ والمغرب ٢: ٢٦٠ وروايات المبرزين: ٧٩ وشرح مقصورة حازم ١: ٥٧ وصفحات متفرقة من نفح الطيب، وانظر مقدمة «زاد المسافر» وأدباء مالقة: ١٠١.

(٢) سماه في التكملة: عجالة المحتفز وبداهة المستوفز.

(٣) الأبيات في نفح الطيب ٥: ٦٠٠ ومعجم الأدباء.

وبالـلِّوى شـادنٌ عـليـه … جيـدُ غـزالٍ ووجهُ فَـرْقـد
عـلّله ريـقُـه بـخَـمـر … حتى آنتشى طـرفُـه فَعَـرْبـد
لا تَعجبـوا لآنهزام صَبْـري … فَـجيش أَجـفـانه مُـؤيَّـد
أَنـا لـه كـالّذي تَـمـنّـى … عَـبـدُ نـعـم عـبدُه وأَزيـد
لـه عـليَّ آمـتـثـالُ أَمْـرٍ … ولـي عـليـه الجَفـاءُ والصَّـدُّ
إن بَـسْملت عـينُـه لقَتْلِي … صـلّى فُؤادي عـلى محـمـد

وأنشدنا الحافظ أبو الربيع ابن سالم قال، أنشدنا صاحبنا الأديب الكاتب أبو بحر لنفسه يتغزّل ويصف ليلة أُنس[١]:

يـا حُسنَه والحسنُ بعضُ صِفـاتِهِ … والسِّحر مَقْصورٌ على حركـاتِهِ
بدراً لو آنَّ البـدرَ قيل لـه آقترحْ … أمـلاً لقـال أكـونُ مِن هـالاتـه
يُعطي آرتياحَ الحسن غُصنٌ أَملد[٢] … حَمَل الصَّباح فكان من زَهَراته
والخـالُ ينقُط في صَحيفة خـدّه … ما خَطَّ مسك[٣] الصُّدغ من نُوناته
وإذا هـلالُ الأُفق قابـلَ وجهـه[٤] … أبصـرتَه كـالشَّخص[٥] في مـرآتـه
عَبثت بقَـلبٍ عَمِيـده لحـظاتُـه … يـا ربِّ لا تَعْتب على لَحظاته
رَكب المـآثم في آنتهاب نُفوسنا … فـاللّه يَجعلهـنّ من حَسنـاتـه
مـا زلتُ أخطُب للزمـانِ وِصـالَـه … حتى دنـا والبعـدُ من عـاداتـه
فغفـرتُ ذنبَ الـدَّهـر فيـه لليلةٍ … سَترت على ما كـان من زَلّاتـه
غَفـل الزمـان[٦] فنِلْت منه نظرةً … يـا ليته لـو دام في غَفـلاته

(١) ورد بعضها في المغرب ٢: ٢٦١، وذكر أنه يغنى بها في الآفاق، وتنسب خطأً إلى ابن سهل الأندلسي. وانظر شرح مقصورة حازم وأدباء مالقة: ١٠٢.
(٢) في المقتضب: الغصن غصناً أملداً؛ أدباء مالقة: غصناً أملداً.
(٣) المقتضب وأدباء مالقة: حبر.
(٤) أدباء مالقة: خده.
(٥) أدباء مالقة: كالشكل.
(٦) الوافي: الرقيب.

ضاجعتُه والليلُ يُذكِي تحته … نارَيْن من نفسي ومن وَجناته
بِتنا نُشعشع والعفافُ نديمُنا … خمرَيْن من غَزَلي ومن كلماته
فضممتُه ضَمَّ البَخيل لمالِه … أحنُو عليه من جَميع جهاته
أوثقتُه في ساعديّ لأنه … ظبيٌ خَشِيتُ عليه من فَلتاته
والقلبُ يدعو أن يُصيِّر ساعداً … ليفوز بالآمال في ضَمّاته
حتى إذا هامَ(١) الكرى بجفونِهِ … وآمتدّ في عَضُديّ طَوْعَ سِناته
عَزم الغرامُ عليَّ في تَقبيله … فنفضتُ أيدي الطَّوْعِ من عَزماته
وأَبى عفافي أن أقبِّلَ(٢) ثغره … والقلبُ مَطويٌّ على جَمَراته
فاعجبْ لمُلْتَهِب الجَوانح غُلَّةً … يشكو الظَّما والماءُ في لَهَواته

وسبقه بهذا أبو بكر يحيى بن أحمد بن بَقي الإشبيلي، في القصيدة المشهورة [إذ يقول]:

بأَبي غَزالٌ غازلَتْه مُقلتي … بين العُذيبِ وبين شَطَّي بارقِ

وله:

أَعِذاره رِفْقاً عليه فقد … صَدر الصِّبا غضبانَ عنك أَسِفْ
كيف آنبريتَ لنُون وَجنته … فمحوتَها وكتبت لامَ أَلِف
فكأنها نَهيٌ لعاشقه: … لا تلتفتْ، بدرٌ جَنى فكُسِف

وله في وسيم أثّرت الشمس في وجنته:

ومُعَنْدم الوَجنات تَحسب أنه … صُبغتْ بُرود الوَرد في وَجناتِهِ
مَثلَ الجمالُ بخدِّه مُتنبِّئاً … فَشهِدْت أنَّ الخالَ من آياته
نظرتْ إليه أختُهُ شمسُ الضُّحى … وإياتُها في النُّور دون إياته
فتوقّدت أحشاؤها من زَفرة … فبدا شعاعُ النار في مرآته

---

(١) أدباء مالقة: هم.
(٢) أدباء مالقة: يقبل.

وله في وسيمٍ يلعبُ بسيفٍ ويخوِّف به:

قُلنا وقد شام الحُسامَ مُخوِّفاً   رشأٌ بعاديةِ الضَّراغم عابثُ
هل سيفُهُ من طَرفه أم طَرفُه   من سَيفِه أم ذاك طرفٌ ثالث

وله في آخر يرمي نارَنْجاً في ماء:

وشادنٍ ذي غَنَجٍ دلُّه   يروقنا طوراً وطوراً يَرُوعْ
يَقْذف بالنَّارنج في بِرْكةٍ   كلاطخٍ بالدَّم سَرْدَ الدُّروع
كأنها أكبادُ عُشّاقِهِ   يُتلفها في لُجّ بَحرِ الدُّموع

وله في نارنجة:

رُبّ نارنجةٍ تأمّلتُ منها   منظراً رائعاً ونَشْأً غريبا
نشأتْ في القَضيب وهي رَمادٌ   فغذَاها الحيا فعادت لهيبا

وله في باكورة:

حيّتك ضاحكةً بُنَيّةُ أيكةٍ   تهفُو تحيتها بِعطْفِ النَّادِي
لمّا دَرَتْ أنْ سوف تَثْكَل أُمَّها   لبست بحُكم الفَقد ثوبَ حداد
تنشقُّ عن لُمَع البياضِ كأنها   قَلبي تَبسَّمَ عن ثُغور وِدادي

وله في أَكُول:

وصاحبٍ ليَ لا كانتْ طبائعُهُ   كأنها سحُبٌ بالسَّرْط مُنهمرَهْ
إذا أحسَّ بمأكولٍ تُقَدِّمه   يكاد يَسبقُ فيه حلقُهُ بصرَه
كأنّ فاه عصا مُوسى إذا آنقلبتْ   وما تُقدّمه إفكُ من السَّحرَه

وله من مفردات الأبيات:

بَيني وبين أبي جَمرةٍ   عداوةُ الماء مع النارِ

وله:

لو أنه كان جُزءَ فِقْهٍ   لما عدا جامع العُيوب

ولــه:

حَلَّيتـمُ زمنـاً لـولا اعتـدالكُـمُ في حكمكمْ لم يكنْ في الحكم يعتدلُ
فـإنمـا أنتمُ في أنفـه شَمَـمٌ وإنمـا أنتمُ في طَـرْفِـهِ كَحَـلُ

ومنهـا:

يرى اعتناقَ العوالي في الوغى غزلاً لأن خـرصانهـا من فـوقهـا مُقَـلُ

ولــه:

سـرُّ النـوى في ضميـر كتمـاني إن لـم تنـافـقْ علـيّ أجـفـانـي
أبـلى لقـلبـي وليس فـي بـدني ربَّ طليقٍ يـشقَى بـه العـانـي

ولــه:

والسـرحةُ الغنـاءُ قـد قبضتْ بهـا كفُّ النسيم على لـواءٍ أخـضـرِ
وكـأن شكـلَ الغيم مُنْخُـلُ فضَّـةٍ يرمي على الآفاقِ رَطْبَ الجـوهر

ولــه:

وكــأنمــا أغصــانهــا أجيــادهــا قــد قُــلِّدَتْ بـلآلـىءِ الأَنْـوارِ
مـا جاءهـا نَفَسُ الصبا مستجـدياً إلا رَمَــتْ بــدراهــمِ الأزهــار

ولــه:

أُولــعَ مـن طـرفـه بـحـتـفـي هــل يعجبُ السيفُ لـلقتيـلِ
تـهـيبـوا بـالـحـســامِ قـتـلي فــاختــرعــوا دعــوةَ الـرحيـل

* * *

ـ ٥٣ ـ
ابـن مسعـدة

أبو بكر عبدالرحمن بن علي بن مَسعدة العامِريّ الكاتب(١): من أهل غرناطة، وولي الخُطبة بجامع قَصبتها، وكان من مشاهير الكتاب، وتوفي عن سن عالية، ودُفن مستهل جُمَادَى الآخرة سنة ستمائة؛ فمن قوله ممّا كتب به إلى يزيد بن صِقْلاب(٢):

أبـا بكـرٍ ودادُكَ من ضَـمِيـري ... كـرَقْم يُحـابـر أَعيـا الصَّنـاعـا
وأنسى آبنَ الـرّقـاع وأُمَّ سَلْمـى ... فمـا لي لا أُضمِّنه الـرِّقـاعـا
وأكتُمُ لـوعـتي حِـفـظاً لشَيـبٍ ... لَحا في الحبِّ مَن كَشفَ القناعا
وخُـلةَ واصـلٍ بـالـذاتِ تَبـغي ... وبـالإعـراض لا تـألـو آنقِـطاعـا
وإن يـكُ طيفُكَ الساري سُهيـلاً ... قَنعتُ بـه على البُعـد آطـلاعـا
وحَسبي نفثـةٌ في عِقـد سِحْـرٍ ... لخَمسـك تَـلاءَم النَّفْسَ الشَّعـاعـا
بقيتَ تُنـاكفُ القمـرَيْنِ حُسنـاً ... وتَـعتـقـلُ الـذَّوابـلَ واليَـراعـا

ولآبن صقلاب مراجعة له على هذا.

* * *

(١) ترجمته في التكملة رقم: ١٦٢٥، وما هنا عن المقتضب: ٨٧.
(٢) ترجمة إبن صقلاب رقم: ٨٠.

ــ ٥٤ ــ
ابــن الشواش

أبو عبدالله محمد بن إبرهيم الجُميمي[١] ــ بالجيم والميمين ــ من أهل بلنسية ويعرف بابن الشوّاش ــ بالشينين المعجمتين والواو المشددة ــ لم أقف على تاريخ وفاته وقيل إنها قبل هذه المائة السابعة.

أنشدني أبو بكر محمد بن الحاج أبي عامر محمد بن حسن الفهري، قال: أنشدني خالي لنفسه، وكان يقول إنه شهر بالنسبة إلى خاله ابن الشواش المشهور ببراعة الخط:

وردُ خَـدَّيْـكَ قـد ذَبَـلْ ... بـعـذارٍ بـه اشـتـمـلْ
خـالَـهُ الـحسْنُ أرقـمـاً ... جـاء يُنْـوِيـه فـاحتمـل
بلَّغَ الـحـاسـدَ الـمنـى ... وأرى الـشـامـتَ الأمـل

وله بديهة في باكورة ورد، [وأنشدنيها أبو بكر]:

تمَّ الســرورُ بـوردٍ زان مجلسنـا ... فناب عن خدٍّ من أَهْـوى ونفحتِهِ
فـاشـربْ شبيهَتَـهُ وانعمْ بمشبهـه ... لعـلَّ زورةَ ذا بُشْـرَى بـزورتـه

ولــه أيضــاً:

فَتى حازَ في شرخ الشبيبـة غايـةً ... من المجد تكبو الريحُ فيها وتطلَحُ
يصرّف بين الناسِ والجـودِ راحةً ... هي الدهر ذو الحالَين تسطو وتمنَحُ

* * *

(١) الوافي ٢: ٨ والمقتضب: ٨٨.

ـ ٥٥ ـ
ابـن نصيـر

أبو القاسم أحمد بن إبراهيم بن [أحمد بن] نُصَير(١) من أهل شَوْذَر عمل جيّان، وسكن قرطبة وتوفي بمالقة رابع المحرمِ سنة اثنتين وستمائة، وكان من رِجالات الأندلس.

قال يخاطب الكتّابَ بمراكش وهو عامل إشبيلية:

سلامٌ على النادي الذي ما له نِدُّ ... ومن نَظْم أشتاتِ المعالي به عقدُ
سَجايا تمشّى الحكمُ في جنباتها ... وقام صقيلاً دون حوزتها الحدُّ
إذا خطبوا أو خوطبوا حُفِظتْ لهم ... بدائعُ عنها يصدر الحلُّ والعَقدُ
وإن لُبس الأمجادُ بُرداً لزينةٍ ... فليس لهم من غير مكرمةٍ بُردُ
حَوَتْ منهمُ دارُ الخلافةِ أنجُماً ... هي النيّرات الزُّهر أطلعها السعدُ
يدلّ على عليائهم طيبُ ذكرِهم ... وطيبَ نسيم الوردِ يُنبئني الوردُ
ظفرتُ بعهدٍ منهمُ أحرز المُنى ... فلا ذُخْرَ إلاّ فوقه ذلك العهدُ

فراجعه عنهم الحكيم أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم الأصبحي المعروف بالخدوج.

وقال ابن نصير يرثي الخطيب أبا علي الحسن بن حجاج(٢):

---

(١) الوافي ٦: ٢١٥ والمقتضب: ٨٩ وانظر التكملة: ٩٦ والذيل والتكملة ١: ٣٥ (ونصير ضبطه ابن عبدالملك مصغراً)، وقال: وكان من سروات الرجال وفورَ عقلٍ ورجاحةَ حلمٍ، بارع الأدب صالح الخط من إجادة الكتابة وقرض الشعر.

(٢) حسن بن حجاج بن يوسف الهواري، أصله من ناحية بجاية وسكن مراكش ودخل الأندلس مراراً وولي الخطبة بإشبيلية بعد أبي الحسن ابن المالقي سنة ٥٨٠ وتوفي بفاس سنة ٥٩٨ (التكملة: ٢٧١).

نعى المكـارمَ لمّـا أن نعى نـاعِ ... مَن كـان جامِعَهـا طـرّاً بـإجمـاعِ
مضى وخلّد عمــراً لا نفـادَ لــه ... من نشر ذِكْرٍ ذكيٍّ العَرْفِ ضوّاعِ
إذا تــنــازَعَــهُ الــنــادي وردَّدَهُ ... أتـتْ روايـاتُـهُ منـه بـأنـواعِ

ولـــه:

أيا هَضْبَتَيْ مجدٍ ويا كوكَبَـيْ سَعْدِ ... ويا رافدَيْ رفـدٍ ويا صـارمَيْ حَدِّ
غيـاثاً فقـد أودى الحطيمُ وَمُكِّنَتْ ... من الدهرِ في حَوْبَائِهِ يدُ ذي حقد
وكيف وأنّى وهــو يُسْنِـدُ منكمـا ... إلى منعةٍ تُرْبـي على الأبلق الفرد
فـإن يدعُ يـا عثمانُ أفـرخَ رَوْعُهُ ... وإن يدعُ عبدالحقِّ أيقنَ بـالعضد
ينـام رضيَّ البـالِ مـلءَ جفـونـه ... ولو بات ما بين الأساوِد والأسـد

* * *

— ٥٦ —

الجليـــاني

أبو الفضل عبدالمنعم بن عمر الغساني[(١)]، يعرف بالجلياني، وجليانة ـ بالجيم واللام والياء آخر الحروف وبعد الألف نون وهاء ـ من عمل وادي آش. [كان أديباً فاضلاً طبيباً حاذقاً] رحل من الأندلس إلى المشرق ومدح الملك أبا المظفر صلاح الدين بن أيوب، [وتوفي سنة اثنتين وستمائة بدمشق]. ومن شعره[(٢)]:

فأبخسُ شيءٍ حكمةٌ عند جاهلٍ وأهونُ شخص[(٣)] فاضلٌ عند ظالِمِ
فلو زُفَّتِ الحسناءُ للذئب لم يكنْ يرى قربها إلا لأكلِ المعاصم

(١) المقتضب: ٩٠ والوافي وهو ينقل عن تحفة القادم وعن ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء ٢: ١٥٧) وغيرهما، وقد أورد لـه أبياتاً من قصيدة في مدح صلاح الدين لم أوردها هنا؛ وانظر أيضاً في ترجمة الجلياني: التكملة رقم: ١٨١٥ وصلة الصلة: ١٥ والذيل والتكملة ٥: ٥٧ (وجعل وفاته سنة ٦٠٣) والفوات ٢: ٤٠٧ وعقود الجمان لابن الشعار ٤: ١٢٦ والزركشي: ٢٠١ ومعجم البلدان (جليانة)، وترجم له صاحب النفح ثلاث مرات مرتين في ٢: ٦١٤ ومرة ثالثة ٢: ٦٣٥، وترجم ابن سعيد في الغصون اليانعة: ١٠٤ ـ ١٠٨ لمن اسمه عبدالمنعم بن مظفر الغساني الجلياني، وصدر الترجمة للجلياني المذكور هنا، وسائرها لجلياني آخر اسمه عبيدالله بن المظفر (ابن أبي أصيبعة ٢: ١٤٤ وابن خلكان ٣: ١٢٣ وكانت وفاته سنة ٥٤٩)؛ ومن المستغرب وقوع ابن سعيد في مثل هذا الخلط.

(٢) تشترك في القطع الثلاث الأولى الواردة هنا: الوافي والفوات والمقتضب، ثم ينفرد الوافي والفوات بما بقي.

(٣) الفوات: شيء.

ومنـــه:

عجبــاً من أحبـابنــا وانقيــادي طَـوْعَهم إن شَفَوْا وإن أَمـرضوني
مــا رضـاهم إلا لسخطِ ســواهم في هــواهم وحبَّـذا إن رضــوني

ولـــه:

أؤمـل لقياكم وإن شـطَّتِ النـوى وأزجـر قربـاً في مرور الســوانـح
ويذكي اشتياقي زَنْدُ تذكارِ عهدكم وما الشوقُ إلا بعض نار الجوانح

ومنـــه:

قالوا نرى نفراً عند الملوكِ سَمَوْا ومــا لهم همـةٌ تسمــو ولا وَرَعُ
وأنت ذو همّةٍ في الفضلِ عـاليةٍ فلم ظميتَ وهم في الجاهِ قد كرعوا
فقلتُ باعوا نفـوساً واشتـروا ثمناً وصنتُ نفسي فلم أَخضع كما خضعوا
قـد يُكْرَمُ القـردُ إعجـاباً بخسَّتِـهِ وقـد يُهَانُ لفـرطِ النخـوةِ السبـع

ومنـــه:

بــذلــتُ وقتــاً لــلطبِّ كي لا ألـقى بـنـي الـمـلك بـالـسـؤالِ
وكــان وجــهُ الـصــوابِ في أن أَصــونَ نـفـســي بــلا ابـتــذال
لا بــدَّ لــلجســم مــن قــوامٍ فـخــذه مـن جــانــبِ اعـتــدال
واقــربْ من العــزِّ فـي اتضــاعٍ واهــربْ من الـذلِّ في المعــالي

* * *

ـ ٥٧ ـ
ابن كِسرى المالِقيُّ

أبو علي الحَسن بن محمد بن عليّ الأنصاري، من أهل مالقة ويعرف بابن كِسْرَى(١)، وتوفي سنة ثلاث أو أربع وستمائة.

ومن قوله(٢):

إلٰهيَ أنت الله رُكني وملجأي ... وما لي إلى خلقٍ سواكَ ركونُ
رأيتُ بني الأيَّام عُقْبَى سكونهم ... حراكٌ ومن بعد الحراكِ سكون
رضىً بالذي قَدَّرْتَ تسليمَ عالمٍ ... فإنَّ الذي لا بدَّ منه يكون

وقال في طِفل قَبَّله فاحمرَّت وَجْنَتُه(٣):

وَا بأبي رائقُ الشبابِ رَنا ... بهجةُ خَدَّيه ما أُمَيْلِحَها
كأنَّني كلَّما أقبِّلُهُ ... أنفخُ في وردةٍ لِأفْتَحَها

وقال(٤):

وخالقْ بنقصانٍ جميعَ الوَرَى تَسُدْ ... فيا سُوءَ ما تلقاه إن كنتَ فاضِلاَ

---

(١) الوافي ١٢: ٢٣٦ والمقتضب: ٩١ والفوات ١: ٣٥٧ وانظر: التكملة: ٢٦٤ والإحاطة ١: ٤٧٧ وأدباء مالقة (صفحات متفرقة) وبغية الوعاة ١: ٥٢٤ ونفح الطيب ٣: ٣٩٩ وراجع الذيل والتكملة ٥: ٨٢. وكان متقدماً في حفظ اللغة والأدب مبرزاً في النحو، حسن الخلق كريم النفس، مؤثراً للخمول، مدح الملوك والرؤساء، روى عن أبي الحكم بن هرودس (رقم: ٣٢) وعن الرصافي (رقم: ٣٤) وغيرهما.
(٢) من المقتضب والإحاطة ١: ٤٨٠، وقال إنها لزومية.
(٣) ورد البيتان أيضاً في الفوات (وفيه: رائق الشباب ويا).
(٤) وردا في الفوات أيضاً.

ألم تَـرَ أن البَـدْرَ يُـرْقَب نـاقصـاً   ويُتْـرَك منسيّاً إذا كـان كَـامِـلاَ

وقـــال(١):

يـا شـاعـراً يـتـسـامَـى   وجَـدُّه   خَـلدُونُ
لـم يـكـفِ أنّـك خَـلٌّ   إلَّا   بـأنَّـك   دُونُ

وأنشدنا أبو الحسين ابن سراج قال: أنشدنا أبوعلي ابن كسرى في راقصة اسمها «نُزْهَة» وتُعرف بيخُطّ الشَّوق(٢):

تخُطُّ «يخُطُّ الشَّوقَ» في القلبِ شَخْصُها   ففي كل ما تـأتيه حُسْنٌ وتَحْسِينُ
وليست تطيق الشِّينَ في كل نطقها   فمن أجل بُعد الشِّين باعَدَها الشَّيْنُ
إذا رَقصتْ أبصـرتَ كـلَّ بـديعـة   تُرَى أَلِفاً حِيناً وَحِيناً هي النُّونُ
فيـا نُزْهَـةَ الأبصار سُمِّيتِ نُـزْهَـةً   لـكي يُوضح المعنى بَيـانٌ وتبـيـينُ

والبيت الثالث مأخوذ من قول عُبادة بن ماء السماء:

يُـعـجِـبـنـي أن تـقـوم قُـدَّامَـا   تفتـل قَبْـلَ الجُفـون أكمـامَـا
كـأنَّـهـا في اعـتـدالـهـا أَلِـفٌ   تـرجعُ عنـد انعـطافهـا لامَـا

* * *

(١) وردا في الفوات أيضاً.

(٢) وردت هذه الأبيات أيضاً في رحلة ابن رشيد (الاسكوريال: ١٧٣٧) الورقة: ٧٧/أ.

ـ ٥٨ ـ
أبو عمران الميرتلي

أبو عِمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد(١)، يعرف بالمِيرُتُلي(٢)، وأصله من ثغر مِيرتلة(٣)، وسكن إشبيلية، وكان لا يُعْدَلُ به أحدٌ من أهل عصره صلاحاً وعبادة مع تصرفه في فنون الأدب، وشعره في الزهديات مجموع. روى عنه ابن حوط الله. ولما احتضر ما زال يكرر ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، إلى أن قبض. توفي ليلة السبت مستهل جمادى الأولى سنة أربع وستمائة.

أنشدني أبو سليمان ابن حوط اللّه، قال: أنشدني لنفسه من أبيات(٤):

إلى كم أقولُ ولا أفعلُ وكم ذا أحومُ ولا أنزلُ
وأزجُرُ نَفْسي فلا تَرْعوي وأنصح نَفسي فلا تَقبل
[وكم ذا تعلل لي ويحها بعلّ وسوف وكم تمطل](٥)
وكم ذا أؤمِّل طولَ البقاءِ وأغفُلُ والموتُ لا يغفُل
[وفي كل يوم ينادي بنا منادي الرحيل ألا فارحلوا]

(١) من الوافي والمقتضب: ٩٢ والبدر السافر: الورقة ٢٠٢/أ وانظر: التكملة: ٦٨٧ والمغرب ١: ٤٠٦ والغصون اليانعة: ١٣٥ ـ ١٣٧ ونفح الطيب. وله شعر كثير في شرح المقامات للشريشي.
(٢) البدر: بالزبلي.
(٣) ميرتلة أو مارتلة كانت معقلاً مشهوراً على وادي آنة من عمل باجة.
(٤) وردت في الغصون اليانعة: ١٣٦ والمغرب ١: ٤٠٦ ـ ٤٠٧ والنفح ٣: ٢٩٦.
(٥) ما بين معقفين زيادة من الغصون والمغرب والنفح.

[أمن بعد سبعين أرجو البقا ... وسبع أتت بعدها تعجل]
[كأنْ بي وشيكاً إلى مصرعي ... يساق بنعشي ولا أمهل]
[فيا ليت شعريَ بعد السؤال ... وطول المقام لما أنقل؟]

ومن شعره:

ما حالُ من أبلتِ الأيامُ جِدَّتَهُ ... وخانه ثقتاه السمعُ والبصرُ
حالٌ يجاوبُ عنها من يسائلها ... عينٌ فحسبُكَ مرأى العينِ لا الخبر
إن أخلقت جدتي أو أذهبتْ جدتي ... أو مسَّني ضرّها فالله لي وَزَر
ما لي سوى الله من مولىً أؤمّلُهُ ... هو الرجاءُ وإن أودى بيَ الضرر

وقوله:

وللنفوسِ وإن كانت على وَجَلٍ ... من المنية آمالٌ تقوّيها
فالمرءُ يبسطها والدهرُ يقبضها ... والنفسُ تنشرها والموتُ يطويها

وقوله:

إلمامُ كلِّ ثقيلٍ قد أَضرَّ بنا ... يزيدُ بعضهمُ والشيءُ يزدادُ
ومن يَخِفُّ علينا لا يلمُّ بنا ... وللثقيل مع الساعاتِ ترداد

ووجد مكتوباً هذا البيت:

فلا تعتبنَّ علينا الصبا ... فنحن إذا ما خلونا صبونا

فنظم قوله عفا الله عنه:

فقد نستجمُّ بلغوِ الكلام ... لكيما يكونَ على الحقِّ عونا
ونحن أولو الجِدِّ في المبتدا ... وأهلُ الفكاهة مهما خلونا
ونستغفر الله في إثر ذا ... ونسأله العفوَ عما لغونا

* * *

ـ ٥٩ ـ
ابــن محفــوظ

أبو المعالي ماجد بن محفوظ بن مرعي[(١)]، الشريف من أهل بلنسية ومن ولد طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبـي بكر الصديق. ومن شعره:

ما القلبُ عن حبِّ ذاتِ الخالِ بالخالِ … أطعتُ إلا على لميــاءَ عــذالي
أَهيمُ منهـا على شَحْطٍ بجـاريــةٍ … حـوراءَ تعطو بجيدٍ غيـرِ معـطال
كالصبح في بَلَجٍ والروض في أَرَجٍ … والرقصِ في مائِسِ الأَعطاف ميال

[ومنهــا]:

غـادية من غـوادي المـزنِ سـائلةٌ … بكـلِّ وبلٍ كـريمِ الـودقِ هَـطّال
تُفَجّــر الغيـلَ في بيــداءَ مَجْهَلَةٍ … وتنبتُ الغيـلَ في خبـراءَ ممحـال
حتى تغـادرَ أَغفـالَ التــلاعِ بهـا … من واصبٍ مُعْلمـاتٍ غيـرَ أغفـال

ومــن قولــه:

رِدِ المجــرةَ نهـراً إن ظمئتَ ولا … تقنـع بِبَرْضٍ من الآمـال أو ثَمَدِ
ولا تقلْ ليس لي ذاتٌ أَسودُ بها … فـإنَّ هـذا قيــاسٌ غيــرُ مــطّرد
هـذا الفـلانيّ مستقضىً بشـاطبـةٍ … وليس من خُطَّةٍ الأَحكام في صدد
لا غروَ أن يسموَ الرذلُ الخيارَ كما … يسمو على الماءِ ما يطفو من الزبد
لا يـرتضي خطة نيـطتْ به أحـدُ … والصقـر ليس بصيّادٍ مـع الصُّـرَدِ
ما ضرَّه وهو قاضٍ أن يلامَ وأن … ليس القضـاء بمحبوبٍ إلى أحـد
حُــطُّوه عن رتبـةٍ قـدمتمـوه لهــا … من الحضيضِ وردُّوا العَيْـرَ للوتد

---

(١) الوافي (نسخة تونس، الورقة: ١٦٥) والمقتضب: ٩٣ وانـظـر التكملة رقم ١١٧٦، واعتبط بمراكش سنة ٦٠٣ أو التي بعدها.

- ٦٠ -
ابن عبد ربه

أبو عمرو محمد بن عبد ربه الكاتب[١]، سكن مالقة وكتب لواليها حينئذ المعروف بالمنتظر[٢]، ثم ولي عمالة جيّان سنة أربع وستمائة، وكناه أبو بكر ابن صقلاب في بعض ما خاطبه به أبا عبدالله؛ وهو القائل:

تقضّى زماني بينَ عَتْبٍ وإعتاب وجفَّتْ دموعي بين سَحٍّ وَتَسكابِ
وطال بعيني أن ترى غيرَ غادرٍ فأَوْلَى بعيني أن تكفَّ وأولى بي
أَلا ليت شعري هل أرى مثلَ فتيةٍ ذوي هممٍ في المعلُواتِ وأَحساب
إذا شئتَ أن تلقى فتىً ليس دونهم فيممْ أبا بكرٍ يزيدَ بن صقلاب

ومن شعره ويروى لبعض الأمراء[٣]:

بين الرياض وبين الجو مُعتركٌ بيضٌ من البرق أو سُمْرٌ من السَّمُرِ
إن أوترَتْ قوسَها كفُّ السماء رمتْ نبلاً من المُزن في صافٍ من الغُدُرِ
فاْعجبْ لحرب سِجال لم تُثِرْ ضرراً نفعُ المحارب فيها غاية الظَّفَرِ
فتحُ الشقائق جَرْحاها ومغنمُها وَشْيُ الربيع وقَتلاها من الثمرِ

(١) الوافي ٣: ٢٠٣ - ٢٠٥ والمقتضب: ٩٤ وانظر المغرب ١: ٤٢٧ والنفح ٢: ٩٧، ٩٨، ١١٨، ١١٩ والمعجب: ٣٧٤ - ٣٧٨، وكناه أبا عبدالله، وكان صديقه فهو أدرى، وقد ذكر أن له اتساعاً في صناعة الشعر ولكنه نحل كثيراً من شعره أبا الربيع سليمان بن عبدالله أيام كتابته له.

(٢) هو أبو الربيع سليمان بن عبدالله بن عبدالمؤمن الشاعر الموحدي (انظر الحاشية السابقة).

(٣) وردت الأبيات في المعجب: ٣٧٦.

لأجـل هـذا إذا هبَّتْ طـلائعهـا تـدرَّعَ النهرُ وآهتـزت قنا الشجـرِ

هذا يشبه قول ابن عبادة القزّاز الأندلسي وقيل لغيره[١]:

ألؤلـؤٌ دمـعُ هـذا الغيثِ أم نُقَطُ مـا كـان أحسنَهُ لـو كـان يُلتقطُ
بين السحابِ وبين البرقِ[٢] مَلحمةٌ قَعـاقِعٌ وظُبـىً في الجـوّ تُخْتَـرطُ
والـريحُ تحمـلُ أنفـاسـاً مصعَّـدةً مثـلَ العبيـر بمـاء الـورد يختلطُ
والـروضُ ينشرُ من ألـوانـه زَهَـراً كمـا تنشَّـرُ بعـد الـطيّـة البُسُطُ

كتب إليه ابن صقلاب[٣] مع نثر:

أمـا والهـوى العُـذرِيّ وَهـو يمينُ عليـه من الـطرف الكحيـل أمينُ
لقد خُضْتُ مقداماً حشا كلِّ فَيلقٍ ولمَّـا تَرُعْني الحـربُ وَهْي زَبـونُ
وقد حاد عن لُقيا كتابِكَ خاطري كمـا حـاد منخـوبُ الفؤادِ طعين
أفي كلِّ صدرٍ منك صدرُ كتيبةٍ وفي كـلِّ حـرفٍ غـارةٌ وكمينُ
عجبتُ للفظٍ منـك ذاب نحـافـةً ومعنـاه ضخمٌ مـا أردتَ سميـنُ
وأعجبُ من هـذين أنّ بيـانَـهُ حيـاةٌ لأربـابِ الهـوى ومَنـونُ
زحمتَ به في غُنجها مُقَلَ الدُّمى وعَلَّمتَ سِحْـرَ النفث كيف يكونُ

فأجاب ابن عبد ربّه:

أيـا راكبـاً إنّ الـطريق يـمينُ وحيثُ تـرى حيّـاً ففيـه كمـينُ
وإنـي وإن أَفْلَتُّ منهـم فـإنمـا نَجَـوْتُ وقلبـي باللحـاظ طعينُ

---

(١) هو الوشاح المشهور أبو عبدالله محمد بن عبادة القزاز، له ترجمة في الذخيرة ١/٢:٨٠١ والخريدة ٢:١٨٢ والمغرب ٢:١٣٤ والوافي ٣:١٨٩ وأزهار الرياض ٢:٢٥٢ والنفح (صفحات متعددة). وقد أورد المقري (النفح ٣:٦٠٧) البيت الأول وقال إنه من قصيدة طائية مشهورة لعلي التونسي الايادي؛ هذا والقصيدة موجودة في ديوان ابن هانىء:٨٤، وإليه نسبها التيفاشي أيضاً في سرور النفس: ٢٨١ (الفقرة:٨٣٧).

(٢) سرور: الريح.

(٣) ستأتي ترجمته رقم: ١٢٧.

عيـونٌ حياةُ النفس بين لحـاظهـا   وإن كان في تلك اللحاظ مَنـونُ
وأعلَقُ منهـا بالنفـوس وقد جـرى   حـديثك يـوماً والحـديثُ شجـونُ
سـطورٌ كهـاتيـك اللحـاظ بعينهـا   تقـولُ لنفسِ السحـر كُن فيكـونُ
ومـا كنتُ أدري قبـل فنٍّ نهجتَـه   بـأن بـلاغـاتِ الـرجـالِ فنـونُ

* * *

— ٦١ —

ابـــن شطـريـــه

أبو جعفر أحمد بن عبدالرحمن المعروف بابن شَطْرِيَه[١] ـ [بفتح الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف وبعدها هاء ـ هكذا وجدته مقيداً في نسخة موثوق بها]. من أهل قرطبة وأحد تلاميذ الأستاذ أبـي جعفر ابن يحيـى الحميري، وتوفي في حياته[٢] مُخْتضراً بمرسى قرطبة عند وصوله إليها من مراكش، قاله لي أبو العباس أحمد بن علي القرطبـي القاضي[٣] صاحبنا، وأنشدني له:

لقــد ظَلَمَتْ يَـوْمَ الـوداعِ ظَلومُ　　أمــا عَـلِمَتْ أنَّ الـفــراقَ ألـيـمُ
وغـادرَتِ المشتاقَ لهفـانَ شَجْـوُهُ　　صـحيــحُ ولـكنَّ الـعَــزاءَ سقـيمُ
هِــلالُ سمـاءٍ أو غــزالُ سَمـاوَةٍ　　إلى خلدي يسمـــو وفـيـــه يُسـيمُ

ولم يكن عنده عنه غير هذه الأبيات وحكى عنه أنه كان شاعراً مجيداً.

* * *

(١) الـوافي ٧: ٥٢ والمقتضـب: ٩٥ وانظـر المغرب ١: ١٣٩ حيـث قال: «سابق في حلبة شعراء المائة السابعة» وأورد له عدة مقطعات.

(٢) المقتضب: في صباه.

(٣) أرجح أنه أحمد بن علي بن أحمد القرطبـي، كنيته عند ابن الأبار أبو العباس وعند ابن عبدالملك أبو جعفر، وقد تدبج مع ابن الأبار واستقضي بغير موضع من بلاد الأندلس وبلاد افريقية وتوفي سنة ٦٤٦ (التكملة: ١٢٥ والذيل والتكملة ١: ٢٩٣).

ـ ٦٢ ـ

ابن طالب

أبو عبدالله محمد بن طالب الكاتب[١] من أهل مالقَة، وكتب لواليها أبـي عامر ابن حَسُّون، صادف جمعاً من العرب في بعض متوجّهاته فقتلوه، رحمه الله. له من قصيدة يرثي أبا القاسم ابن نُصَير[٢]:

أَنَصبِرُ أم عن سماحٍ وجُودِ ... نصيرُ إلى عدمٍ من وُجودِ
لقد عدل الموتُ بين الورى ... فأودى بسيِّدهم والمَسُودِ
ففيمَ العويل وعمَّ السلوُّ ... وما للهَديل وما للنَّشيدِ
وأين الغَواني وأين الصَّريعُ ... وما شأنُ صَخرٍ وبنت الشَّريدِ
وكيف يُسيغ لذيذ الورود ... مَن الموتُ منه كحبلِ الوريدِ

منهـا:

لِبَيتِ العُلى كان حَرْفُ الرويِّ ... ومِن كَلِمِ الفخرِ بيتُ القصيدِ
دعا نعيُه بشتاتِ النظام ... وشَوبِ الصفاء وشَيْبِ الوليدِ
فيا أرضُ صُونيهِ شحّاً به ... فما القصدُ إفرادُ ذاك الفريدِ
ولولا الأمانةُ ما أُودِعَتْ ... سريرةُ معنى العُلى في الصعيدِ
طواه الضميرُ كطيِّ السجلِّ ... ونشَّرَهُ الدمعُ نَشْرَ البُرُودِ
عشيَّةَ طُفْنا به راكعين ... نقبِّل منه مكانَ السجودِ

---

(١) الوافي ٣: ١٦٢ والمقتضب: ٩٦ وانظر المغرب ١: ٤٢٨، وأورد له مقطوعتين من أربعة أبيات.

(٢) راجع الترجمة رقم: ٥٥.

ـ ٦٣ ـ
ابن شكيل الصدفي

أبو العباس أحمد بن يعيش [بن علي] بن شَكيل[(١)] ـ بفتح الشين المعجمة وكسر الكاف وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام ـ الصَّدفي من أهل شريش. أحد شعرائها الفحول، مع نزاهة ومروءة سابغة الذيول، وله ديوان شعر وقفت عليه، وتخيرت منه ما نسبته إليه، وتوفي معتَبطاً سنة خمس وستمائة. وله في مقتل أبي قصبة الخارج في جُزولة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[(٢)]، وفيها افتتحت جزيرة مَنورقَة ـ بالنون ـ من قصيدة أولها:

الله أطفأ ما أذكى أبو قَصَبَهْ ... من حربهِ وأزال السِّحرَ بالغلَبَهْ
أمرُ الخليفةِ وَافاهُ على عَجَلٍ ... يدعوه للحقِّ لما اغتره كذبهْ
فمن أراد سؤالاً عن قضيّته ... فجملةُ الأمرِ أنّ الحقَّ قد غلبهْ
لقد شفى النفسَ أَنْ وافى بهامته ... صدرَ القناةِ مكانَ الصدرِ والرقبهْ
لما استمرَّ جماحاً في ضلالته ... عادت عليه لجاماً تلكم القَصبهْ
كانت عصاهُ التي غَرَّ الأنامَ بها ... لما يقرِّبُ من نارِ الوغى حطبهْ

(١) الوافي ٨: ٢٧٧ والمقتضب: ٩٧ وانظر التكملة: ٩٧ وذكر أن مولده سنة ٥٧٨ وأنه تولى قضاء بعض الكور، والمغرب ١: ٣٠٤.

(٢) أبو قصبة واسمه عبدالرحمن الجزولي (نسبة إلى قبيلة جزولة بالسوس من بلاد المغرب) ابتدأ ثورته سنة ٥٩٧ أو التي بعدها والتف حوله كثيرون، وكسر جيوشاً موحدية، إلى أن تم التغلب عليه وقتله وحمل رأسه إلى مراكش (المعجب: ٣٩٥ ـ ٣٩٦ والبيان المغرب ٣: ٢١٥). قال عبدالواحد المراكشي: ومع اتصال هذا الفتح بهم اتصل معه فتح جزيرة منرقة، كان فيها من أصحاب ابن غانية رجل اسمه الزبير بن نجاح، دخلوها عليه فقتلوه ووجهوا برأسه إلى مراكش، وعلق مع رأس أبي قصبة.

يا خجلةَ القلمِ المحمود إذ ذكروا أنَّ البـراعـةَ لـلأقـلامِ منتسبـهْ
أطـلَّ يعثـرُ في أذيـالِ مِشْيَتِـهِ من الحياءِ ويلحى قومَـه الخلبـهْ
قد أحزنتـه شماتـاتُ السيوفِ بـه لمّـا وَلينَ وأضحى حائنَ العصبـهْ
كم من حسامٍ لدى الهيجاءِ منصلتٍ لا يردعُ الدِّرعُ حَـدَّيْـه ولا اليَلَبـهْ
يَنْهـلُّ قَطْرُ المنـايـا من مضـاربِـهِ كـأن مـزنـاً بـأعلى مـزنـه سَكبـهْ
كـأنّـه الجـدولُ السيّـالُ يجـذبـه كفُّ النسيم إذا مـا ميّلوا شُـطبـهْ

وقال من قصيدة:

ألبَسْتَنـا العـدلَ أبـراداً مفـوَّفـةً ونحن بـالحمدِ والـذكرى نـوشِّعُها
ذُمَّ الـزمـانُ فـأبـداكم لنحمـده وتلك حجّـةُ صدقٍ ليس يـدفعهـا
وشقَّ حُجْبَ خفـاياه فلحتَ كمـا ينشقُّ عن جبهـةِ الغـراء بُـرْقعهـا

وقال في حمّام:

تُلهي العيـونَ رقـومُـهُ فكـأنهـا قـد أُلبِسَتْ سـاحـاتُهُ ديبـاجـا
مجمـوعـةٌ أضـداده فترى بهـا نـارَ الغَضـا والـوابـلَ الثجّـاجـا
حـرّان منسكب الـدمـوعِ كـأنّمـا يحكي بـذاك العـاشقَ المهتـاجـا
دُحِيَتْ بسيطةُ أرضـه من مَـرمـرٍ فجـرى الزجـاجُ به وثـار عجاجـا
وجلتْ سمـاوَتُـه السمـاءَ وإنّمـا جَعلَتْ مكـانَ النَّيِّـرات زجـاجـا
قـامت على عُمُدٍ جُلينَ عـرائسـاً فتـرى لها السَّمْـكَ المكلَّل تاجـا

وقال في سَوْسنة أُودعت شقيقةً:

سـوسنـةٌ بيضـاءُ قـد أُودِعَتْ شـقـيـقـةً قـانـيـةَ الـبُـردِ
أبـيضُـهـا يـنـشـقُّ عـن أحـمـرٍ كـالبـرقـعِ انشـقَّ عن الـخـدِّ

وقـال أيضـاً:

مـفـتـتِـنٌ فـي نـفـسـه فـاتـنٌ لـغـيـره لـيس لـه كُـنْـهُ

جــال عــلى مــرآتِــهِ لــحــظهُ فــانـعكسَ الــسـحــرُ بــهِ عـنــهُ
أبــرزه الــحــمّــام فــي حــليــةٍ مــن عَــرَقٍ لـؤلـؤهــا مــنــهُ
يحيــا بــه الــوجـدُ وذاك اسمــه فــلا يــسَــلْنــي أحــدُ مَـنْ هُــوْ
قــد قلتُ للبــدرِ امتحــانــاً لــه كــنْ مثــله يــا بــدرُ أو كُــنْــهُ

ولــه:

النــاسُ في السّلمِ والعشاقُ بينهم في أعظم الحرب من أَخبار من عشقوا
كم موقفٍ للوغى صعبٍ سلمتُ به حتى شهدتُ وغىً أَنصارها الحدق

* * *

ـ ٦٤ ـ
ابــن مطــرف

أبو الحسن مطرف بن مطرف[١]، من أهل غرناطة. من شعره:

ومهمــهٍ كمـدى الآمــالِ مُتَّسـعٍ   أمسيتُ فيه حليفَ الأُسْدِ والأَجَمِ
فخضتُ بحرَ ظلامٍ كـاد يكتمني   كـأنني خبـرٌ في ســرٍّ مـكتتم

منها في المديح:

في حصن ينبول للإسلام أيِّ يدٍ   بيضـاءَ قد قعـدت للسَّفْرِ لم تقم
أنحى على البيد محزوم المشلِّ بدا   تــدبيــر منـتـصـرٍ لله مـنـتـقـم
حـلَّ الثغورَ فلم ينهج على ظمأ   من الثغــورِ بمعســولٍ ولا شـبم

هذا من قول أبـي تمام[٢]:

عداك حرّ الثغـور المستطابـة عن   برد الثغور وعن سلسالها الحَصِبِ

رجـــع:

وبـات والليل يـدعو فَـرْقَـهُ فِـرَقـاً   من رميـةٍ بفـؤاد الشـركِ لم تـرم
ومهَّـدَ الأَرض حتى كـاد قـاطبهـا   يميلُ من جهة النعمى إلى الشأم
شَدُّوا بأضلعهـا الأفخاذَ والتصقت   على السروج فأغنتهم عن الحزم

(١) الوافي (نسخة تونس، الجزء ٢٣، الـورقة: ٢٥١) والمقتضـب: ٩٨ وانظر المغرب ٢: ١٢٠ ورايـات المبرزين: ٥٩. وقد ذكر ابن سعيد أن النصارى قتلوه في الوقعة الكائنة سنة ٦٠٩ يعني وقعة العقاب.

(٢) ديوان أبـي تمام: ٦٨ (من قصيدته في فتح عمورية).

هذا من قول أبـي الطيب(١):

أو ركبـوا الخيـلَ غيـرَ مسـرجـةٍ فـإن أفـخـاذهـم لـهـا حُـزُمُ

رجـع:

حيث المنايا [شهودُ] تقتضي علنـاً من النفـوس بمفلولٍ ومنحـطم
والهـامُ تقرع بـأساً في معـاقدهـا بكـلِّ بـاكٍ دمـاً في كفٍّ مبتسم

ومن شعره أيضاً(٢):

يـا لـلهـوى إن لـه آيـةً محكمـةً في كـلِّ مـا يصنـعُ
إن شبّهـا فـي طَـرَفٍ لـوعـةً بـكـى لـهـا من طَـرَفٍ أدمـع
فـهـو لـقـلبي شـررٌ مـحـرقٌ وهـو بـجفـني ديـمـةٌ تَـهْـمَـع

من قول أبـي الحسين ابن سراج(٣):

كـأن فـؤادي وجـفـنـي مـعـاً هـمـا طـرفـا غُـصُـنٍ أخضـر
إذا اضـطرم النـارُ في جـانـبٍ تـقـطّـر مـن جـانـبٍ آخـر

ولـه:

وكم محببـةٍ هـام الـفـؤادُ بهـا قدماً وصورتها من أحسن الصـور
كـأنها البـدر في تـدويـرهـا فـإذا شقت على النصف كانت شقة القمر

وقال في سهل بن مالك(٤):

---

(١) ديوان المتنبـي: ٨٧.

(٢) البيتان ٢، ٣ في لذة السمع، الورقة: ٣٣/ب.

(٣) هـو الوزيـر الفقيه أبـو الحسين سـراج بن عبدالملك بن سـراج، انـظر تـرجمتـه في الغنيـة: ٢٦١ وترتيب المـدارك ٤: ٨١٥ والصلـة: ٢٢٢ والـذخيـرة ١/٢: ٨٢١ والقلائد: ٢٠٢ وأخبار وتراجم أندلسيـة: ١٣٢ والمطـرب: ١٢٣ والخريدة ٢: ٤٨٤ ومعجم الأدباء ١١: ١٨١ والمغرب ١: ١١٦ والديباج: ١٢٦ وبغية الوعاة: ٢٥١.

(٤) هو أبو الحسن سهل بن مالك، غرناطي ذو مواقف مشهورة في الخطابة والوفادة على الملوك، ولما ثار محمد بن يوسف بن هود صار العقد والحل بغرناطة إليه، وكان بارعاً في النظم والنثر وافر النصيب من الفقه وكانت وفاته سنة ٦٣٩ (انظر الإحاطة ٤: ٢٧٧ ـ =

وصفوا سهلاً فقالوا[١] حاطبٌ والليلُ ليلُ
إنما العلمُ الثريا والفتى سهلُ سهيل

فقال سهل رادّاً عليه:

حسدوا سهلاً فقلنا أيْ لعمري حسدوهُ
صغّروا الاسمَ افتراءً وكبيراً[٢] وجدوه

وردّ عليه ابن مرج الكحل[٣]:

إن دعوني بسهيلٍ فأنا حقاً سهيلُ
قد دهاكم من طلوعي يا بني الزَّنْيةِ[٤] ويل

أشار إلى قول أبي الطيب[٥]:

وتنكرُ موتهم وأنا سهيلٌ طلعتُ بموتِ أولاد الزناء

ومن شعر مطرف وهي من غُرَرِه[٦]:

سنّةٌ سنّها جميلٌ قديماً وأتى المحدثون مثلي فزادوا

= ٢٩٥ واختصار القدح: ٦٠ ـ ٦٥ والمغرب ٢:١٠٥ وبرنامج الرعيني: ٥٩ والتكملة رقم: ٢٠٠٧ والذيل والتكملة ٤:١٠١ وزاد المسافر رقم: ٢٣ والديباج: ١٢٥ وبغية الوعاة ١:٦٠٥ ومواضع متفرقة من نفح الطيب).

(١) الوافي: فقلنا.

(٢) الوافي: وكثيراً.

(٣) ستأتي ترجمته في الملحق.

(٤) المقتضب: الزناء.

(٥) ديوان المتنبي: ٧١.

(٦) من أربعة أبيات أوردها له في المغرب ٢:١٢١ والرايات: ٥٩، وأرجح أن يكون ابن الأبار قد أورد القطعة كاملة؛ والثلاثة التي تقع قبل هذا البيت هي:

أنا صب كما تشاء وتهوى شاعر ماجن خليع جواد
أرضعتني العراق ثدي هواها وغذتني بظرفها بغداد
راحتي لوعتي وإن طال سقم وتوالى على الجفون سهاد
سنة سنها .... (البيت)

ـ ٦٥ ـ
ابـــن عـــذرة

أبو القاسم عبدالرحمن بن عُمر بن عذرة الأنصاريّ القاضي[١]: من أهل الجزيرة الخَضراء، صَدرٌ في نُبهائها، وكان خَطيباً مُفوَّهاً، تُوفِّي سنة ست وستمائة.

حدثني آبن أخيه أبو القاسم عبدالرحمن بن أبـي الحكم الكاتب أنه وقف على قبر أبيه أبـي حفص، ومعه أخواه: أبو بكر محمد وأبو الحكم عبدالرحيم، فقال أبو القاسم:

يا أيها الـواقفُ آستغفـر لمُـودَعِـهِ   ربَّ العِبـادِ وربَّ الجُودِ والكَـرمِ

وقال أبو بكر:

وآحذر هُجومَ المَنايا وآستعـدَّ لها   وعُـدَّ نفسَكَ إحـدى هذه الـرِّممِ

وقال أبو الحكم:

ولا تغُـرَّنَّـكَ الـدُّنيـا وزينَتُهـا   فكم أبادتْ وكم أفنتْ من الأُمَم

وهي طويلـة ومنها:

وآعلم بـأنـك مَسـؤول ومُـرْتهنٌ   بما عَمِلْتَ فَخفْ من مَوقفِ النَّدَم

* * *

(١) عن المقتضب: ١٠٠، وله ترجمة في التكملة، رقم: ١٦٣١ ذكر فيها أنه سمع من أبيه وغيره وأجاز له أبو عبدالله ابن الفخار وأبو العباس ابن اليتيم، ووَلي قضاء بلده، وكان رجل صدق.

ـ ٦٦ ـ

ابـن سفـر

[أبو الحسين أو] أبو عبدالله محمد بن سَفَر الأديب[١] منسوب إلى جدّه، وأصحابنا يكتبونه بالصاد، وكان بإشبيلية وهو من ناحية المَرِيّة، قال في المدّ والجزر بوادي إشبيلية وأبدع في ما اخترع[٢]:

شَقَّ النسيمُ عليـه جيبَ قميصـه ... فـآنساب من شـطَّيْه يـطلب ثـارَهُ
وتضـاحكَتْ وُرْقُ الحمام بـأيكهـا ... هُـزْءاً فـضمَّ مـن الحيـاء إزارَهُ

وقـال أيضـاً[٣]:

لـو شـاهـدَتْ عينـاك زَورَقَ فتيـةٍ ... أبدى بهم نهجُ[٤] السرور مَراحَـهُ
وقد آستداروا تحت ظـلّ شِراعـه ... كـلٌّ يمـدّ لكـأس راحٍ راحَـهُ
لحسِبتَـه خوفَ العـواصف طـائـراً ... مـدَّ الحنـانَ على بنيـه جنـاحَـهُ

* * *

(١) الوافي ٣: ١١٤ والمقتضب: ١٠١ وانظر المغرب ٢: ٢١٢ ورايات المبرزين: ٧٥، وقد عدّه ابن سعيد شاعر المرية في عصره؛ وانظر صفحات متفرقة من نفح الطيب.

(٢) ورد البيتان أيضاً في النفح ١: ١٥٧، ٣: ٢١٢.

(٣) المغرب ٢: ٢١٢.

(٤) المغرب: يبدي بهم لج.

ـ ٦٧ ـ
النجـــاري

أبو زيد عبدالرحمن المعروف بالنجاري[١].

لـــه:

قـد كـنـتُ أرجـوك مـع الـلَّـهِ   قد صرتُ أرجو الله مِن بعدما
مـا يَـغـفَـلُ الله عـن الـلاَّهـي   يـا لاهيـاً يلهُـو بكُـلِّ الـورى

وأنشدني أبو الحجاج ابن إبراهيم بتونس قال: أنشدني أبو زيد هذا ببَيّاسة، وحَكى أنه خرج مع أبي بحر صفوان بمُرسية يطوفان على ضفة نهرها، فوقفا على الدولاب الملاصق للقصر، فقال النجاري:

وبـاكيـةٍ تَبكي فيُسْلي بكـاؤهـا   وما كُل من يَبكي إذا ما بكى يُسلي

فقال أبو بحر:

كـأنّ بُكاهـا من سُـرورٍ فـدمعُهـا   يُثير سُروراً في جوانح ذي خَبْلِ

فقــال النجـاري:

فيـا عجبـا ينهـلُّ واكفُ دَمعهـا   سريعاً وإن كانت تَدور على رِسْلِ

فقال أبو بحر:

كذاك السحابُ الغُرُّ تُرسِلُ دَمعَها   سريعاً وتَمشي في السماء على مَهْلِ

---

(١) عن المقتضب: ١٠٢.

فقــال النجــاري :

تَسلسلَ منها الماءُ من كُلِّ جانبٍ فخيّلتهـا من عَبرة الصَّبِّ تَسْتملي

فقال أبو بحر:

كأنّ السحابَ الغُـرَّ ألقتْ بسرِّهـا إليها فلم تكتُم وضاقتْ عن الحَمْل

* * *

— ٦٨ —

البَكْـري الإشْبيلـي

أبو محمد عبدُالله بن محمد بن عمَّار البَكْري[١] من أهل إشبيلية، ومن أقارب أبـي عُبيد البَكْري. قَدِمَ على شَرْق الأَنْدلس في أولِ هذه المائةِ السابعة. وَسمعَ منه ببَلَنْسِيَة بعضَ شعره شيخُنا القاضي أبو الخطَّاب ابن واجب[٢] ثم عاد إلى بلده وبه توفّي. ومن شعره:

سُلَّتْ على الأَعْداءِ منه صَوَارِمٌ قَطَعَتْ مَناسِبَ رُومَةٍ عن قَيْصَرِ
وكتائبٌ ضاق الفضاءُ بحَمْلِها بَرِئَتْ بها لَمْتُونَةٌ مِنْ حِمْيَرِ

وأوّلُ هذه الأَبيات:

طَلَعَتْ كبَدْرِ التِّمّ لاح لمُبْصِرِ غيداءُ تَبْسِمُ عن نَفِيسِ الجَوْهَرِ
وتنفَّستْ فكأنَّ نفحَ مُدَامَةٍ شِيبَتْ روائحُها بمِسْكٍ أَذْفَرِ
عجبتْ لراميَةِ القلوب بأَسْهُمٍ أبداً تُفَوَّقُ من قِسِيِّ المَحْجَرِ
سَفَرَتْ كما وَضَحَ الصَّباحُ فقابلتْ بَدْرَ السَّماءِ ببَدْر أرضٍ نيِّرِ

ومنه:

أهلاً بساحرةِ الجفون وقد أَتَتْ لزيارتي تَمْشي على استِحْياءِ
خافتْ عُيونَ وُشاتِها فتلفَّعتْ حَذَرَ الرقيب ببُرْدَةِ الظَّلْماءِ
وأتتك بين لِدَاتِها فكأنَّها قَمَرٌ وهنَّ كواكبُ الجَوْزَاءِ

---

(١) الوافي ١٧ : ٥٥٠ والمقتضب: ١٠٤.

(٢) أبو الخطاب محمد بن عمر بن محمد ابن واجب القيسي من أهل بلنسية، قتل بأوريولة في الفتنة آخر سنة ٥٣٩ أو أول السنة التالية (التكملة: ٤٤٣).

وقال في أعور غَمَّتْ حدقتَه السليمةَ حُمْرَةٌ إلّا يسيرَ بياضٍ كالخطِّ الدائر بها؛ وقاله ارتجالاً:

لم تَـرَ عَيْني مثـلَ عَيْنٍ غـدتْ لا تَعْـرفُ السُّهْـدَ من الـغَمْضِ
فـازتْ يَـدُ الـدهـر بتفـريقهـا مـن كـلّ مُـسْـوَدٍّ ومُـبْـيَضِّ
وأبـقـتِ الأيـامُ أُخـتـاً لـهـا نـاكسـةَ الـرأس إلـى الأرضِ
كـأنّـهـا مـن حُـمْـرَةٍ وردةٌ قـد طُـوِّقَتْ بـالسَّـوْسَنِ الغَضِّ

وقال في صديقٍ كان يُدَاجيه:

ومُستبـطنٍ حِقْـداً وفي حَـركـاتـه تَصَنُّـعُ مَـظْلومٍ يَـذِلُّ لـظالـمِ
تَصـدَّى لإينـاسي بحِيلةِ فـاتـكٍ ولاحَـظَني خوفـاً بـطَرْفٍ مُسـالِمِ
تَسَتَّـرَ عن كَشْفِ العَداوة جَـاهِـداً كما كمنتْ في الرَّوض دُهْمُ الأراقِمِ

ومن شعره يَصِفُ إشبيلية من قصيدة:

أَجِلْ فَدَيْتُـكَ طَرْفـاً في محاسِنِهـا تُبْصِـرْ وَحَقِّـكَ منهـا آيـةً عَجَبـا
قُـطْر تكنّفَـهُ من جـانبَيْـه معـاً مصـانـعٌ تَحمـلُ الأَنْـدَاءَ واللَّهَبـا
زُهْرُ الوجـوه كأنّ البَـدْرَ جَرَّ على حيطانها البِيضِ من أَنْـوارِهِ عَذَبـا
والنهـر كالجـوِّ راقَ العينَ بَهْجَتُـهُ تَهُـزُّ منـه الصَّبـا هنديـةً قُضُبـا
تَـرَاهُ من فضّةٍ حينـاً فـإنْ طلعتْ عليه شَمْسُ الضُّحَى أَبْصَرْتَهُ ذَهَبا
صـفـا وراق فـلولا أنّـه نَـهَـرٌ أمسى(١) سماءً يُرينا في الدُّجى شُهُبَا
كـأنّمـا الجَـوُّ مـرآةٌ بـه صُقِلَتْ زَرقـاءُ تَحسبُ فيها زَهـرهـا حَبَبـا
ما روضةُ الحَزْنِ حلَّى القَطْرُ لَبَّتَها ومَدَّتِ الشمسُ في حافـاتها طُنُبـا
يوماً بأبهجَ مـرأىً منه إنْ رَقَصَتْ حدائقُ الحُسْنِ(٢) في أرجائِهِ طَرَبا

وكانت بينه وبين الخطيب أبـي الربيع ابن سَالم مكاتبات، ووجه إليه

---

(١) المقتضب: أضحى.
(٢) المقتضب: قضب الحدائق.

الكتاب مخاطبة ومراجعة في استدعاء كتاب البلاذري «نَسَب الأَشْراف» فجاوبه أبو الربيع بأبيات.

ومن أبيات البكري:

ابعثْ إليَّ أبا الـرَّبيـع صحيفـةً قـد راق منظرُها وطاب ثناهـا
مهمـا تُصِـخْ أسمـاعُنـا لحـديثهـا فنُفـوسُنـا تصبـو إلى رُؤْيـاهـا
أضحتْ تحدِّثُ عن أُناسٍ أَصبحوا رممـاً يـذكِّـرك الـرَّدى مَثْـواهـا
أَظْفِـرْ يـدي منهـا بعِلْقٍ مَضِنَّـةٍ كَيمين مـوسى أُظْفِـرَتْ بعَصَـاهـا
أو كـالقَميصِ أتى النَّبـيَّ مبشّـراً فـأزاح عن عين النَّبيِّ عَمـاهـا

فأجاب أبو الربيع بأَبياتٍ منها:

أهدى إلى النفس المَشُوقِ مُنَاهَا وأَعـادَ نُـضْـرَةَ أُنْسِـهِ وَثَـنَـاهـا
طِرْسٌ أتى والمجدُ بعضُ حُـذَاتِهِ يحـوي نـظائِـرَ فـاقتِ الأَشْبـاهـا
حَـيَّـى بهـا وُدّي سُـلافـاً مُـزَّةً طـابتْ مـذاقتُهـا وطـاب شـذاهـا

[ومنهـا]:

تبغي الحديثَ عن الألى درجتْ على سَمْتِ العـلا آحـادُهَـا وثُنـاهـا
طـوتِ السنـونَ حيـاتَهـا لكنمـا حُسْنُ المساعِي في الورى أحياها
لـبيـك راعـي خلةٍ مـسـتـدعـيـاً سِيَـرَ الكرامِ وقـد سبقتَ مـداهـا
لم يَعْـدُكَ التوفيقُ فيمـا رُمْتَـهُ بـل وافقتْ بـك رميةٌ مـرمـاهـا
سيـرُ الأَوائِلِ خيـرُ ما استنـطقتَهُ عن سُنَّـةِ المجـدِ التي تـرعـاهـا
نعم الجليسُ على انفـرادٍ دفتـرٌ تـعتـامُ مـنـه قبلةً تـرضـاهـا
لا مفشياً سرَّ الصـديقِ ولـو جفـا ومـتى يـعـايـنْ خَـلَّةً أخـفـاهـا
يـدنـو إذا أدنيتـه ومـتى تـشـأ إقصـاءه يقـنَ الحيـا وتنـاهـى
خـذه كمـا أحببتَ عِلْقَ مَضِنَّـةٍ حَسْبُ الأمـاني حُسْنُهُ وكفـاهـا

وهي أبيات طويلة؛ فوجه إليه أبو الربيع بالكتاب.

قال الشيخ أبو الربيع: وكان أبو محمد قد كتب قوله: «المَضِنَّة» في أبياته بظاء ثم إنّه تذكَّر ذلك بعد إنفاذها فكتب إلى أبـي الرَّبيع ابن سالم:

قُلْ للفقيه أبـي الرَّبيع وقد جَرى   قَلَمي فـأَصْبح بـالصـواب ضَنِينـا
ابْشُـرْ بفَضْلِكَ ظاءَ كـلِّ مَضِنَّـةٍ   شـالَتْـه كفّي فـاسْتحـال ظَنِينـا

فكتب إليه:

حَسِّنْ بـإخـوانِ الصَّفـاءِ ظُنُونـا   ليس الصديقُ على الصديق ضَنِينا
ما دار في خَلَدي سِوَى غَلَطٍ جرى   حـاشـاكَ تُلفَى بـالصَّـوابِ ضَنينـا
ولقـد بشـرْتُ مُشَـال كـلِّ مَضِنَّـةٍ   لمّـا أتتْ حتى بشـرتُ النُّـونـا

وأنشـدني أبو محمـد عبدالله بن عبـدالرحمن الأزدي بتـونس، قال: أنشدني أبو محمد ابن عمار بمرسية في لابس ثوبٍ أصفر:

نـارٌ لـقـلبي نـورٌ لـعيـنـي   كـلاهـمـا قـادني لِـحَيْـنـي
أُلْـبِسَ لـلحسـنِ ثـوبَ تـبـرٍ   يَـزيـن مـرآهُ أَيَّ زيـن
لا تـنـكـروه فـغـيـرُ بِـدْعٍ   قـميصُ تـبـرٍ عـلى لـجيـن

* * *

ـ ٦٩ ـ
ابن أبـي قُوة

أبو الحسن علي بن أحمد أبـي قُوة الأزدي(١)، من أهل دانية، سكن مَرّاكش، وبها تُوفي سنة ثمان وستمائة.

وله قصيدة يهنىء فيها بفتح قفصة(٢)، منها في المهنّى قوله:

فصلُ القضيةِ أَنَّ حزبَكَ غالبٌ   عند الكفاحِ وحزبُهُمْ مخذولُ
ذَكَّرْتَهُمْ يومَ الحِسابِ فلم يَسَلْ   منهم هناك عن الخليلِ خليل

منهـا:

تركَ الفريسةَ وهي منه بمخلبٍ   إنَّ الصقورَ على البغاثِ تصول
كتبتْ يراعُ الصفر بين ضلوعه   سطراً يرى في سفكه التأويل
فالثغر ثغرٌ بالبشائر باسمٌ   والدينُ جفنٌ بالسرور كحيل

ومنهـا:

المجدُ يشهدُ والبسالةُ والندى   والحلمُ أنك للامام سليل
أحييتم الإيمانَ بعد مماتِهِ   وشفيتم الاسلامَ وهو عليل
لولا بيانكمُ ونورُ هداكمُ   لم يُعرفِ التحريمُ والتحليل

---

(١) الوافي ٥: ١٥٤ والمقتضب: ١٠٧ والبدر السافر، الورقة: ٢/أ (وفيه فوة بالفاء) وانظر التكملة رقم: ١٨٨١ والذيل والتكملة ٥: ١٥٤؛ وكان ابن أبي قوة محدّثاً مكثراً ثقة ضابطاً عاقداً للشروط بارع النظم والنثر رائق الخط، له ردّ على رسالة ابن غرسية وغير ذلك من التواليف.

(٢) قد تقدم القول بأن فتح قفصة تم سنة ٥٧٦.

وقال يرثي أبا القاسم ابن حبيش الخطيب[1] بقوله:

يا سرحةَ العلم التي لما ذوتْ ... طُمِسَتْ عيونٌ بعدها وعيونُ
ما كنت إلا الشمسَ يَجْهَلُ قَدْرَهَا ... من لم تعاوده ليالٍ جون
إيهٍ ثمالَ الطالبين وظلَّهم ... كلُّ المصائبِ ما عداك تهون

ومنها:

يا أيها الرُّوح المقدَّس لم تَفِظْ ... إلا لتُشْغَفَ[2] فيكَ حُورٌ عِينُ
للَّهِ نعشُك يومَ حملك[3] إنه ... لجميع أشتاتِ العلومِ ضَمِين
فكأنه مُوسى يُناجي ربَّه ... وثناءه من بعده هارون

ومنها:

هذي المنابر باكياتٌ بعده ... فلها عليه زفرةٌ وأنين
ولطالما طَربتْ به حتى تُرى ... عيدانُها قد عُدْنَ وَهْيَ غُصون
غضبانُ في حقٍّ رفيقٌ بالورى ... كالسيف فيه مع المضاءِ اللين

* * *

(١) هو القاضي الحافظ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري المريي نزيل مرسية، وحبيش هو خاله نسب إليه، ولد بالمرية سنة ٥٠٤ وهاجر إلى مرسية لما استولى الروم على بلده سنة ٥٤٢، ثم سكن جزيرة شقر وولي القضاء بها اثنتي عشرة سنة ثم نقل إلى خطابة مرسية والقضاء بها عام ٥٧٥، وكان من أعلام الحديث بالأندلس وتوفي بمرسية سنة ٥٨٤ (انظر تذكرة الحفاظ: ١٣٥٣ والتكملة رقم: ١٦١٧).

(٢) المقتضب: لتتعب؛ البدر: لتسعف.

(٣) المقتضب: حمل.

— ٧٠ —

ابـن بـدرون

أبو القاسم عبدالملك بن عبدالله بن بَدْرون الحَضْرميّ(١)، من أهل شِلْب، ويكنى أبا الحُسين؛ وهو مؤلف «كمامة الزَّهر وصَدفة الدُّرر»(٢) في شرح قصيدة أبي محمد ابن عبدون اليابري التي يَرثي بها المتوكل(٣).

ولـه:

لِيَهْنِ الأعادي منك أنَّ سُروجَهم ... وإن أَنِفوا دون اللُّحود لُحودُ
فإنْ وَضعوا كفّاً فسيفُك ساعدُ ... وإن رفعوا رأساً فرمحك جيد

---

(١) الوافي ٥ : ٢١ والمقتضب : ١٠٨ وانظر التكملة رقم : ١٧٢٧ والذيل والتكملة ٥ : ٢١ .
وكان ابن بدرون كاتباً بليغاً حسن الخط جيد الضبط تاريخياً، وكان حياً سنة ٦٠٨ وتوفي بشلب.

(٢) نشره دوزي بليدن عام ١٨٦٠ ثم نشر بمصر سنة ١٣٤٠ .

(٣) هو المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس، وقد أزاله المرابطون عن الحكم سنة ٤٨٧، والقصيدة المشار إليها في الذخيرة ٢/٢ : ٧٢١ والمطرب والمعجب وفوات الوفيات ونفح الطيب ونهاية الأرب ٥ : ١٩٠ ومصادر أخرى كثيرة. وفي ترجمة المتوكل، انظر الحلة السيراء ٢ : ٩٦ والمعجب : ١٢٧ والذخيرة ٢/٢ : ٦٤٦ وأعمال الأعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والفوات ٣ : ١٥٥ والخريدة ٣ : ٣٥٦، ونفح الطيب ١ : ٦٦٣.
وابن عبدون عبدالمجيد هو الكاتب الشاعر المجيد في دولة بني الأفطس ببطليوس، توفي سنة ٥٢٧، له ترجمة ضافية في الذخيرة ٢/٢ : ٦٦٨، وفيها مختارات كثيرة من نثره وشعره؛ وانظر القلائد : ١٤٥ والغنية : ٢٣٤ والمغرب ١ : ٣٧٤ ورايات المبرزين : ٣٢ وبغية الملتمس رقم : ١٥٦٧ وصلة الصلة : ٤٢ والتكملة : ٤٠٧ والمطرب : ١٢٧، ١٨٠ والفوات ٢ : ٣٨٨ وصفحات متفرقة من نفح الطيب (وله ترجمة في الوافي للصفدي). ومطلع قصيدته في رثاء بني الأفطس:

الدهر يفجع بعد الأين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور

ـ ٧١ ـ
الكـــانمي

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شكلة الذكواني الكانمي(١)، وزادني أبوعبدالله الصفار أنه سلمي ذكواني من قرية من قرى السودان بكانم تسمى بلمة ـ وكانم بلد مما يلي صعيد مصر(٢) ـ وكان لونه غربيباً، وأمره غريباً، قدم على المغرب قبل الستمائة، وسكن مراكش وأقرأ بها الآداب. وبلغني أنه دخل الأندلس، وكان شاعراً محسناً، قرأ المقامات، وتوفي سنة ثمان، أو تسع، وستمائة بمراكش.

ومـــن قولـــه:

كم سائلٍ لم لا تهجـو فقلتُ له ... لأنني لا أَرى مَنْ خافَ من هاجِ
لا يكـرهُ الذمَّ إلا كـلُّ ذي أَنَفٍ ... وليس لؤمُ لئـامِ الخلقِ منهـاجي

وله يتعصَّبُ لبعض الألوان:

لا تشهــدنَّ لـغــربيـبٍ ولا يَقَـقٍ ... حتى تشـاهدَ فضـلاً غيـرَ مـردودِ
بكــلِّ لـونٍ ينــالُ الحـرُّ سُـؤْدَده ... مهمـا تجـرَّدَ من أخـلاقـه السـود
والنـاسُ لفظُ كلفظِ العود مشتـركٌ ... لكن يُـرَجَّـحُ بين العــود والعـود
أما ترى المسكَ حقُّ العاج يخبأه ... والجصّ مُـطَّرَحٌ فـوق القــراميـد
ولـم يبــالِ ابنُ عمـرانٍ بــأُدْمَتِـهِ ... حتى اصـطفاه كليمـاً خيرُ معبـود

وأنشـدني أبو القـاسم ابن عُلَيم قال أنشـدني أبـو زيـد الفـازازي(٣)

---

(١) الوافي ٦: ١٧٠ والمقتضب: ١٠٩.
(٢) الوافي: بليدة بنواحي غانة إقليم السودان (وهو الصواب).
(٣) ستأتي ترجمته رقم: ٨٥.

لأبـي إسحاق هذا إثر خروجه من عنده وقد أتاه زائراً [قال: وكان أبو زيد الفازازي يفضله على شعراء عصره بهذين البيتين]:

أفي الموت شكٌّ يا أخي وهو برهانُ ففيمَ هجوعُ الخلق والموتُ يقظانُ
أَتَسْلو سلوَّ الـطيـر تَلْقط حَبّهـا وفي الأرض أشراكٌ وفي الجوّ عِقْبَانُ

ومـن شعـره:

إنّي وإن ألبَسَتْني العجمُ حُلّتهـا فقـد نَمـاني إلى ذكـوانهـا مُضَـرُ
فـلا يَسُـؤكَ من الأغمادِ حـالكهـا إن كان باطنها الصمصامةُ الذَّكَـرُ

* * *

- ٧٢ -

ابن ثعلبة

أبو بكر محمد بن ثعلبة الكاتب[1] من أهل غرناطة، له، ونقلته من خطه:

حامتْ طُيور رجائي وهي ظامئةٌ ... على شَريعةِ قُربٍ منك تُرويها
فابذُل لها العذبَ من لُقياك إنَّ لها ... سَجْعاً بذكركمُ ما زال يُغْريها
ورِشْ لها من جَناحِ الفَضلِ قادمةً ... يا ابنَ الكِرام فقد هيضتْ خَوافيها
راحت إليك أبا العبّاس مأرُبَتي ... ترجو النَّجاحَ فلا تَقْطعْ تَرَجِّيها
ولم تَؤُمَّ سوى كَفَّيك مِن صَنعَ ... هي القِسيُّ وأنت اليومَ باريها
وفي التَّداعي إلى نَجواك أيُّ منىً ... فإنْ مَننتَ فليس المَطْلُ يَعْرُوها
سَوِّغ بها أملَ المُشتاق منكَ رِضاً ... فإنَّ جُودَ العُلا بالوَصل يُرضيها
هذا ولا رغبةٌ في نَيْل طائلةٍ ... إلا بدائع من يُمناك تُهديها
أَجِلْ بنانيَ في مَجْنَى أزاهرها ... فطالما بِتُّ بالأفكار أَجْنيها
وقد وجدتُ لمَعنى العيش لفظَ عُلاً ... فأيقنتْ بُغيتي أنْ سوف تَحْويها
لا زلتَ تُحيي لها من رَوْمها أملاً ... أودى وتَبني عُلاً هُدَّت مَبانيها

وله:

وفي جِماهم شادِنٌ ... لم تكتنفهُ الرِّيَبُ
تُترِعُ لي ألحاظُه ... كأسَ الهوى فأشرَبُ
أهيَفُ إلّا فضلةً ... لا تدّعيها الكُتُبُ

---

(١) الوافي ٢: ٢٨٢ والمقتضب: ١١١.

عـذّبـنـي حـامِـلُهـا وهـو بـهـا مـعـذَّبُ

وخرج يوماً صحبة أبـي بحر صفوان بن إدريس وجماعةٍ في مرسية فقعدوا على صهريج ماءٍ يحفّ به أدواحٌ مزهرةٌ وسقيطُ نَوْرِهَا على الماءِ واقعٌ، فقال ابن ثعلبة[١]:

خليلي أبا بحرٍ ومـا قَرقَفُ اللمَى بأعذبَ مِن قولي خليلي أبا بحرِ
أَجِـزْ غيرَ مـأمـورٍ قسيمـاً نـظمتُـهُ تأمَّلْ على مجرى المياه حُلَى الزّهرِ

فقال أبو بحر[٢]:

تأمَّلْ على مجرى[٣] المياه حُلَى الزَّهرِ كعهدك بالخضراءِ والأنجُم الزُّهـرِ
وقـد ضحكَتْ للياسمين مَبـاسِمٌ سـروراً بآداب الفقيـه[٤] أبـي بكر
وأصغَتْ من الآسِ النضيرِ مَسامعٌ لتسمعَ ما تتلوه[٥] من سُوَر الشعرِ

* * *

(١) نفح الطيب ٣: ٢٧٠ وذكر أن أبا بكر ابن ثعلبة كتب بالبيتين إلى أبـي البحر، وانظر أيضاً بدائع البدائه: ٨٧.
(٢) النفح ٣: ٢٧١ وبدائع البدائه.
(٣) النفح: بحر.
(٤) النفح والبدائع: الوزير.
(٥) النفح: يتلوه.

ـ ٧٣ ـ
ابن أبي البقاء

أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان الأنصاري الأستاذ[١] من أهل بلنسية ويعرف بابن أبي البقاء وأصله من سَرَقُسطَة، وتعلّم كبيراً فبرع في العربية وعلّم بها واعتنى بتقييد الآثار، وكان شاعراً مجوّداً مقطّعاً ومقصداً، وتوفي سنة عشر وستمائة[٢].

قال من مرثيةٍ:

قـد علّمتْني الليـالي أنّ رَيِّقَهـا ... صـابٌ وإن قال قـومٌ إنـه عَسَـلُ
إنّ الـذي كـانت الآمـالُ مُشرِقَـةً ... بـه وعيشُ الأماني بُـرْدُها خَضِـلُ
أصابَ صرفُ الليالي منه قُطْبَ حِجىً ... يا من رأى الشُّهْبَ قد أعيت بها السبُلُ
وهَـدَّ للحلم طوداً شـامخـاً عَلَمـاً ... يـا لليالِيَ تشكـو صَرفَهـا الحيَـلُ
وضاق وجهُ الدجى عن نور بهجته ... فكيف تُـوسِعُها إشـراقَهـا الأُصُـلُ

وقـال أيضـاً:

غيـرُ خـافٍ على بصيـرِ الغـرامِ ... أنّ يـومَ الـفـراق يـومُ حِمـامِ
عـبَـراتٌ تَـصُـدُّ عـن نـظراتٍ ... ونَشيـجٌ يحـول دون الكـلامِ
ودمـاءٌ تُـراقُ بـآسـم دمُـوعٍ ... ونفـوسٌ تُـودي بـرسم سـلامِ

---

(١) الوافي: ١: ٢١٥ والبدر السافر، الورقة: ١٥٨ /أ والمقتضب: ١١٢ وانظر التكملة: ٥٨٦؛ وكان ابن أبي البقاء شديد العناية بالسماع والرواية، متحققاً بعلم العربية عاكفاً على إقرائها، بصيراً بصناعة الحديث، وربما تعيش من الوراقة في بعض الأوقات؛ ومولده في صفر سنة ٥٦٣.

(٢) البدر: ست عشرة وستمائة.

شَـرِبتْ بعـدك الليـالي حيـاتي غيـرَ أوشـالِ لـوعتي وسَقـامي

وله، أنشدنيها صهره أبو الحسن عليّ بن أحمد المكناسي، قال: أنشدني لنفسه. قلت: حضر أبو بحر ليلةً بمُرسية، وبها جماعة من الطلبة ووجوه الناس، ومعهم طالب بلَنسي، فتباسطوا إلى أن عرضوا عليه أن يُنشدهم، فأنشد هذه القصيدة. فقال أبو بحر: ما تملُّون من كلام مهيار؟ فقال له البلنسي: ولا بد، هذا كلام مهيار؟ فقال: هذا نَفَسُهُ وهذا منزعه، فقال له: هي للأستاذ ابن أبي البقاء؛ فخزي أبو بحر ووَجم:

نِمْتُمُ عن لَيـلِ حِلْفِ السَّهَـرِ وطـويتُمْ غيـرَ مـا في مُضْمَـرِي
ودعـا البيـنُ فلم يَجنـحْ إلى دَعـوةِ البيـن سـوى مُضْـطِـرِ
ليت شعـري هل وجـدتُم بعـدنـا مـا وجـدنـا من أَليم الـذِّكَـر
لـوعـةٌ نـجـديّـةٌ تَـطْرُقُـنـا وغـرامٌ بـابـليٌّ يَـعْـتـري
وهـوىً هـيَّـجَ مـا هـيَّـجـه مِن جَـوىً أضـرم نـارَ الفِكَـر
كـلّمـا أبصـرتُ شيئـاً حَسنـاً بـعـدكمْ أعـملتُ غَضَّ البَصَـر
فـعـلام اطُّـرِحَـتْ مـودَّةٌ لـم تَشِـنْهـا وَصْـمـةٌ من كَـدَر
كـان من حقّ الوفـا أن تَصْرِفـوا قـولـةَ الـواشي بحُسْنِ النَّـظر
لا ووجـدي وغـرامي في الهـوى وخضـوعي فهـو إحـدى الكُبَـر
مـا نسينـا سُـورةً من عهـدكم كيف تُنْسَى مُحكمـاتُ السُّـور
هـل إلى عـودةِ حُـزْوى سببٌ أو إلـى يـانـعِ ذاك السَّـمُـر
وبـوُدِّي لـو وجـدنـا سـبـبـاً لارتـجـاعِ الفـائـتـاتِ الأُخَـر
قـد ذوتْ ريحـانَـةُ العيشِ وهـل يَـرجـعُ النضـرةَ ذاوي العُمُـر
ونـسـيـمٌ كـلَّمـا عَـلَّلنـا صـدَّ إغـفـاءةَ نـوم السَّـحـر
مـا على ظبـيٍ سقـاني بِمنـىً لـو أرانـي مـثـلَهـا فـي أُقُـرِ
يَـنْـصُـلُ الـعـامُ ولا نـلقـاكُـمُ يا لَقَـوْمي لـلضَّنين المُـوسِـر
وعـلى هـذا فـلا عَـتْـبَ علـى مـا جَنيتُم فهـو حُكْـم القَـدَر

ولـــه:

سلوا فتيـاتِ الحيِّ عنّي فـربّمـا عَصيتُ التَّصابـي أو أطعتُ التكرُّما
تقـولُ يشُـوق الحيَّ بـان خليـطُه ويهتـاجُ أنْ غَنَّى الحمـامُ ورنَّمـا
ويَسْري إلى الذَّلفاء والليلُ لابسٌ من النَّجم والظلماءِ ثـوباً مـوشَّما
أيَشغلني عن وابـلِ البَرقِ رَعـدُهُ وأبتـاعُ بـالبُرهـان ظَنّـاً مُـرجَّمـا
أيا سائلي عن جُلِّ همّي وهِمَّتي ألم تسرني بـالمكـرمـات متيَّمـا
إذا لم أُرشَّـح للفضـائـلِ يـافعـاً فهــل أُدْرِكُ العليـاءَ إلا تَــوهُّمـا
وهل يُتعاطى أن يكون أخا العُلا ووالـدَها مَن لا يكـون لها آبنمـا
وما المجدُ إلا كَفُّك النفسَ عن هوًى يَلذُّ وإن سُـوِّغتَ صـابـاً وَعلْقمـا
ورَمْيُك جَوْنَ اللَّيـلِ بالعيسِ إنـه إذا ناب خَطْبٌ فآرْضَ بالعيس أَسْهُما
وذي رَوْنق كـالبَـرْق لكنَّ وعــدَهُ صَدُوقٌ ووعدُ البَرق كِذْبٌ ورُبّمـا
عقـدتُ نجادَيْـهِ لحـلِّ تمـائمي[1] وقلتُ لــه كُن للمكـارمِ سُلَّمـا
وسـاءَ الأَعادي إذ بكتْ شَفـراتـه وسُــرَّ وُلاةُ الــوُدّ حين تَبسّـمـا

ومن شعره يمدح[2]:

لإقبالِ هذا السَّعْدِ تبتهجُ الـدنيا ويحيا منَ الآفاقِ ما لم يكنْ يحيا
كذاك انتشارُ الأَرضِ من بعدِ موتها أيا من رأَى مَيْتَ الدُّنا ناشراً حيا

وقــولــه:

وكم بالمصلَّى والكنيسةِ من هوًى أَثــارَ بـأَحنــاءِ الضلوع بــلابــلا
يفـوقون سحبـاناً فصـاحـةَ منـطقٍ تـزيـدُ على أَلفـاظِ قَسٍّ بـلابــلا
بهـا أَخوا صـدقٍ جديـدٌ لـديهمـا ثيابُ جديدِ المجدِ لن يَقْبَلا بلا
سأَلتهما حفظَ الـودادِ على النوى فـلا وأَبيك الخيـر ما قـابـلا بـلا

(١) المقتضب: عفوت لحاديه يحل بجاسم (وهو شديد الاضطراب).
(٢) القطعة والتي تليها من البدر السافر.

ـ ٧٤ ـ
ابــن فــرسان

أبو محمد عبدالبر بن فرسان الغسّاني الكاتب(١): من أهل وادي آش، وأخذ بمالقةَ عن أبي القاسم السُّهيلي، ثم لحق بإفريقية فكتب ليحيى بن إسحاق بن غانية وحضر معه حُروبَه، وكان من رجالات وقته براعةً وشجاعة، وأصابته في بعض الوقائع جراحةٌ آنتقضت به فهلك منها سنة إحدى عشرة وستمائة، قبل وفاة مخدومه بأزيد من عشرين سنة، فلم يَسُدَّ عنده أحدٌ مسدَّه بعد ذلك.

ومـن قولـه(٢):

نَدًى مُخْضِلاً ذاك الجَناحَ المُنَمْنما ... وسَقياً وإن لم تَشْكُ يا ساجعاً ظَما
أَعِدْهُنَّ ألحاناً على سَمْع مُعْـرِبِ ... يُطارِحُ مُرتاحاً على القُضْبِ مُعْجِما
فَطِرْ غيرَ مَقْصوصِ الجَناحِ مُرفَّهاً ... مُسـوَّغَ أشتـاتِ الحُبـوبِ مُنعَّمـا
مُخلًّى وأفـراخاً بـوَكـرِكَ نُـوَّماً ... ألا ليت أفـراخي معي كُنَّ نُـوّمـا

وقـال:

ألا يـا ليـلُ دمعـكَ مُستـهـلٌّ ... ووجهُـكَ كـاسفٌ وحَشـاكَ خـافِقْ
أَفَـارقَـكَ الأنيسُ فِـراقَ إلْـفي ... مَعـاهـدَه فقـد يبكي المُفـارقْ
أَطَـلْتَ على مُسهَّـدِكَ الـمُعـنَّى ... وبعضُ الـطُّولِ للعـاداتِ خـارقْ

---

(١) انظر المغرب ٢:١٤٢ ورايات المبرزين: ٦٢ ونفح الطيب ٢:٦١١ ورحلة التجاني: ١٠٦، وما هنا مقتصر على ما جاء في المقتضب.

(٢) النفح ٢:٦١٢.

وغــابـتْ أنـجـمٌ لــكَ زاهــراتٌ وقـد ظَهرتْ مَشيباً في المَفـارق
فيـا رَكْبَ الـدُّجى حَثْحِثْ قليـلاً لعــلَّ الفَجر تُـطْلِعُـهُ المَشــارق

وقـــال:

بَــيَّض مِـن مَــفـرقــي عَــدُوِّي لـخَــوض هَــوْلٍ أو خَــرْقِ دَوٍّ
وصَـيَّـر الـلـيــلَ منــه صُبحـاً طــلوعُ شَــمسٍ بــكُـلِّ جَــوّ

وقـــال[1]:

كفى حـزنـاً أنّ الـزِّجـاجَ صَقيلةٌ وأن الشَّبـا رَهْنُ الصَّـدا بـدمـائِهِ
وأنّ بَيــاذيقَ الجــوانبِ فَــرْزنـتْ ولم يَعْـدُ رُخُّ الدَّسْتِ بيتَ بِنـائه

قال: وأنشدنيه الأستاذ أبو عبدالله محمد بن عبدالجبار قال: أنشدنا لنفسه:

بين الحجـازِ وبين الغَرب قـاطعةٌ مِن العَـوائقِ سُدَّتْ دونهـا الطُّرُقُ
عَــوفٌ وزُغْبٌ ودبَّـابٌ وســالمهـا والهَيَّبــون ودَومُ البحــرِ والغَــرق

وله في صدر رسالة يُخاطب بها عليلاً:

مَن لم يَــزُر بخُــطاهُ زار بقَلْبــه مُستنصـراً لـك في المُلِمِّ بــربِّـهِ
يدعُو وقد يُجدي الـدُّعاءُ مُجهَّـزاً في حَربِ أنصارِ الخُلوصِ ورَكْبه
يـا غـائبـاً تـاقتْ إليــه مَحـافِــلٌ كــانـت تــألَّمُ مـن زِيـارةِ غِبِّــه
لا دامَ هذا البُعد بَعْدُ ولا آعتدى دهـرٌ عليكَ بمُـوجِعٍ من خَـطْبه
ونبَـا حُسـامُ ضَنًى عَــراكَ وفُلِّلتْ بيَـدِ الشِّفـاء قـواطعٌ من غَـرْبـه

* * *

(١) النفح ٢: ٦١٣.

ـ ٧٥ ـ
ابن جعفر السكوني

أبو الحسين عبيدالله بن محمد بن جعفر السكوني(١)، من أهل إشبيلية، وهو ابن عم الهيثم بن أحمد(٢) الشاعر الإشبيلي، وكان أبو الحسين أعور هجاء. ومن شعره:

كيف النجـاةُ وقلبي بين أَشراكِ من مقلتَيْ مستطيلِ اللحظِ فتَّاكِ
شاكي السلاحِ ولم يحمل مثقَّفةً غيرَ الجفونِ ولكنْ يا له شاكِ
تشكو معاطفُهُ من ثِقْلِ مئزرِهِ ويا بلائي من المشكوِّ والشاكي

وله وقد دخل عليه بعضُ أصحابه بطبق ياسمين وأخبره أنه بعث في محبوبه فلم يصل إليه، ووجَّه ذلك الطبق مكانه، فقال:

أشار إلى اليأسِ من وَصْلِهِ وقد صحَّ في خاطري منذ حينْ
ولو شاء أرسلها وردةً فدلَّتْ على الوِرْدِ للعاشقين
على أنَّ هذا وهذا معاً يدلُّ على خدِّه والجبين

ومن شعره وقد تناول من يد معذِّرٍ «الأشعارَ الستة» فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرىء القيس التي أولها: «قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان» فقال يصفه مذيلاً بأعجاز[ها] أبياتاً منها:

---

(١) من الوافي والمقتضب: ١١٨.

(٢) الهيثم بن أحمد الشاعر أبو المتوكل نادرة عصره في الحفظ والارتجال، وكان على حال عجيبة من الزي الخشن الوسخ الأطراف، خرج من إشبيلية إلى شريش ولقي مصرعه سنة ٦٣١؛ له ترجمة في اختصار القدح: ١٥٨ والمغرب ١: ٢٥٨ ورايات المبرزين: ١٨ والتكملة رقم: ٢٠٢٣ والبدر السافر: ٢٢٠/ب وصفحات متفرقة من نفح الطيب (انظر الفهرس).

وذي صَلَفٍ خطَّ العـذارُ بخـدِّه «كخطٍّ زَبـورٍ في عَسيبِ يمـانِ»
فقلتُ لـه مستفهمـاً كُنْـهَ حـالـه «لمن طللٌ أبصـرتُـهُ فشجـاني»
فقـال ولم يملك عـزاءً لنفسـه «تمتـعْ من الـدنيا فـإنـك فـان»
فـمـا كـان إلا بـرهـةً ورأيتُـهُ «كتيسِ ظبـاءِ الحلَّبِ العـدوان»

وهذا من مليح التضمين ونبيل التذييل، وقد كان عند أبـي بحر[1] منه ما يستحسن. وكان شيخنا أبو الربيع ابن سالم كثيراً ما ينشدنا مستملحاً قول أبـي محمد ابن عبدون[2]، ويقول أنشدنا القاضي أبو عبدالله ابن زرقون عنه، وكان صاحب أنزال الدور ببطليوس[3] قد عيَّن له داراً واهية البناء، فكتب إلى المتوكل أبـي محمد ابن الأفطس[4]:

أيـا سامياً من جانبيـه إلى العلا «سموَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حال»
لعبـدك دارٌ حـلَّ فيهـا كـأنهـا «ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خـال»
يقـول لها لمـا رأى من دثـورهـا «ألا عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي»
فمرْ صاحب الأَنزالِ منها بفاصلٍ[5] «فإن الفتى يهـذي وليس بفعـال»

ومـن شعـره:

سحقـاً لـوجـه ابن أدهمْ فـإنـه يـجـلبُ الـهـمْ
ومـا اسـتـبـان لـخـلقٍ إلا اشـتـكـى وتـألَّـمْ
وجـهٌ تـرى الشـؤمَ فيـه يـكـادُ أن يـتـكـلم

وله من أبيات:

فـأنت يا ولـدَ الفخَّار أَنت كمـا تُـدْعَى ولا تسبقنَّ الـراء بـالألف

(١) يعني صفوان بن إدريس (انظر الترجمة رقم: ٥٢)
(٢) قد تقدم التعريف به.
(٣) بطليوس (Badajox) عاصمة دولة بني الأفطس في عصر ملوك الطوائف، وتقع في إقليم ماردة وبينهما أربعون ميلاً (الروض المعطار: ٩٣).
(٤) الأبيات في نفح الطيب ٣: ٢٩٤، ٤٥٤ والمطرب: ١٨٢.
(٥) نفح (٤٥٤): بعاجل.

ـ ٧٦ ـ
ابن أبـي خالد الكاتب

أبو عمر يزيد بن عبدالله بن أبـي خالد اللخمي الكاتب(١)، من أهل إشبيلية، صدرٌ في نبهائها وأدبائها، وممن له قدر في منجبيها ونجبائها، وإلى سلفه ينسب المعقل المعروف بحجر أبـي خالد(٢)، وتوفي بها سنة اثنتي عشرة وستمائة، رحمه الله.

وله في فتح المهدية(٣):

كم غـادر الشعـراءُ من متـردَّم ... ذُخِرَتْ عـظائمـه لخيرِ مُعَـظَّمِ
تبعـاً لمـذخـورِ الفتـوح فـإنهـا ... جـاءت لـه بخـوارقٍ لم تـعلم
من كلِّ ساميـةِ المنال إذا انتمت ... رَفَعَتْ إلى اليرموكِ صوتَ المنتمي
وتـوسـطت في النهـروانِ بنسبةٍ ... كـرمتْ ففازت بـالمحلِّ الأكـرم

وله من قصيدة يهنىء بفتح مَيورقة(٤)، هي بإجادته ناطقة(٥):

وغِـربـان يَمٍّ قـابلتْـه بَـوارحـاً ... فـأَدبـر لا يـرجُـو لـه مُتيمَّمَـا
بكـل كَمِيٍّ في اللِّقاء مُـدجَّـج ... إذا كَلَحَ اليـومُ العَمَـاسُ تَبَسَّمـا

---

(١) الوافي والفوات ٤: ٣١٩ والمقتضب: ١٢٠ والزركشي: ٣٤٨ ونفح الطيب ٤: ٥٦.
(٢) المقتضب: ابن أبـي خالد.
(٣) كان فتح المهدية سنة ٦٠٢هـ.
(٤) لعله يشير إلى الاستيلاء على الجزيرة بعد وفاة عبدالله بن إسحاق ابن غانية سنة ٥٩٩ (انظر البيان المغرب ٣: ٢١٥ ـ ٢١٧).
(٥) كلها من المقتضب، وفي الوافي والفوات والنفح الأبيات ٦ ـ ١١، وفي ريحانة الألبا ٢: ٤٦٩ الأبيات ٧ ـ ١١.

سحائب جَون أرعدت بصَليلها وأبدت بُروقَ البِيض كالوَشْي مُعْلَما
ويا حُسْن ما تبدُو خلال دُروعها أسنتُها تَحكي السماءَ وأنجُما
وقد عانقت سُمرَ الذَّوابل سُمرُها كما ضَم روضُ الحَزْن غُصناً وأَرْقما
ويا لَلجواري المُنشآتِ وحُسنها طَوائرَ بين الماء والجوِّ عُوَّما
إذا آنتشرت[1] في الجو أجنحةٌ لها رأيتَ به[2] روضاً ونَوْراً مُكَمَّما
وإن لم تَهِجْه الريحُ جاء مُصافحاً فمدَّت له كفّاً خَضِيباً ومِعْصما
مجاذيف[3] كالحيّاتِ مَدَّتْ رؤوسها على وَجَلٍ في الماء كي تُرْوِيَ الظما
كما أَسْرعتْ عدّاً أناملُ حاسبٍ بقَبْضٍ وبَسطٍ يَسبقُ[4] العينَ والفما
هي الهُدبُ في أجفانِ أكحلَ أَوْطفٍ فهل صُبِغَتْ من عَندمٍ أو بَكت دما

أجاد ما أراد في هذا الوصف، وإن نظر إلى فعل أبي عبدالله ابن الحدّاد[5] يصف أسطول المُعتصم بن صُمادح[6]:

هام[7] صَرف الرَّدى بهَامِ الأعادي أَن سمتْ نحوهم لها أجيادُ
وتراءت بشَرْعها كعُيونٍ دأبُها مثل خائفيها سُهاد
ذات هُدبٍ من المَجاديفِ حاكٍ هُدْبَ باكٍ لدَمعه إسْعاد

---

(١) الريحانة: نشرت.

(٢) الريحانة والمقتضب: بها.

(٣) الفوات: مجاذف.

(٤) الريحانة: يقبض.

(٥) هو محمد بن أحمد بن الحداد أحد شعراء الذخيرة ١/٢: ٦٩١، وكانت وفاته في حدود سنة ٤٨٠ بالمرية، وانظر أيضاً في ترجمته المطمح: ٨٠ والتكملة: ٣٩٨ والذيل والتكملة ٦: ١٠ والمغرب ٢: ١٤٣ والإحاطة ٢: ٣٣٣ والمحمدون من الشعراء ٩٩ والخريدة ٢: ٢٠٤ والسلفي: ١٧ والوافي ٢: ٨٦ والفوات ٣: ٢٨٣ ووفيات الأعيان ٥: ٤١ وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(٦) النفح ٤: ٥٦.

(٧) المقتضب: سام.

حُمَمٌ فوقها من البِيضِ نارٌ ... كُلُّ مَن أُرسلت عليه رَماد
ومَن الخَطِّ في يدَيْ كُلِّ ذِمْر ... أَلِفٌ خطَّها على البَحر صاد

وما أحسن قولَ شيخنا أبي الحسن ابن حَريق في هذا المعنى من قصيد أَنشدنيه(١):

وكأنّما سكن الأراقمُ جوفَها ... من عهد نُوحٍ خشيةَ الطُّوفَانِ
فإذا رأينَ الماء يَطفح نَضْنَضت ... من كُلِّ خَرْتٍ حيَّةٌ بلسان

ولم يسبقهم بالإحسان، وإن كان سبقهم بالزمان، عليّ بن محمد الإياديّ التونسي في قوله(٢):

شَرعوا جوانبَها مَجادفَ أتعبتْ ... شَأْوَ الرِّياح لها ولمّا تَتْعبِ
تنضاعُ من كَثَبٍ كما نفرَ القطا ... طوراً وتَجتمع اجتماعَ الرَّبرب
والبحرُ يَجمعُ بينها فكأنه ... ليلٌ يُقَرِّب عَقرباً من عَقرب

وله من هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:

ولها جَنَاحٌ يُستعارُ يُطِيرها ... طوعَ الرِّياحِ وراحةَ المُتَطرِّبِ
يَعلو بها حُدْبَ العُبابِ مُطارُهُ ... في كُلِّ لُجٍّ زاخرٍ مُغْلولب
يسمو بآخرَ في الهواءِ مُنَصَّب ... عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزّل الملاّحُ منه ذُؤابةً ... لو رامَ يركبها القَطا لم يَرْكب
وكأنما رام آستراقَةَ مَقْعد ... للسَّمع إلا أنه لم يُشْهَب
وكأنما جنّ ابن داودٍ همُ ... ركبوا جوانبها بأعنفِ مركب
سَجَروا جواهم بينهم فتقاذفوا ... منها بألسنِ مارجٍ متلهب
من كلِّ مسجورِ الحريق إذا انبرى ... من سجنه انصلتَ آنصلاتَ الكوكب
عريانُ يقدمُهُ الدخانُ كأنه ... صبحٌ يكرُّ على ظلامٍ غيهب

(١) النفح ٤ : ٥٦ ـ ٥٧ وريحانة الألبا ٢ : ٤٧٠.

(٢) كلها في النفح؛ ومنها في المقتضب والفوات الأبيات: ١ ـ ٥، ٧، ٨.

ومـن أولهـا:

أَعجبْ بـأسطول الإمـام محمـدٍ ... وبحسنـه وزمـانـه المستغـرب

لبستْ بـه الأمـواجُ أحسنَ منـظرٍ ... يبـدو لعينِ النـاظـرِ المتعجب

من كـلِّ مشرفـةٍ على مـا قـابلت ... إشـرافَ صدرِ الأجدل المتنصب

ومنهـا:

جـوفاء تحمـل موكبـاً في جوفهـا ... يـومَ الـرهـانِ وتستقـلُّ بمـوكب

وهي طويلة من غرر القصائد.

وقال أبو عُمر القَسطليّ(١):

وحـال المَـوجُ دونَ بَني سَبيـلٍ ... يَـطيـرُ بهم إلى الغَـول آبنُ مـاءِ

أغـرُّ لـه جَنـاحٌ من صَبـاحٍ ... يُـرفـرفُ فـوقَ جُنـحٍ من مسـاءِ

أخذه أبو إسحاق ابن خفاجة فقال(٢):

وجـاريـةٍ ركبتُ بـهـا ظـلامـاً ... يَـطيـر من الصَّبـاح بها جَنـاحُ

وقد عملت أنا في ذلك المعنى(٣):

يـا حبّذا من بَنـاتِ الماءِ سـابحةٌ ... تطفُو لِمَا شَبَّ أهلُ النـارِ تُطفئُهُ

تُطيرها الريحُ غِرباناً بـأَجنحةِ الـ ... ـحمائمِ البيضِ للأَشـراكِ تَرْزُؤُهُ

من كُلِ أَدهمَ لا يُلفَى به جَرَبٌ ... فـمـا لـراكِبـه بـالـقـارِ يَهْنؤه

يُـدْعى غُرابـاً وللفتخاء(٤) سُـرْعَتُهُ ... وهـو آبنُ مـاءٍ وللشـاهينِ جُؤجؤه

---

(١) هو ابن دراج، انظر ديوانه: ٣٢٣؛ والنفح ٤: ٥٨؛ ورفع الحجب ١: ١٤٢.

(٢) ديوانه: ١٣٨ والنفح ٤: ٥٨ والفوات والمقتضب وبعد البيت:

إذا المـاءُ اطمـأن ورقَّ خصـراً ... عـلا مـن مـوجـه ردفٌ رَدَاحُ

وقـد فغـر الحمـامُ هنـاك فـاه ... وأتـلع جيـدَهُ الأجـلُ المتـاح

(٣) وردت في النفح والفوات ٤: ٣٢٢ والمقتضب وديوانه: ٤٢.

(٤) المقتضب: وللعجهاء (وهو خطأ).

ـ ٧٧ ـ

ابن نوح الغافقي

أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي(١)، من أهل بلَنسِيَة وقاضيها ودار سلفه سَرَقُسطَة، وتوفي مصروفاً بمراكش سنة أربع عشرة وستمائة، له شعر حسن منه قوله في فتح المهدية(٢) من أبيات:

قد أنزل القَسْرُ من أعلى ذوائبها ... من كان معتقداً في برجها الأسدا
حيثُ الثواةُ لقد ضَلَّتْ حلومهمُ ... على مجانيقَ تُوهي العقلَ والجَلَدا
كأنَّما الأرضُ كانت قبلُ واجدةً ... حقداً على واكفاتِ السّحْبِ أو حَرَدا
فأمطرتهنّ أحجارَ العذابِ بما ... كانت قديماً عليها أمطرتْ بَرَدا

وأنشدنا أخوه أبو الحسن، قال: أنشدنا لنفسه:

لا تَغبطَنَّ كلَّ موفورِ الغِنَى ... مشتملاً ملابسَ العَظَمه
يلمز لا بسببٍ إلّا بما ... يحويه من أكياسه المُفعَمه
فاللّه قد أخبر عن أمثاله ... وقال في آياته المُحكمه
«يحسب أنّ ماله أخلده ... كلّا ليُنبذنَّ في الحُطَمه»

---

(١) الوافي ١:٢١٦ والمقتضب: ١٢٤ وانظر التكملة: ٥٩٦ والمغرب ٢:٣٠٨؛ وكان ابن نوح الغافقي مشاركاً في الفقه عارفاً بالأحكام شاعراً مكثراً، ولي في أولية أمره قضاء جزيرة شقر ثم قضاء المرية ثم قضاء بلنسية، ولم تحمد سيرته فيها فصرف عن القضاء سنة ٦١١ واستدعي إلى مراكش، وكان ابن الأبار من مشيعيه عند سفره إليها، وكان له من العمر يوم توفي ستون سنة أو نحوها.

(٢) تمّ هذا الفتح سنة ٥٥٥هـ.

وكتب إليه أبو بكر ابن صقلاب[١] وهو إذ ذاك يتولى قضاء المرية، أنشدنيها أيضاً أخوه أبو الحسن:

يـا أبا القـاسم ابن نُـوحٍ بقلبـي   لــك ودٌّ رطبُ المَكـاسِـرِ لَــدْنُ
فــإذا أعــرضَ المُحـبُّ فـأَقبِــلْ   وإذا مــا تَـنــازَحَ الخِــلُّ فَــادْنُ
لقــد آحتـازتِ المــريّــةُ نَــدْبــاً   غَبَــطَتْهــا عــليــه نــاسٌ ومُــدْن
مُشـرفاً مُشـرقـاً على كُـلِّ فضـلٍ   لــيَ منــه ولــلسِّــيــادة خِــدْن
قـلتُ إذ ســامهــا إليَّ هِـبـاتٍ   لــم يُــطِقْ حَمْلَها بــوازلُ بُــدْن
أنــا والـلّـه فـي جِــوار يــزيــدٍ   مَــوْردي كَــوثــرٌ وداريَ عَــدْن

* * *

(١) ستأتي ترجمته رقم: ٨٠.

- ٧٨ -

ابـن المـرخي

أبو بكر محمد بن علي بن محمد [بن عبدالملك] بن عبدالعزيز اللخمي الكاتب(١) من أهل إشبيلية ويعرف بابن المُرخي - بخاء معجمة بعد الراء -؛ كان أبوه أبو الحكم كاتباً، وأما جدّه أبو بكر فنظير ابنِ أبـي الخِصال في بلاغته وبيانه، وبيته(٢) عريقٌ في النباهة والكتابة ولم أدرك أبا بكر المتأخر. وتوفي سنة ست عشرة(٣) وستمائة. له كتاب في الخيل(٤) و«كتاب حلية الأديب في اختصار الغريب المصنَّف»(٥). ومن قوله في قصيدة يخاطب بها أستاذه أبا العباس ابن سيد المعروف باللص(٦):

سأهجرُ العلم لا بُغضاً ولا كَسَلا ... حتى يقالَ ارعوى عن حُبّه وسلا

ولا أمرُّ ببيتٍ فيه مَسكنُه ... كي لا يمثَّلَ شوقي حيثما مَثَلا

إذا ظمئتُ وكان العذبُ ممتنعاً ... فلستُ عن غير ذاك العذبِ معتزلا

---

(١) الوافي ٤: ١٥٧ والمقتضب: ١٢٥ وانظر: التكملة: ٦٠٢ وبرنامج شيوخ الرعيني: ٩٦ والذيل والتكملة ٦: ٤٨٧ (وجعل وفاته سنة ٦١٥) وبغية الوعاة ١: ١٧٧ (وفيه نقل عن ابن الأبار)؛ وابن المرخي هذا كان رائق الخط، حسن النظم حافظاً للغة والآداب متواضعاً، وكتب مع أبيه عن أبـي يعقوب ابن عبدالمؤمن، وكتب عن أبـي يحيى ابن أبـي يعقوب.

(٢) المقتضب: وبيتهم.

(٣) المقتضب: خمس عشرة.

(٤) اسمه: بغية المرتبط ودرة الملتقط.

(٥) اختصر الغريب المصنف للمنصور الموحدي قبل أن يصبح خليفة.

(٦) وردت الأبيات في بغية الوعاة.

إذا طُردتُ قَصِيّاً عن حياضكُمُ ... فـإنّ نفسيَ ممّا تكـرهُ النَّهـلا
قد كان عندي زعيم القوم عالمهم ... فاليوم عندي زعيمُ القومِ مَن جَهِلا
ما إن رأيتُ الذي يزدادُ معرفةً ... إلّا يزيدُ انتقاصاً كلَّما كملا
وآيةُ الصِّدقِ في قولي وتجربتي ... أنَّ الجواد على العلّاتِ ما وأَلا

وجاوبه أبو العباس بقصيدة على غير الرويّ، فجاوبه عنها أبو الحسن ابن يزيد بمثلها إذ أمسك أبو بكر عن المجاوبة.

* * *

ـ ٧٩ ـ
الـــربضي القـــرطبـي

أبو جعفر أحمد بن عبدالرحمن اللخمي الكاتب[١] من أهل قرطبة، ويُعرف بالربضي لسكناه بالربض الشرقي منها. كتب للولاة ثم قعد عن الخدمة والتزم عمارة أرض له مقتصراً على التعيش من غلتها[٢] إلى أن توفي في أول شوال سنة ست عشرة وستمائة.

له في صباه وقد عوتب على شرب الخمر[٣]:

وأبـي المـدامة مـا أُريدُ بشـربهـا   صَلَفَ الرقيعِ ولا انهماكَ اللاهي
لم يبقَ من عَصْرِ الشبابِ وطيبِـهِ   شيءٌ كعهـدي لم يحـلْ إلاّ هي
إنْ كنتُ أشـربهـا لغيـرِ وفـائهـا   فـتـركـتـهـا للنّـاسِ لا لـلّـهِ

وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبـي القاسم عامر بن هشام وإنما هي لأبـي جعفر هذا أنشدنيها صاحبنـا أبو الحسن حـازم بن محمد الأديب، قال: أنشدني أبو الحسن ابن أبـي القاسم ابن بقي وأبو عبدالله بن أبـي الحسن ابن قطرال، قالا: أنشدنا الربضي. ورواها أيضاً بعض أصحابنا وأنشدناها لأبـي سليمان داود بن أحمد المالقي الطبيب إنشاداً عنه.

---

(١) الوافي ٧: ٥١ والمقتضب: ١٢٦ وانظر الذيل والتكملة ١: ٢٣٤.

(٢) ذكر ابن عبدالملك أن أرضه هذه كانت بخارج قاشرة (وهي من عمل قرطبة)؛ وأنه صحب أهل البادية وانقطع عن زيارة الحاضرة (والعبارة في المقتضب: عمارة أرضه متعيشاً من غلتها).

(٣) وردت هذه الأبيات في النفح ٣: ٢٢٨ لابن هشام القرطبـي، ثم وردت ص: ٢٦٩ منسوبة لأبـي جعفر الكاتب القرطبـي الربضي.

وله في فوَّارة رخام كلَّفه وصفها والي قرطبة حينئذٍ فقال: وأنشدته عن أبـي القاسم ابن الطيلسان عنه[١]:

مـا شَغَـلَ الـطَّرفَ مثلُ فـائرةٍ تمـجُّ صرْفَ الحيـاةِ من فيهـا
أشرِفْ بها[٢] والحبابُ في جَذَلٍ يُـظْهِـرُهُ حُسْنُـهُ ويـخْفـيـهـا
تَكـادُ مـن رقَّـةٍ تَـضَـمَّـنُـهـا تخـطئهـا الـعيـنُ إذْ تـوافيـهـا
كَـأنّـهـا دُرَّةٌ مُـنَـعَّـمَـةٌ زهـراءُ قَـدْ ذابَ[٣] نصفهـا فيهـا

ولـه أيضـاً[٤]:

ضَحِـكَ المشيبُ بـراسـه فبـكى بـأعيـنِ كـاسِـهِ
رجـلٌ تَـخَـوَّنَـهُ الـزَّمـا نُ بـبـؤسـهِ وبـبـاسِـهِ
فـجـرى عـلى غُـلَوَائِـهِ طَلَقَ الجمـوحِ بنـاسِـهِ
أخـذاً بـأوفـرِ حَـظِّهِ لـرجـائِـهِ مـن يـاسِـهِ

* * *

(١) الأبيات في الذيل والتكملة ١ : ٢٣٤، وقال هي لزومية، وفي نفح الطيب ٣ : ٢٦٩.
(٢) الوافي والنفح: اشرب بها (وأظنه مصحفاً).
(٣) الذيل: غاب.
(٤) الأبيات في نفح الطيب ٣ : ٢٧٠.

ـ ٨٠ ـ
ابــن صقــلاب

أبو بكر يزيد بن محمد بن صقلاب[١] الكاتب، من أهل المرية، وعاملها بعد أبيه أبـي عبدالله. وكان غَزِلاً ماجناً صاحب إبداع، في قوافٍ وأسجاع، مع سراوة وسخاوة، تُوفي سنة تسع عشرة وستمائة.

لـــه:

لهفَ القَصِيِّ لقد طالت شكايتُه ... ولا طبيبَ بقُربِ الدار يُشْكيهِ
قد طارَحَتْهُ حَمامُ الأَيكِ نَغْمَتَها ... حرفاً بحرفٍ فيحكيها وتحكيه
وساجلتْ عبراتِ السُّحبِ عَبرتُهُ ... إذا تَفيضُ فتبكيها وتبكيه

ولـــه:

إذا عُقدت كفٌّ على ذي مُروءةٍ ... فأنت الذي تُثْنَى عليه الخناصرُ
وإن أثنتِ الأعصارُ يوماً على آمرىءٍ ... فأنت الذي تُثْني عليه الأَعاصر

وله في طريقة التجنيس:

دِنْ بالرِّضا وآجنح لأسبابِه ... ودَع من العَتْب وأوصابِه
وقاسمِ الحُرَّ وأَقْسمْ به ... في حُلْوه إن كان أو صابه
وارْبُط على العَهد وحافظْ على ... ما قاله الخِلُّ وأوصَى به

(١) عن الوافي والفوات ٤:٣٢٤ والمقتضب: ١٢٧ والبدر السافر: ٢٣٦ والزركشي: ٣٤٨ وانظر: المغرب: ٢:٢٠٦. وقد تجمعت له ثماني قطع، وردت الأربع الأولى منها في المقتضب وشاركه في الرابعة منها البدر السافر؛ والقطع ٥ ـ ٧ في الوافي والفوات والزركشي؛ وانفرد البدر السافر بالقطعة الأخيرة.

ومـن غزليّاتـه:

وأخِـي فـتـنـةٍ أدار عـلـيـنـا من يَـدَيْـه ومُقـلَتَيْـه رَحِيـقـا
عـاينتْـه(١) عيـونُنـا فصبغْنـا دُرَّ خَـدَّيـه بـالعُيـون عَـقِيـقـا
جعـل النَّقـلَ لَثمنـا(٢) مِـرْشَفَيْـهِ فـآنتقلنا على المُـدامـة رِيقـا
عُـتِّقـت هـذه وهـذا عَـتـيـقٌ فشـربنـا عـلى العتيق عتيقـا
أسكـر النَّقـلُ والشـرابُ جميعاً وأبـى الكـأسُ واللَّمى أن أُفِيقـا
كلمـا قلتُ قـد صحـوتُ قليـلاً عُـدتُ في حَيرةِ الخُمـار غَـريقـا
لم أكُن شـاعـرَ الـطَّريقـة لكنْ مُـذ تعشَّقْتُـه سلكتُ(٣) الـطَّريقـا
حكّمتنـا يـدُ الهـوى في القَـوافي فغَـزلنـا مـن الـرَّقيـقِ رقيـقـا

وهذه القطعة أنشدنيها قديماً بعضُ أصحابنا عنه.

ولـه:

من الناس من يبقى من اللؤم عرضُهُ وإن زانـه ثـوبٌ عليـه جـديـدُ
ومنهم جوادُ النفسِ لو سِيلَ نفسَهُ لكـان بهـا طلقَ الجبين يجـود
فـذاك الـذي تبقى مـآثـرُ مجـدِهِ وآثـارُهَـا في العـالمين شهـود
فـإن عـاش فـالآمـالُ خـالـدةٌ بـه وإن مـات فـالأمـداحُ فيـه خلود

وقـال أيضـاً:

أما ورياضٍ من ضميرك ما درت غـزارةَ بحـرٍ لا ولا بنتَ راقمٍ
ولا رقمتْ كفُّ الغمـامـةِ بُـرْدَهـا وقـد خلعتْ فيهـا جلودَ أراقم
فللخـاطـرِ السيَّـالِ فيهـا سحـابـةٌ وللقلمِ الجـاري بهـا كفُّ راقم
لقـد أنعمتني إذ تنسمتُ عَـرْفَهـا عـلى رَمَقٍ لا يستـلينُ لـنـاقـم

---

(١) المقتضب: عابته.
(٢) البدر: جعل اللثم نقلنا.
(٣) المقتضب: ركبت.

وإن جاد يوماً بالرضى فهو مازجٌ على إثره شهدَ الرضى بالعلاقم
مسحتَ بها حُرَّ الجوى عن جوانحٍ حَوَتْ ضِعْفَ ما تحويه حَرَّةُ واقم

وقال أيضاً:

أنا صبٌّ وابن صبٍّ بالعوالي والمعالي
وبناني وجناني بهما قد المعالي
فهما إن فسح اللَّـ ـه مدى العمر معا لي

وله أيضاً:

رأوا ممن يحبهمُ نحولاً فعابوه بجهلهمُ عليهِ
وأمضى ما يكونُ السيفُ قطعاً إذا أخذ الضنا من شفرتيهِ

* * *

ـ ٨١ ـ
ابـن غيـاث

أبو عمرو محمد بن عبيدالله بن غيَّاث(١) ـ بالغين المعجمة والياء المثناة من تحت المشددة وبعد الألف ثاء مثلثة ـ من أهل شريش، كان شاعراً مطبوعاً، توفي أول سنة تسع عشرة وستمائة، قال من أبيات:

وكَوْثَريّ الريقِ إلاَّ أنه ... فوق العقيق دُرَّه قد نَظَما
أسكرني ولم أَذُقْ رحيقَهُ ... إلاّ بثغرِ خاطري توهُّما

منها:

إن لم تكن معرفةٌ تقدّمت ... فودُّنا بالغيب قد تقدّما
يا وقفةً بالشوقِ فيما بيننا ... أتعَبَ منه البينُ شخصاً كرما
أهدَتْ لنا منه الرُّبى مع الصبا ... عَرْفاً تذكّرتُ به عهد الحِمَى

وقال في الشيب وأجاد(٢):

صبوتُ وهل عارٌ على الحُرِّ إن صبا ... وقيدَ بعشر(٣) الأربعين إلى الصِّبا

(١) الوافي ٤: ١٠ والبدر السافر، الورقة: ١٢٧/أ (وكنيته فيه أبو عبدالله) والمقتضب: ١٢٩ وانظر: المغرب ١: ٣٠٥ والذيل والتكملة ٦: ١١٥ (في ترجمة مرج كحل) و٦: ٢٩٥ (وفيه محمد بن عبدالله) والتكملة: ٦١٠ وبرنامج الرعيني: ٩٩. وكان ابن غياث رفيع المقام عند أهل بلده ديناً فاضلاً، وشعره في المدح وغيره كثير جيد، وهو من شيوخ الرعيني لقيه سنة ٦١٥ وأجازه في العام التالي، وكانت بينه وبين شعراء عصره مكاتبات واختلط في آخر عمره، ويقال إن وفاته كانت أول سنة ٦٢٠.

(٢) الأبيات في الذيل والتكملة ٦: ٢٩٦ والرعيني.

(٣) البدر: بعيد.

يرى أنّ حبَّ الحُسن في اللّه قربةٌ ... لمن شاء بالأعمال أن يتقرَّبا
وقالوا مشيبٌ قلتُ واعجبا لكم ... أيُنكَر بدرٌ[١] قد تجلَّلَ غيهبا
وليس بشيبٍ ما ترون وإنَّما ... كُمَيتُ الصِّبا مما جرى عاد أشهبا[٢]

ولـه:

نهنه دموعَكَ إنَّ البينَ قد أَزِفا ... واندبْ دياراً عليها الشوقُ قد عكفا
بانوا وغُودِرَ نِضْوٌ لا تحسُّ به ... عينٌ ولو أنَّ في إنسانها قُذفا
فارقْ حبيباً وإن ساءَتْك فُرْقَتُهُ ... فما سما الدرُّ حتى فارقَ الصدفا

ولـه:

هذي الجفونُ لأيِّ شيءٍ تذرفُ ... ولعلَّها دارَ الأحبَّةِ تعرفُ
من أين تعرفها وقد عَمِيَتْ أَسىً ... أقميصَهُ أَلقَى عليها يوسف

ولـه[٣]:

يا سارياً من خيامِ نجدٍ ... حُطَّ فضوءُ الصَّباحِ لاحا
لقد تحملتَ عَرْفَ طيبٍ ... ملأتَ من نَشْرِهِ البطاحا
لكنَّ من أَجلِ ساكنيه ... رقَّ نسيمُ الصبا وفاحا
إيهٍ ودون القبابِ قلبي ... يشكو إلى أَهلها انتزاحا
غادره ركبُهُمْ مقيماً ... فلم يُطِقْ بالهوى براحا
ضاع فلا للمها ولا لي ... يا ليته مات فاستراحا
أَوليتَها الوُرْقُ إذ بكتْهُ ... تعيره للسرى جناحا
لما شكا ما به إليهم ... أثخنه حُبُّهمْ جراحا
ولم يبحْ بالهوى ولكنْ ... لسانُ ما يشتكيه باحا

(١) الذيل: نور.
(٢) البدر: أشيبا.
(٣) وردت في البدر السافر.

رموا بأرماحهم وهزُّوا قدودهم نحوه رياحا
واستلأموها دروعَ ليلٍ قد نُقِّبوا تحتها الصباحا
وأَعملوا البيضَ وانتضوها من غنج أَلحاظهم صفاحا
يا صاحِ ما بالنا سكرنا وما شربنا في الحيّ راحا

* * *

ـ ٨٢ ـ
ابـن طملـوس

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس[١]: من أهل جزيرة شقر من عمل بلنسية، كان أحد علمائها الأماثل، وآخر المتحققين بعلوم الأوائل[٢]. توفي سنة عشرين وستمائة. ومن شعره:

بسمتْ بـه الأيـامُ بعـد عبـوسها ... وتهللتْ بشـراً عيـونُ النـاسِ
وتمهـدتْ أرجـاؤهم لمـا رسـا ... مـا بينها جبـلُ الملوكِ الـراسي
هيهـاتِ أين الصبحُ من لألائـهِ ... أَيُقـاسُ نـورُ الشمسِ بـالنبـراس
مـلكٌ أبـتْ هـمَّـاتـه وَهِبَـاتـه ... من أن تجارَى في الندى والباس

وقـال أيضـاً:

جـاد على الجزع بـوادي الحمى ... صـوبُ الحيـا سكبـاً على سكبِ
حيثُ الصبـا يُهدي نسيم الـربـى ... طيّبـةَ المسـرى إلـى الغـرب
تـمـرُّ بـالـركبِ سُحَيـراً فيـا ... مَـوْقـعَ ريَّـاهـا مـن الـركـب
وبـالكثيب الفَـرْدِ من لَـعْلَع ... غُـزَيِّـلٌ ضـلّ عـن السـرب
أفلتَ مني واغتـدى قـانصـاً ... قـلبي فيـا ويحيَ مـن قـلبي

---

(١) عن الوافي وانظر: الفوات ٤:٣٥٧ والمقتضب: ١٣٠. وقد ترجم له الفيروزبادي في البلغة باسم يوسف بن أحمد بن طاوس فأخطأ في اسم أبيه وصحف اسم جده، وذكر أنه صحب ابن رشد وكان إماماً في العربية والطب، آخر الأطباء بشرق الأندلس، عارفاً بكتاب سيبويه إلى جانب تضلعه بعلوم الأوائل، ونقل السيوطي عنه هذه الترجمة بما فيها من خطأ في البغية ٢: ٣٥٤، ثم أعاد ترجمته باسم يوسف بن طاوس ٢: ٣٥٧.

(٢) المقتضب: وأحد المحققين لعلوم.

فسرتُ أشتدُّ على إثره   أَنْشُدُهُ في ذلك الشعب
يا هل رأتْ عيناك من ناشدٍ   يسعى بلا قلبٍ ولا لب
أحببْ به من ملكٍ جائر   أحكامُهُ تجري على الصب
يثنيه من خمرِ الصِّبا نشوةٌ   لِعْبَ الصَّبا بالغُصُنِ الرطب
يا جائرَ اللحظِ على صبِّه   سلّطتَ عينيك على قلبي

ومن قوله:

لعمرُكَ ما تلقَى من الناس واحداً   غدا قلبه مما ابتلينا به خِلْوَا
كأنَّ الهوى حتمٌ علينا مُقَدَّرٌ   فلا مهجةٌ إلّا تذوب له شَجْوا
ألا صاحبٌ يَلْحَى على الغيِّ صاحباً   لقد عُدِمَ العذَّالُ مذ عَمَّتِ الشكوى

* * *

— ٨٣ —

أبو الربيع العبدري

أبو الربيع سليمان بن أحمد بن عليّ بن أبي غالب العبدري الكاتب[١]، من أهل دانية وسكن مرّاكش بعد تجوله ببلاد الأندلس، وكان جدّه عليّ وأبوه أحمد وأخواه محمد ويحيى شعراء ولبيتهم نباهة. وولي أبو العبّاس[٢] منهم قضاء مالقة وامتحن في قصّة عليّ الجزيري الثائر حين اشتدّ الطلب عليه وقد خيب من كان يجلس إليه، وقيل إنه أطلق أخاه من السجن بمالقة بألف دينار رشوةً فأُسلم إلى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط فهلك قبل استيفائها، وأُمر به فصُلب بإزاء جذع الجزيري[٣]، وذلك في سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، فقال ابنه أبو الربيع هذا يرثيه:

يا مَن رَأى بَدْرَ الدُّجى لِتمامِهِ عَبَثَتْ بِهِ أَيْدِي الزَّمانِ تَصَرُّفا
وَلَقَدْ نَظَرتُ إليهِ يومَ أقلَّهُ كالرمْحِ عُرِّضَ من سِنانٍ أُرْهَفا

---

(١) عن الوافي ١٥: ٣٤٦ والمقتضب: ١٣١ وانظر اختصار القدح: ١٢٣ والمغرب ٢: ٤٠٦ والذيل والتكملة ٤: ٥٧ قال ابن سعيد: «وتعلق بطريقة الكتابة فأبلى فيها شبابه ثم مال في شَيَخِهِ إلى طريق التوثيق»، وكان يمدح أرباب الدولة ويشارك والد علي بن موسى ابن سعيد في الكتابة للسيد عبدالواحد بن المنصور الموحدي صاحب غرناطة، ثم انتقل إلى مراكش عندما بويع صاحبه عبدالواحد، وبعد خلع عبدالواحد وقع العبدري في شدة وتقلَّبت به الفتن، وعاش مشرداً حتى توفي سنة ٦٣١.

(٢) كنية والده عند ابن سعيد في اختصار القدح «أبو جعفر»، وقد ولي قضاء مالقة.

(٣) يقال إن امرأة القاضي أشفقت على الجزيري فأطلقته، ويقال إنها ارتشت عليه بمال باعت فيه دم بعلها، ورفعت القضية للمنصور فخرج أمره بأن يضرب ألف سوط، فضرب بإشبيلية فلما انتهى إلى خمسمائة خرجت روحه (اختصار القدح).

جَهِدَ الترابُ بـه لِيستُـرَ شَخْصَـهُ   فـإذا بـه قَـدْ كـان مِنْـه أَلْطَفـا
وكـأَنَّـه رام اللِّحـاق بعـالم الـ   عُلْوِ الـذي هـو مِنهُمُ فاستُوقِفـا
وشَجـاه نَـوحُ البـاكيـاتِ لِفَقْـدِه   فثـوى هنـالـك رِقَّـةً وتَعَـطُّفـا

وقال فيه أيضاً:

[جهلاً لمثلك أن يبكي لما قدرا   أو أن يقول أسىً يا ليته قبرا][١]
لَـو لَـمْ تُقَـدَّرْ عليـه مِيتَـةٌ سَبَقَتْ   ورامَها كُلُّ أَهْلِ الأرضِ ما قَدرا
فاضَتْ جُفونُك[٢] أنْ قاموا بأَعظُمِهِ   وقـد تَـطايَـرَ عَنْهـا اللَّحْمُ وانْتَشَـرا
وأَوْثَقُـوه إلى جِـذْعٍ بِمُـوثقَـةٍ[٣]   يُنَكِّسُ الطَّرْفَ عَنْها كُلُّ مَنْ نَظَرا
ضاقَتْ به الأرضُ مِمَّا كانَ حَمَّلها   مِن الأَيـادِي فَمَجَّتْ شِلْوَهُ ضَجَرا
وَعَـزَّ إذ ذاك أنْ يَحْظى بِـهِ كَفَنٌ   فمـا تَسَرْبَـلَ إلاَّ الشَّمْسَ والقمـرا
لَم تَضْحَ أعْظُمُهُ يومـاً ولا ظَمِئَتْ   قَلْبـي لَهُنَّ ودَمْعي مُـزْنَـةٌ وَثَـرَى

منهـــا:

ولَيْلَةٍ من خطيئاتِ الـزمانِ مَضَتْ   حالفْتُ فيها الأسى والدَّمعَ والسَّهَرا
غَنَّى بها الكَبْلُ إذ غنَّى فَأَسْمَعَني   في رِجْل أحمدَ يَحكي حَيَّةً ذَكَرا
يا أحمدَ بنَ عليٍّ هُبَّ من وَسَنٍ   فمـا عَهِدْتُـك تَكْرَى قَبْلهـا سَحَرا
تاقَ الدُّجى والمُصَلَّى تَحْت غَيْهَبِهِ   إلى تِـلاوَتِـك الآيـاتِ والسُّـوَرا
قَدْ كُنتَ فِيه سِراجاً نَستَضيءُ بِـهِ   حتَّى إذا ما خَبَتْ أنوارُك اعْتَكَـرا

وقال وقد أنزل من عوده ودفنه[٤]:

خليلي لـو تَرَى في حمصَ دَفْني   أبـي لَهَجَـرْتَ طُعْمَـك والمَنَامـا

---

(١) زيادة من اختصار القدح.
(٢) اختصار القدح: دموعك.
(٣) اختصار القدح: إلى شماء مائلة.
(٤) اختصار القدح: ١٢٣.

أواريــه بِـسَـتْـرٍ مــن ضَــريـحٍ ... كــأنّي مُـغـمِـدٌ مِنْـهُ حُـسـامـا
كَـأنَّ مَحـاجِـري وَدَقَتْ لدَيــهِ[1] ... عَـشيّـةَ قُمْتُ أدْفِنُـه غَـمـامـا

وقال وقد توفّيت والدته:

طوى القَمَرينِ التُّربُ عن أعْين الورى ... بميْتِ عُلاً ماتت على إثْرِه العِرسُ
فَـأَصْبَحَتِ الغَبْراءُ خضـراءَ مِنْهُما ... بآيَةِ مـا قد حَلَّها البدرُ والشمسُ

وقال يصف خِيلاناً:

ولِـلألْبـابِ مِنْ خَـدَّيْ سُلَيْمى ... دَواعٍ لـلجُـنـونِ وَلِـلْفُـتـونِ
ومــا الخيلانُ أَبْصَـرَ من رآهـا ... ألا رُدَّ الـحَـديـثَ إلـى يَـقـيـنِ
ولكنْ فَــوْق صَفْحتِهـا صقـالٌ ... تمَثَّـلُ فيــه أَحْـداقُ الجُـفـونِ

وله في شكوى الزمن:

أَخي عـوفيتَ والبلوى ضـروبٌ ... تعمُّ وتـارة تـأتي اختصـاصـا
تعـالَ فخـذْ بحـظِّك من همومي ... ودعْ أَطـلال هنـدٍ والعِـراصـا
وبـاكِ أخـاك دنيـا قـد تـولّتْ ... ودهـراً ينهـكُ العمـرَ انتقـاصـا
ومـا أَنهيتُ نفسي في المعـالي ... ولا أَدركتُ من ثـأرٍ قـصـاصـا
فليت العيشَ إذ لم يُقْضَ محضاً ... رُزِقْتُ إذا انقضى منه الخلاصـا

وله يصف ناراً:

ولقـد نعمتُ بنـارِ فحمٍ أَصبحتْ ... تـختـالُ بين معصفـرٍ ومـورّدِ
إلا بقـايـا كـالـدجى مسـودةً ... أَو مثـلِ أصداغ الجـواري الخرَّد
فكـأنمـا يبـدو لعيني منهمـا ... حبرٌ أُريقَ على سبائـكِ عسجد

* * *

---

(١) الوافي: ورثت يديه.

ـ ٨٤ ـ
ابــن أصبــغ

أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى [بن محمد] بن أصبغ الأزدي(١)، من أهل قرطبة وفي بيوتاتها الأصيلة ويعرفون ببني المناصف، وولي أبو إسحاق هذا قضاء دانية، وصرف عنها أول الفتنة المنبعثة بالأندلس صدر سنة إحدى وعشرين وستمائة، وسكن بلنسية أشهراً وبها صَحِبْتُهُ. ثم انتقل عنها وولي بعد ذلك قضاءَ سجلماسة إلى أن توفي بها سنة سبع وعشرين وستمائة. وله في ترتيب حروف «كتاب العين» للخليل، وهو أحسنُ ما قيل فيه على كثرته:

عَـذَّبـنـي حُـلْوُ هـوىً خُـضْـتُـهُ ... غـوايـةً قـائـدةً كـربـي
جـالـبـةً شـوقَ ضلوعٍ صَـبَـتْ ... سـاحـرةً زاجـرةً طـبـي
دوسـيّـة تـيّـمـنـي ظَـبْـيـهـا ... ذوبُ ثـنـايـاه رضـا لـبـي
نـاولـنـي فـاهُ بـلا مـانـعٍ ... واضـحـةً إحـسـانـهـا يـربـي

ومـن شعـره(٢):

وزائـرٍ زارني وَهْنـاً فقلتُ لـه: ... أنَّى اهتديتَ وسَجفُ الليل مسدولُ؟

(١) عن الـوافي ٦: ٧٦ والمقتضـب: ١٣٢ والحـلل السنـدسيـة ٣: ٧٠٧ وانـظـر التكملة: ١٦٨؛ وكان ابن أصبغ متحققاً بالعربية، وله تأليف في مسائل الخلاف بين النحويين، وحدَّث بيسير، وصحبه ابن الأبار أثناء إقامته ببلنسية، واستكتبه شيئاً من نظمه؛ وجعل الشمس الذهبي وفاته سنة ٦٢١، قال في الحلل: وابن الأبار أعرفُ بأحوال أهل بلاده؛ وانظر بغية الوعاة ١: ٤٢١، وهو ينقل عن ابن الأبار تاريخ وفاته.

(٢) وردت القطعة في الوافي والحلل.

فقال آنستُ ناراً من جوانحكم[١] أضـاء منها لـدى السارين قنـديلُ
فقلتُ نارُ الهوى معنًى وليس لها نـورٌ يبينُ فما ذا منـكَ مقبـولُ
فقـال نِسْبتنـا من ذاك واحـدةٌ أنـا الخيـالُ ونـارُ الحبِّ تخييـلُ

* * *

(١) الحلل: نارا هندا جوانحكم (وهو مضطرب).

ــ ٨٥ ــ

ابـن يخلـفتن

أبو زيد عبدالرحمن بن يَخْلَفْتن بن أحمد الفازازي[١]: وُلد بقرطبة ونشأ بها، وتجوّل ببلاد الأندلس والعُدوة، وكتب هو وأخوه [أبو عبدالله] كَبيرُه لأمراءِ المغرب، وبلغا الرُّتبة العالية، وكانا من مفاخر وقتهما.

وأبو عبدالله مُقلٌّ من الشعر، وتوفي بقرطبة قاضياً سنة إحدى وعشرين وستمائة.

وأما أبو زيد فمُكثرٌ، وشعره مدوَّن. وكانت وفاته بمراكش سنة سبع وعشرين وستمائة.

ومما عُزي لي أنه من شعره في الحضّ على الحج والزيارة:

النـاسُ قـد رحلُوا وأنـت مُقيمُ ... ودُعُـوا وأنت مُحجَّبٌ محـرومُ
صَدَقُوا العزيمةَ فاستقلَّتْ عِيسُهم ... وهـواك في نَيْل المُنى مَقْسـوم
غَـطَّتك من آذيِّ ذَنْبك مَوجـةٌ ... فيهـا الهـلاكُ ومـا أراك تَقُـوم
وتُـلام في تَـركِ الحجـاز فتَنْثني ... عـن غيـر مَعْـذرةٍ وأنـت مَـلُوم
أحسِنْ فقد فـارقتَ كُـلَّ إساءة ... مهـلاً فـأنت بعِلْمـه مَعْلوم
لا أنت في السَّفْر الذين تَقـدَّموا ... نحـو النـبيِّ ولا أَراك تَقُـومُ
وإذا بـدا لـك دِرْهمٌ في جلَّق ... بـادرتَ تقعـدُ نحـوه وتَقـوم

---

(١) له ترجمة في التكملة رقم: ١٦٤١ ونفح الطيب ٤ :٤٦٨، وله شعر في البيان المغرب (قسم الموحدين)؛ وما ورد هنا مقتصر على المقتضب من تحفة القادم.

وإذا أراد اللّـه تبـليـغَ آمـرىءٍ فـالعُـرْب خـاضعـةٌ لـه والـرُّوم
مـا النـاسُ إلا الـرَّاحلون لـربِّهم والآخَـرُون بـلابـلٌ وهُـمـوم
لا خَـلْق ألأم من مُـحـاذرِ عَيْـلةٍ في قَصْد ربِّ الناسِ وهْـو كريم

وذكـر لـه:

يا نائمَ الطَّرف عن سُهدٍ وعن أرقِ وفارغَ القلب من وَجدٍ ومن حُرَق

بكمالها، وهي من جيد كلامه في النسيب.

* * *

— ٨٦ —

ابـــن حمـــادو

محمد بن علي بن حمادو[1] ـ بالحاء المهملة وبعد الدال المهملة واو ـ الصنهاجي من أهل قلعة حماد، وكان بشرق الأندلس في أول هذه المائة السابعة، ثم ولي قضاء الجزيرة الخضراء وقضاء سَلاَ بعد ذلك، وتوفي سنة سبع وعشرين[2] وستمائة. ومن شعره:

أبـا عبـد الإلـه إليـك أشكـو　　لـواعـجَ بين جـانحتيّ تـذكُـو
بَعُـدتُ عن الـديـار وسـاكنيهـا　　وفـرَّق بـينـنـا فَـلَكٌ وفُـلْكُ
ولم يَعـدِل لعمـر اللّه عنـدي　　فـراقَ أحـبّـةٍ مِـلْكٌ ومُـلْكُ

وقال يهنّىء باسترجاع بلاد إفريقية والظهور على يحيى بن إسحاق:

فتـوحٌ لها في كـلّ يـومٍ تـلاحُقُ　　كما استبقتْ يومَ الرهانِ السـوابقُ
تجيءُ ومـا بينَ الـزمـانَيْنِ مُهلةٌ　　كما نَسَقَ المعطوفَ بـالواو نـاسِقُ
بشـائـرُ تعلوهـا تباشيـرُ مثلمـا　　تبـلَّجَ صُبـحٌ أو تـألَّقَ بـارِقُ
وراقت بـلادُ اللّهِ فهْي نضـارةً　　خمـائـلُ ينـدَى زهـرهـا وحـدائقُ

---

(١) عن الوافي ٤ : ١٥٧ والمقتضب: ١٣٥ ولم يورد له شعراً، وإنما قال: ذكر له من شعره بعض رثائه لمعاهد القلعة التي ضمت تاريخه؛ وانظر التكملة: ٦٢٧ حيث كتب «بن حماد» وكنيته أبو عبيدالله؛ قال: كان شاعراً كاتباً وله ديوان، وله شرح على مقصورة ابن دريد؛ وقد ترجم له الغبريني في عنوان الدراية: ٢١٨، وذكر أن أصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة بني حماد، وقرأ ببلده بالقلعة وقرأ ببجاية وله برنامج ذكر فيه شيوخه، وكانت ولايته لقضاء سلا سنة ٦١٣؛ وذكر الغبريني أن وفاته سنة ٦٢٨ ونقل عن ابن زيتون قوله إنه توفي في عشر الأربعين وستمائة وقد نيف على الثمانين.

(٢) المقتضب: ثمان وعشرين.

كــذا فليكنْ فتــحٌ وإلاّ فــإنَّمــا   جميــعُ فتــوحِ العــالمينَ مَغــالقُ
إذا قرأ القرآنَ في غَسَقِ الــدجى   أُبَــيُّ بن كعبٍ لم يغنِّ مُخــارِقُ

* * *

ــ ٨٧ ــ
غــالب الأنصــاري

أبو تمام غالب بن محمد بن إسماعيل الأنصاري(١)، من أهل بلنسية، ومعدود في أدبائها، وكان يحترف بالتجارة وأحياناً بالوراقة، وصحب أبا الحسين ابن جبير وغيره من الأدباء، وسمع الحديث وكتب كثيراً مع فهم، وضرب في النظم بسهم، وقد قرأ عليه شيخنا أبو الربيع ابن سالم بعضَ شعر ابن جبير، وتوفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة. أنشدني كثيراً وانتفعت بنقده وتمييزه، وأنشدني لنفسه يعاتبُ أحد إخوانه:

وأخٍ بـذلتُ لـه مَصُـونَ مـودَّتي ... ورعـايتي والـنفسَ حتى ملَّهـا
أجهـدتُ نفسي في اتبـاع سبيلِهِ ... نظراً له في النُّصْحِ لا نظراً لها
ورأيتُ أني إن أَسُسْـهُ بـطاعتي ... إيـاه كان على السويّـةِ أو لهـا
أَصغى إليَّ إذا نصحتُ تـأسيـاً ... بـي إذ أطعتُ لـه الأوامـرَ كلَّهـا
فـإذا بـه مستغـرقٌ في وجـده ... لاحتْ لـه طرقُ الهـدى فاحتلهـا
يبغي قـطيعةَ واصـلٍ في صحبـةٍ ... قـد كـان أنهلهـا الـودادَ وعلَّهـا
فـإذا تجيشُ النفسُ تـبغـي سلوةً ... غلبَ الـوفـاءُ على الإبـاء فسلَّهـا
إيـهٍ أبـا إسحـاقَ دعـوةَ مـرشـدٍ ... لنصيحـةٍ والحـرُّ يقبـل مثـلهـا
أَعـدِ الـتفـاتـاً وادّركـهـا غلطةً ... فيمن ترومُ لدى(٢) القضية عدلها

(١) عن الـوافي (النسخة التـونسيـة رقم: ١٣٣٢٥، الجـزء: ٢٣، الـورقـة: ٥٣) والمقتضب: ١٣٦ وانظر الذيل والتكملة ٥: ٥٢٠ والحـاشية رقم: ١، ص: ٥٢١.
(٢) في نسخة أخرى من الوافي: فيمن يروم لذي.

ودعِ اللجاجَ بأن تحلَّ مخالفاً   حَزْنَ البقاعِ ونحن نؤثر[١] سهلها
والنفسُ إن طاوعتها أَمَّارةٌ   بالسوءِ فاحذرْ أن تطاوعَ جهلها
فلربَّما جذبتْ إلى حَسَراتِهِ   نفسُ التقيّ إذا تناسى ختلها
من لم تَزَعْهُ عن المكارم نفسُهُ   لم يَسْطعِ العذالُ يوماً عذلها
وإذا تولى المرءَ غايةُ شهوةٍ   وليتْ فلم يقدر هنالك عزلها
ومتاعُ هذا الدهرِ أقصرُ مدَّةً   من أن يقابحَ ذو المروءةِ أَهلها

وكان أبو محمد ابن باديس يناظر عليه في ذلك التاريخ في «مستصفى الغزالي» فحكى أبو تمام ابن صاحب الأحكام أن أبا الحصين[٢] ابن أبي الفتح كان ممن يحضر ذلك التناظر، فغاب عنه يوماً فكتب إليه ابنُ باديس:

يا واحداً في المعالي   به العلا تستبدُّ
إن القراءة نادت   مولاي ما منك بدّ

فراجعه أبو تمام بأبياتٍ أولها:

لبَّيكَ لبيكَ يا مَنْ   علاؤه لا يُحَدُّ
ومن إذا حلَّ شكٌّ[٣]   فقولُهُ لا يُرَدُّ

* * *

(١) في نسخة أخرى من الوافي: وحلَّ قومك.
(٢) في نسخة أخرى من الوافي: الحسين.
(٣) المقتضب: شكاً (وكذلك في نسخة أخرى من الوافي).

— ٨٨ —

ابن جهور

أبو بكر محمد بن محمد بن جهور[١] الأزدي من أهل مُرسِيَة، وأحد نبهائها وأدبائها، من شعره وقد رأى امرأة سافرةً فغطت وجهها بكفِّها المخضوب:

فاجأتُها كالظبي في سِربِهِ ... فاحتجَبَتْ بالكفِّ والمعصمِ
وقد بدا الوشيُ بأطرافِها ... فأقصرتْ عن لومها لُوَّمي
قالوا وقد دَلَّهَهُم حبّها ... من طَوَّق البُلّار بالعَندمِ
قلتُ جرت من مقلتي دمعةٌ ... فاختضبت أنملُها بالدمِ

ومن قوله وقد مَرَّ وهو بجزيرة شُقر بأرضٍ حمراء لابن مَرج الكُحل غير صالحة للعمارة فقال يداعبه[٢]:

يا مَرجَ كُحْلٍ ومَن هذي المروجُ له ... ما كان أحوج هذي الأرض[٣] للكُحُلِ
ما حمرةُ الأرض عن طيبٍ وعن كرمٍ[٤] ... فلا تكنْ طمِعاً في رزقها العجل
لكنّ شيمتَها أخلاقُ صاحبها[٥] ... فما تفارقها كيفية الخجل

فجاوبه[٦]:

يا قائلاً إذ رأى مَرجي وحمرتَهُ ... ما كان أحوج هذي الأرضَ[٧] للكحل

---

(١) عن الوافي ١: ٢١٦ والمقتضب: ١٣٧ (وفيه: جهورة).
(٢) الأبيات في الذيل والتكملة ٦: ١١٥.
(٣) الذيل: هذا المرج.
(٤) الذيل: من طيب ومن كرم.
(٥) الذيل: فإن من شأنها إخلاف آملها.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) الذيل: هذا المرج.

تلك الدماءُ التي للروم قد سَفكت في الفتح بيضُ ظُبَـى أجداديَ الأُوَل(١)
أَحببتُها إذ حَكت(٢) مَن قد كلفتُ به في حمرة الخدّ أو إخـلافه أمَلي

* * *

(١) روايته في الذيل:
هـو احمـرار دمـاء الـروم سيلهـا بـالبيض من مرَّ من آبـائي الأول
(٢) الذيل: أحببته أن حكى.

ـ ٨٩ ـ

ابن إدريس التجيبي

أبو عمرو إبراهيم بن إدريس القاضي التجيبي(١) من أهل مرسية وهو أخو أبي بحر صفوان بن إدريس وولي قضاء بلده والخطبة بجامعه، وتوفي رحمه الله تعالى أول سنة ثلاثين وستمائة، ومن شعره:

قسماً بِحُسن الطلّ في الزهرِ ... يبدو به شَنَباً على ثغرِ
أو بالنسيم إذا ثنى غُصُناً ... فأرى انثناء العطف كالكسرِ
أو بالغصون تكلّلتْ زَهَراً ... فأتتْك بالأجيادِ والشذرِ
لقد استعنتُ على التألُّمِ في ... أمرِ الهوى فقضى الهوى أمري
ومطوَّقٍ طارحتُه شَجَني ... وعلى الدجَى طوقٌ من الفجرِ
يشدو بعطفٍ مائسٍ ثملٍ ... شربَ الندى عوضاً عن الخمرِ
يهتزُّ من طربٍ له فإذا ... غنَّى رمى بدراهمِ الزهرِ
فحسبتُ عبدالحقّ يطرفه ... فيجود ما أنشدتُ من شعري

منها:

وإليكمُ راقتْ محاسنها ... والحسنُ في الأسلاكِ للنحرِ
أعملتُ فيها خاطري سَحَراً ... فاشتقّ منه فجاء بالسحرِ

وله من قصيدة يمدح فيها:

شِيَمُ الصوارمِ أن تُقَرِّبَ ما نأى ... لكنْ على مَنْ عَزْمُه كظُباتِها
أخلصتَ للرحمن نيّةَ عالمٍ ... أنَّ النُّفوسَ له على نيَّاتِها

---

(١) الوافي ٥:٣١٧ والمقتضب: ١٣٨.

وجعلتَ تقـوى اللّـهِ شِكَّتك التي   نـزلتْ قلوبُ الرُّوم رَهْنَ شَكـاتها

ومنهـــا:

أوطـأتَ أرضَ المُشـركين كتـائبـاً   كـادت تَميدُ الأَرضُ مِن وَطَـآتهـا
كـالبَحرِ يَـطفحُ مَـوجُهُ جَـرْيـاً إذا   هَبَّتْ ريــاحُ النَّصـرِ في رايــاتهـا
جاءت تَرُومُ الشُّهبَ في أَبـراجها   وتهــابهـا الآســادُ في أَجَمـاتهــا

ومنهـــا:

قد كان غَرَّ الرومَ صفحُـكَ قادراً   حتى وضعتَ السيفَ في صَفَحَاتها
ظَنُّـوكَ لا تَسْـطيـعُ دَفْـعَ كُمـاتهـا   إذ لم تُـطِقْ بـالجُـودِ رَدَّ عُفـاتهـا
تُـزْهَى بـك الأيـامُ وَهْيَ جـديـدةٌ   مثـلَ الجيادِ زَهَتْ بحُسْنِ شِيـاتِها
فـآسْلمْ على مَـرِّ الليــالي إنهــا   لتَحُـوطُ عِقْـداً منـك في لَبّـاتهــا

* * *

ـ ٩٠ ـ
أبو الربيع ابن سالم

أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميري الكلاعي(١) الخطيب من أهل بلنسية، علم الأعلام، واللعوب في جِدّه بأطرافِ الكلام، الذي فاز بالجنّة يوم فاد، وأفاد علوم السنة في ما أفاد. ولد في شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة، واستشهد ـ رحمه الله ـ مقبلاً غيرَ مدبر في وقعة أنيشة(٢) على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة. [وكان بقيّة أعلام الحديث ببلنسيّة، عني أتمّ عناية بالتقييد والرواية، وكان إماماً في صناعة الحديث بصيراً به حافظاً حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل، ذاكراً للمواليد والوفيات، يتقدّم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصاً من تأخّر من زمانه وعاصره. وكتب الكثير، وكان الخطّ الذي يكتبه لا نظير له في الإتقان والضبط، مع الاستبحار في الأدب والاشتهار بالبلاغة، فرداً في إنشاء الرسائل مجيداً في النظم. وكان هو المتكلّم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدونه في المحافل على المنبر. ولي خطابة بلنسيّة. وله تصانيف مفيدة في عدّة فنون: ألّف «الاكتفاء في مغازي رسول اللّـه ﷺ والثلاثة الخلفاء» في أربعة

---

(١) عن الوافي ١٥: ٤٣٢ والمقتضب: ١٣٩ وانظر التكملة رقم: ١٩٩١ والذيل والتكملة ٤: ٨٣ وبرنامج الرعيني: ٦٦ وإعتاب الكتاب: ٢٤٩ والمرقبة العليا: ١١٩ والمغرب ٢: ٣١٦ وتذكرة الحفاظ: ١٤١٧ والديباج: ١٢٢ والنجوم الزاهرة ٦: ٢٩٨ والزركشي: ١٣٠ والشذرات ٥: ١٦٤ وصفحات متفرقة من نفح الطيب، ومقدمة كتاب الاكتفاء، والروض المعطار: ٤١ (مادة: أنيشة).

(٢) أنيشة أو أنيجة، انظر التعريف بها في الروض المعطار.

مجلّدات، وله كتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله، وكتاب «مصباح الظلم» يشبه «الشهاب» و«كتاب في أخبار البخاري وسيرته» و«كتاب الأربعين» سوى ما صنّف في الحديث والأدب والخطب][1]. ومن شعره يرثي أبا بحر من كلمة:

أَمَا وأبـي بحرٍ لقد راع خاطـري ... مُصابُ القوافي والعلا بأَبـي بحرِ
ليبـكِ عليه المجـدُ ملءَ جفـونـهِ ... ويبـكِ عليـه رائقُ النـظمِ والنثـر
ويا دوحَ روضٍ كان زهرُ كِمامِـهِ ... عزاءَك في الروضِ الأنيقِ من الزهر

ومنهـا:

ويأسكَ عن رَوْحٍ من الطيبِ بعده ... سوى ما تؤدِّي الريحُ عنه من الذكر
أحقـاً أبـا بحـرٍ تجهـزتَ غـاديـاً ... إلى غايةٍ نـاءٍ مداهـا على السَّفْرِ
فإن قَصَّرَ المقـدارُ عمرك إنَّ في ... نفائسِ ما خلَّدتَ عمراً إلى عمر

ولـه[2]:

أشجـاه مـا فعـل العِـذارُ بخـدِّه ... قلبـي شجـا وهـواي فيـه هيّجـا
مـا رابـه والحسنُ يمـزجُ وَردَه ... آسـاً ويخلط بـالشقيق بَنَفْسَجـا
ولقـد علمتُ بـأنَّ قَلْبـي صـائـرٌ ... كُـرَةً لصـدغيـه غَـداةَ تَصَـوْلجـا

ومنـه[3]:

ولـمّـا تَـحَـلَّى خَـدُّه بِـعِـذارِه ... تسلَّوا وقـالـوا ذَنبُـه غيـرُ مغفـورِ
وهـل تنكـر العينُ اللجينَ مُنَيَّـلاً ... أو المسك مذروراً على صحن كافورِ
وحسبـيَ منـه لـو تَغَـيَّـرَ خَـدُّه ... تَمـايُـلُ غُصْنٍ والتفـاتـةُ يعفـورِ

(١) أقدّر أن ما بين معقوفين ليس من غرض المؤلف في تحفة القادم.
(٢) وردت في الفوات.
(٣) ورد في الفوات منها بيتان، وهي في المقتضب.

ومنـــه:

قـــالـوا اكتَسَتْ بـــالعِـذارِ وجنتُـــه   هـل في الذي قلتمـوه من باسِ
أكْـلَفُ بـــالـوَرْد وهْـــو منـــفـــردٌ   فـكيـف أسلو إذ شِـيبَ بـــالآسِ

ومنـــه:

قالوا التحى واشتكى عينيه قلتُ لهم   نعم صدقتم وهل في ذاك من عارِ
بنفسجٌ عِيضَ من وردٍ ونـرجسةٌ   تَحَـوَّلَتْ وردةً زينت بـــأشـفـــار
ما مرَّ من حسنه شيءٌ بلا عِوَضٍ   حُسْنٌ بحسـنٍ وأزهـــارٌ بـــأزهـــارِ

ومنـــه:

ريـــاضٌ كـــالعــروسِ إذا تَجَلَّتْ   وقَـــلَّ لهـا مُشـــابَهَـــةُ العَـــروسِ
فمن زَهـــرٍ ضَحــوكِ السنِّ طَلْقٍ   بجهمٍ مِنْ سَحـــائِبِـــه عـبـــوسِ
وقـضبٍ تـحْسبُ الأرواح سَقَّتْ   معـــاطِفَهـــا ســـلافـــةَ خنــدريسِ
ونـهـــرٍ مثــل هـنــديٍّ صقيـــلٍ   تـجــرَّدَ فـــوق مَـوْشيٍّ نـفـيسِ
تَـــوَلَّت نَسْجَـه السُّحْبُ الغـــوادي   وحـــاكَتْ وَشْيَـه أيـدي الشُّمـوسِ

ومنـه وهو جناس:

بنفـسيَ مـن أخِـــلاَّئي خليـــلٌ   سريٌّ لا يَـرَى كـــالحَمْـدِ مـــالا
متى يَعـــدمْ مُمـــالأةَ الليـــالي   علـى مـــا يبتغي منـهـنَّ مـــالا
وأكثـر مـا يكـــونُ إليـــك ميـــلاً   إذا الـزمنُ المساعـد عنك مـــالا
«نَعَمْ» وَقْـفٌ عليـــه لســـائِليـــه   كأنْ لم يدرِ في الألفـاظ ما «لا»

وقـــال:

يـــا غَـــزالاً غَـــزْوَ أَرْض الـــرُّ   وم يَـبْـغـي ويَـــرُومُ
مـــا يَـــفـــي أجـرُك بـــالـــغَـــز   وِ بـقـتـلي يـــا ظَـــلُومُ

وقـــال:

أوصيكمُ بـــالقـلب خيـــراً فـــإنَّـــه   أبَـى يومَ بِنتُم أن يُصاحب جُثماني

فقلتُ لـه أين المُقـام فقـال لي ... بكَفِّي أبـيٍّ ذو حِفـاظٍ وإحسـان
أيحسُنُ في شَرع الصَّبابة تَرْكُ من ... تكنَّفني إحسـانُـهُ مُنـذُ أزمـان
أيحسُن أن أُصغي لـداعية النَّـوى ... إذاً فـرماني اللَّـه منـه بهِجْـران
فقلتُ له أُكرمتَ يـا قلبُ فآغتبطْ ... ولو أن لي أمري لكنتُ لك الثاني

وله في طريقة أبـي الفتح البُستي:

تعجَّبُـوا لِفُـؤادي الشَّهمِ أن آسى ... ما لي وقد جَدَّ جِدُّ العُمرِ لا آسَى
لو لم تَعِظْنيَ نفسي لاتَّعَظْتُ بأنْ ... أرى مثـالَ نعيمِ الـدَّهـرِ إيئاسـا
هاتيك أربُعُ صَحبي بعد ساكنها ... لم تُبْقِ فيها النَّوى نُـؤياً ولا آسا
فآرجعْ إلى اللَّـه يا قلباً عتا صَلَفاً ... فذو النَّدى في الورى إن يُسْتَعنْ(١) آسَى
ولا يـروقُكَ تـوريدُ الخـدودِ فمـا ... تُبْقي ليـاليك ورداً لا ولا آسـا
تجرَّعِ الصابَ في الدُّنيا عساك تُرَى ... معـوَّضاً منـه في دار الرِّضـا آسا

وله ورسم على مشط فِضَّة(٢):

تـهـوى مـحـلّي الـنجـومُ ... يـا بُعْـدَ مـا قـد تـرومُ
كـم لـمَّـةٍ لـكَـعـابٍ ... بـهـا الـنـفـوسُ تـهـيـمُ
ســرَيْـتُ فـيـهـا شِـهـابـاً ... حَـواه لـيـلٌ بـهـيـمُ
مـا صـاغـنـي مـن لُجَـيْـنٍ ... إلَّا ظـريـفٌ كـريـمُ
مَـشْطُ الـحِسـان بـعَـظْـمٍ ... ظُـلْـمٌ لـعـمـري عـظيـمُ

وكتبتُ إليه معمّياً بأسماء الطير وكان يُعْنَى بذلك(٣):

إنْ شئـتَ يـا دهـرُ حـارِبْ ... أوْ شئـتَ يـا دهـرُ سـالِـمْ
فـصـارمـي ومِـجَـنّـي ... أبـو الـربـيـع ابـن سـالـمْ

---

(١) المقتضب: يستبى (ولا معنى له).
(٢) وردت في المغرب ٢:٣١٧.
(٣) انظرهما في ملحق ديوانه: ٤٥٨.

فراجعني بعد أنْ فكَّها بقوله:

نـعـم فـحـارب وسـالـمْ　　وصِـلْ مُـعـانـاً وصـارمْ
أنـا الـمِجَـنُّ الـذي لا　　تـحـيـكُ فيـه الـصـوارمْ
أنـا الـحُـسـامُ الـذي لا　　يـزالُ لـلضَّـيْـم حـاسـمْ
فـاحكمْ بـمـا شئتَ إنِّـي　　بِعَضْـدِ صحبيَ حـاكمْ[1]

* * *

(١) أورد ابن الأبار جملة حسنة من المراجعات التي جرت بينه وبين شيخه أبـي الربيع (كما قال صانع المقتضب).

ـ ٩١ ـ
ابن محرز الزهري

أبو بكر محمد بن محمد بن مُحرز الزُّهري القاضي[١]: من أهل بلنسية، من أهل الطلب البارع والنباهة في بلده.

فمن قوله من قصيدة يصف الإغارة على شَنْتَمَرِيَّة وفتح حصن شزالة، وذلك بعد غَدْرِ النصارى وإغارتهم على فَحْصِ المِيل من نواحي بلنسية:

كذا فَلْيُغِزْ أو فَلْيَغـرْ طالبُ الـوِتْر ... ويَنْهضْ إلى الجَبْر المسهَّدُ بالكَسْرِ
خـرجتَ وللإسـلامِ أنـّةُ مُـوجَـعٍ ... تذوبُ لها الصُّمُّ القَواسي من الصَّخر
أملتَ لهـا أُذْنـاً تُصيـخُ لمثلهـا ... على حين صَمَّتْ كُلّ أُذْنٍ من الوَقْرِ
نفـرتَ لهـا كـالليثِ يَـطْرُق غِيلَه ... ذئابٌ بها من ظُفْـرِهِ نُدَبُ العَقْـر
فسِرتَ على آسم اللّـه تحدوك عزمةٌ ... لو آستُكْفِيَتْ نابتْ عن العَسْكرِ المَجْر
عليـك آبتهـاجُ الـظافـرين كـأنمـا ... تَسِيرُ على وَعْدٍ صَحيحٍ من النَّصر
دَعتْـك من الوامي ثكـالَى ثُغـورِه ... ففِضْتَ على أعطافه فَيضـةَ البحرِ

وله في هذه القصيدة محاسن وأجاد فيها ما أراد.

---

(١) عن المقتضب: ١٤٣؛ ولابن محرز ترجمة في الوافي ١:١٩٨، ولم يصرّح الصفدي بأنه ينقلها عن تحفة القادم، وهي تختلف عما ورد هنا، ولذلك أثبتُّها في الملحق؛ وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة: ٦٦٤، وذكر أنه توفي ببجاية سنة ٦٥٥ وأثنى عليه بالتفنن في العلوم والمتانة في الآداب؛ وانظر: ترجمته في النفح ٢:٦٦، وأورد له مقطوعتين في ٤ : ٣٣٩؛ وترجم له الغبريني في عنوان الدراية: ٢٨٣، وذكر أنه ارتحل إلى بجاية بعد سنة ٦٤٠ واستوطنها وكان معظماً عند أهلها، وكانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب، وكان محصلاً لهذه الفنون مجيداً فيها، ولا يخلو له وقت من الاشتغال بالعلم؛ وكذلك ترجم له ابن رشيد في رحلته.

وكتب إلى أبي الربيع ابن سالم شيخنا، رحمه اللّه:

أَبلِغْ سلامِي يضُوع زَنْدُهْ يا طرسُ أُبْلغتَ ما تودُّهْ
إلى أخٍ طال منه كفّي بصارمٍ لا يُحَدُّ حَدُّه
شَرُفْتُ منه بمَشْرفيٍّ أُفْرِدَ عن مُشْبِهٍ فِرِنْدُهْ
أبُوه مِنْ شَوْقِهِ بقلبي فهل أنا اليومَ منه جَدُّه

وقال[١]:

سقى الله المعرَّسَ إذ سهرنا به والحادثاتُ بحالِ غمضِ
قطعنا ليلَهُ والحالُ رفعٌ يُقِرُّ العينَ منها عيشُ خفض
نضاجعُ من بناتِ الماءِ أو من نباتِ الماء فيها كلَّ غض
يروقُكَ أو يروعك منه فاعجبْ سيوفٌ بعضها أغمادُ بعض

ومن قصيدة لأبي عبدالله ابن أبي البقاء وقد سمع أرجوزتي أبي بكر في ذلك، في شكل خباء الماء:

تُحاكُ أَعاليه وأسفله وما يقومُ عليه أو به من سَدَى النهرِ
وإن حاولوا تطنيبَهُ فبأربعٍ تمزّق من أردانِ أثوابه الوُفْرِ

وأنشدني الأديب أبو عبدالله محمد بن أحمد الحضرمي صاحبنا لنفسه، وسئل وصف مثله والريح تبدده، فقال وأحسن ما أراد:

ومطنّب، للماءِ ما أوتادُهُ إلا نتائجُ فكرِ طَبٍّ حاذقِ
عبثتْ به أيدي الصَّبا فكأنها أيدي الصبابةِ بالفؤادِ العاشق

ولأبي بكر من كلمة[٢]:

إن لله مطلقين أسارى طلبوا القُرْبَ مهتدين حيارى

---

(١) وردت هذه الأبيات في الوافي ١ : ١٩٩ .

(٢) وردت الأبيات في الوافي أيضاً.

عـثـروا إذ تـحـيـروا فـرآهـم فـجـزاهـم بـأن أَقـالَ الـعـثـارا
قُـبِلتْ منهـم الـصـلاةُ وهـم لا يقـربـون الصـلاةَ إلَّا سكـارى

* * *

ـ ٩٢ ـ

ابن عميرة المخزومي

أبو المطرف أحمد بن عبدالله بن عَميرة المخزومي القاضي[١]: من أهل جزيرة شُقر وسكن بلنسية. فائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الذي اعترف بأمجاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يوصف به البديع، ومعاذ الله أن أُحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسَبْقُهُ الأشهر، ونطقه الياقوتُ والجوهر، تحلَّتْ به الصحائف والمهارق، وما تخلّت عنه المغارب والمشارق، فحسبي أن أجهد في أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره.

فمن نسيب قصيدة مدح بها قوله[٢]:

يا والياً أمرَ الجمالِ بسيرةٍ ... قلَّ الحديث بمثلها عن والِ
حتى متى قلبي عليك متيّمٌ ... وإذا سألتُ يُقال قلبُكَ سالِ
أرضى رضاك عن الوشاة وأنت لا ... ترضيك موجدتي على العذال
وبيانُ حبك لم أؤخره وفي ... جدواه عندكَ غايةُ الإجمال

(١) عن الوافي ٧: ١٣٣ والمقتضب: ١٤٥ ونفح الطيب ١: ٣١٥ عن التحفة (وانظر صفحات متفرقة منه) وانظر الإحاطة ١: ٦٠ وعنوان الدراية: ١٧٨ والديباج: ٤٦ وبغية الوعاة: ١٣٧ والذيل والتكملة ١: ١٥٠ واختصار القدح: ٤٢ وصفحات متفرقة من الروض المعطار؛ وللصديق الدكتور محمد بنشريفة دراسة وافية عنه بعنوان: أبو المطرف أحمد ابن عميرة المخزومي ــ حياته وآثاره (منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ــ المغرب) وقد استوفت معظم المصادر عن حياته، كما اعتمد كاتبها على نسختين من رسائله الخطية.

(٢) الأبيات ٦ ــ ١٠ في النفح وانظر اختصار القدح: ٤٤.

قد حرتْ في حالٍ لديك ولستُ من … أهلِ الكلام أحارُ في الأحوال
وأجلتُ فكري في وشاحك فانثنى … شوقاً إليك يجول في جوّال
أنصفْتَ غصنَ البانِ إذ لم تَدْعُهُ … لتأوّدٍ مع عطفكَ الميّالِ
ورحمْتَ دُرَّ العقدِ حين وضعته … متوارياً عن ثغركَ المتلالي
كيف اللقاء وفِعلُ وعدكَ سينهُ … أبداً تخلّصهُ للاستقبالِ
وكُماةُ قومكَ نارهُمْ ووقودها … للطّارقينَ أسِنّةٌ وعَوالِ

وقال من قصيدة أنشدنيها بإشبيلية، إثر نُزهة جمعتنا بخارجها، صدر سنة سبع عشرة وستمائة، وأنا اقترحتُ وصفها عليه، وأولُها:

لو غَيْرُ طَرفِكَ مَوْهِناً يأتيني … ما كان في عَقب الصِّبا يُصْبيني
وافَى وقد هَجَع الخليطُ فبات في … ثَوْب الدُّجى أُدْنيه أو يُدنيني

ومنها في الوصف المقترح:

يا حِمصُ إنك في البلاد فَريدةٌ … ببديعِ حُسنٍ جَلَّ عن تَحْسينِ
أحبِب بنهركِ حينَ يزْخَر مَدُّه … فيَروقُ منه تحرُّكُ كَسُكون
ويَعُودُهُ الجَزر الذي يُبقي على … شَطّيه حِجْراً دونه للطِّين
مثل الخَريدةِ إن تَقَلَّص ثوبها … خَجِلت لشَيْءٍ تحته مَدْفون
فكأنما هو عاشقٌ ذو زَفْرة … تعتاده في الحِين بعد الحين
أو مثل مُمتلىءِ الجَوانح والحشا … غيظاً طواه الحِلْمُ بالتّسكين
وتخالُ ما نَثرتْ به أَيدي الصَّبا … حَلَقَ المُضاعفِ نَسْجُهُ المَوْضون
تجري به أسرابُ طَيْرٍ آثَروا … فيها المَجازَ فسُمِّيت بسَفِين
يا حُسنَها من ذاتِ أجنحةٍ لها … عَملٌ يَبذُّ جناحَي الشّاهين
تَثني الجَموحَ فلا يَريمُ مكانَه … منها وتَرجعُ صَوْتَ كُلِّ حَرون
من كُل دهماءِ الأَديم ترى بها … منها بَنَفْسَجةً على نَسْرين
عُطفَتْ وأُرهفَ جسمُها فكأنها … قمرٌ إذا ما عاد كالعُرْجون

جُلْنـا بها في النَّهـر نَرتـع للمُنى   مـا بين أصنـافٍ لهـا وفُنـون
ولـربمـا رُعْنـا بنيـه بغـارةٍ   تـركتْ مَصُونَ جِمـاه غيرَ مَصـون
تَحكي إذا مـا أبـرزت حـركـاتِهـا   فِعـلَ النَّـزيف يَنُـوء دون مُعين
قـد قَـوَّستهـا مِيتـةُ لا كـبـرةٌ   فـانـظُر إلى أَلِفٍ تعـودُ كنُـونِ
حتى بلغنـا شَنْتبـوس(١) ويـا لـه   من مَشهـدٍ بهَوَى النفـوس قَمين
حيثُ القصورُ البيضُ يُرْمَقُ حُسنها   فيكـونُ قيـدَ نـواظـرٍ وعُيـون
بَهرتْ جمالاً في الدُّجى حتى ترى   معهـا عَمُـودَ الصُّبـح غيـرَ مُبين
فهي النجـومُ بـل البُـدورُ لأنهـا   تَـزدادُ حُسنـاً في الليـالي الجُـون
قـد أُلِّفَتْ أجـزاؤهـا فتنـاسبتْ   كتنـاسُبِ النَّغمـاتِ في التَّلحين
طـاب الزمـانُ بهـا فمـا نيسـانهـا   أنـدَى نَـدًى من آبَ أو كـانُـونِ
فسَقى العَروسَ(٢) مع الخليج حيالَهُ   صـوبُ بـريّ رُبـوعهـا يُـرضيني
فلقـد مضتْ لي ثَمّ سـاعـةُ لـذَّةٍ   عن ذكـر لـذَّات الألى تُسليـني
وجنيتُ من ثَمـر المُنى مـا شئتُـه   وأخـذتُ منـه فـوق مـا يكفيني
في فِتيـةٍ ظفـرتْ يـدايَ بقُرْبهم   بـأجـلِّ عِلْقٍ في الـزَّمـان ثَمين
مـا منهُـمُ إلا صَـريـحُ مَـودَّةٍ   أُصْفيـه منهـا مثـلَ مـا يُصفيني
أخذُوا بأَطرافِ الحديثِ فَشَعْشَعوا   منهـا كُـؤوسـاً حَثُّهـا يُحيينـي
وتـذاكـروا أخبـارَ سيِّـدنـا فَقُـلْ   جَلبـوا فَتِيق المِسـكِ من دَارين

وقال يصف مثلها بنهر جزيرة شُقر، وأنشدنيه:

خُذْ في حَديثك إنَّ وَصفك يُطْربُ   عن يـومِ أُنْسٍ ذكـرُهُ مُستعـذبُ
وآطلبْ إعـادتـه مِنَ الأيَّـامِ إنْ   سمحتْ بـذا وأظُنُّ ذلـك يَصْعب
يومُ أرانا الحُسنَ في النَّهـر الذي   قـد طـاب منـه مَـوْردُ أو مَشْـرب

(١) شنتبوس أو شنبوس من متنزهات إشبيلية، ذكرها أبو بحر في رسالته التي يصف فيها تغاير مدن الأندلس (انظر النفح ١ : ١٧١).
(٢) العروس: من متنزهات إشبيلية أيضاً.

يَمشي ويُـزْجِي مـوجَـه فكـأنـه لمـا آنتهبنا مـا يُـوَارِي مُقصِب[١]
وقـد آمتـطينـا زَوْرقـاً فيـه فقُـلْ صُبْـحُ تمشّى في سَنـاهُ غَيْهـب
فتـراه طَـوْراً طـائـراً ولـربمـا ضُمَّتْ جَنـاحـاه إليـه فَيُجْنِب
ولنا شِبـاكٌ قـد تجـاذبَ غـزْلَهـا ضـدَّانِ يـطفُـو ذا وهـذا يَـرْسُب
نُسِجَتْ كنَسْج الدِّرع لكنَّ الرَّدى لم يَعْـدُ لابسَهـا إذا مـا يُـطْلَب
تُبْـدِي لنا سَمَكـاً أرادتْ أن يُرى حَسَنـاً بـهـا فـلأجله تـتـقـلَّبُ
فكـأنها جَمـدتْ من الماءِ الـذي حصبـاؤه من صَفْـوه لا تُحجب
يـا نَهرَ شُقْـرٍ فيك أدركتُ المُنى فـلأنتَ من نَـهـر إليَّ مُـحَبَّب
يَهنيـك إذ حُزْتَ المحـاسنَ كلَّها أني سـأشعرُ في حُـلاك وأخـطبُ

ولـه:

انْـظُرْ إلى الـوادي غَـدا كـدراً وصـفـاؤهُ قـد عـاد كـالعَـلَقِ
فـكَـأنَّـهُ لـمّـا بَـدَا أُفُـقٌ سـالـتْ عليـهِ حُـمْـرَةُ الشـفَـقِ

وله مما يُكتب على قوس[٢]:

مـا انـآد مُعتَقَـلُ القَنـا إلّا لأنْ يَحكي تـأطُّرَ قـامتي العَـوجـاءِ
تَحنو الضُّلوعُ على القُلوبِ وإنني ضِـلَعٌ تُـوافيـهـا بـأَعضـلِ داء

وله وقد أهدى ورداً[٣].

خـذها إليـكَ أبـا عبد الإلهِ فقـد جـاءتكَ مثـلَ خدودٍ زانهـا الخفرُ
أتتك تحكي سجايا منك قد عذبَتْ لكنْ تـغيُّـر هـذا دونَـهُ الـغيـر
إن شمتَ منها بروقَ الغيثِ لامعةً فسـوفَ يأتيـكَ من ماءٍ لهـا مطر

وكتب إليَّ مع تحفةٍ أهداها مكافئاً عن مثلها[٤]:

يـا واحدَ الأدبِ الـذي قَـدْ زانَـهُ بمنـاقبٍ جعلتـهُ فـارسَ مِقْنبِـهْ

---

(١) مقصب: كثير القصب وهو الدرّ.
(٢) نفح الطيب ١:٣١٥ ــ ٣١٦.
(٣) الأبيات في نفح الطيب ١:٣١٦. (٤) المصدر السابق.

بالفضلِ بالهبةِ ابتـدأتَ فإنْ تُعِرْ طَرَفَ القبولِ لما وهبت ختمتَ بهْ

وله ارتجالاً من قصر الإمارة من بلنسية، وأنا حاضرٌ في صبيحة بعض الجمع، وقد حُجم صاحبٌ لنا من أهل النظم والنثر وأُحسنَ إلى الحجام المخصوص[(١)]:

أرى منْ جـاء بالمـوسى مـواسى وراحـةُ ذي القريضِ تعـودُ صفرا
فـهــذا مخفـقٌ إنْ قَصَّ شِـعْــراً وهــذا مُنْجــحٌ إن قَصَّ شَـعــرا

ولــه أيضــاً[(٢)]:

هو ما علمتَ من الأميرِ فما الذي تــزدادُ منــهُ وفيــهِ لا تــرتــابُ
لا يَـتَّقـي الأجنــادُ فـي أيَّــامِــهِ فَقْـراً ولا يـرجـو الغنى الكتَّـابُ

وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشةٍ في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة[(٣)]:

أسيــرُ بـأرجــاءِ الـرجــاءِ وإنّمــا حـديثُ طريقي طـارقُ الحـدثـانِ
وأُحضـرُ نفسي إن تقدمتُ خيفـةً لـغضِّ عنــانٍ أو لــعضِّ زمــانِ
أينزلُ حظّي للحضيضِ وقد سرى لإمكــانِـهِ فــوق الـذُّرَى جبـلانِ
وأخبطُ في ليـلِ الحوادثِ بعـدما أضــاءَ لعيني منهـمــا القـمــرانِ
فيحـيـى لآمــالي حـيــاةً معــادةً وإنَّ عــزيــزاً عِــزَّةٌ لـمـكــانــي
وقـالوا اقتـرح إنَّ الأمـانيَّ منهمـا وإن كنَّ فوق النجم تحت ضمانِ
فقلت إذا نــاجــاهمــا بقَـضيَّـتي ضميـريَ لم أحفلْ بشـرح لساني

ولــه أيضــاً[(٤)]:

سلب الكرى من مقلتيَّ فلم يجىء منــه على نــأيٍ خيــالٌ يَـطرقُ

---

(١) ورد البيتان في نفح الطيب ١:٣١٦، ٣:٤٨٨ واختصار القدح: ٤٣.
(٢) نفح الطيب ١:٣١٦.
(٣) نفح الطيب ١:٣١٦ ـ ٣١٧.
(٤) نفح الطيب ١:٣١٧.

أهفو ارتياحاً للنّسيم إذا سرى   إنَّ الغريقَ بما يرى يَتَعَلَّقُ

وله يُخاطب العراقيّ، وقد بعث إليه في جزء من كتاب «الجدل» يقتضيه، إثرَ ما ولي شغل الخزانة بمرَّاكش:

تقلَّدتَ من شُغل الخِزانة خُطةً   تَقَلُّدُها بالفَضلِ والعلم لائقُ
وأرسلتَ عن جُزء كحرفٍ بمُهْرَقٍ   وقد جُمعتْ في راحتَيك المَهارق
فيا مَنْ له تِسْعٌ وتسعون نَعجةً   أفي سَخلةٍ عَجفاءَ أنت تُضايق

ومن قصيدة أيضاً في تغلُّب الروم على بَلنسية(١):

ما بال دمعك لا يني مدرارُهُ   أم ما لقلبك لا يقرُّ قرارُهُ
أَللوعةٍ بين الضلوع لظاعنٍ   سارت ركائبُهُ وشطَّتْ داره
أم للشبابِ تقاذَفَتْ أوطانُهُ   بعدَ الدنوّ وأخفقتْ أوطاره
أم للزمانِ أتى بخطبٍ فادحٍ   من مثل حادثة خَلَتْ أعصاره
بحرٌ من الأحزان عبَّ عبابُهُ   وارتجَّ ما بين الحشا زخّاره
في كلِّ قلبٍ منه وجدٌ عنده   أَسَفٌ طويلٌ ليس تخبو ناره
أمّا بلَنْسيةٌ فَمَثْوى كافرٍ   حَفَّت به في عُقْرِها كُفَّارُهُ
زَرْعٌ من المَكروه حَلَّ حَصادُهُ   بيَدِ العدوِّ غداةَ لَجّ حِصاره
وعزيمةٌ للشِّرك جَعْجَع بالهُدى   أنصارُها إذ خانه أنصاره
قُلْ كيف تَثْبتُ بعد تمزيق العِدا   آثارُهُ أو كيف يُدرَك ثاره
ما كان ذاك المِصْر إلا جَنَّةً   للحُسن تَجري تحتها أنهاره
طابتْ بطيب نهارِهِ آصالُهُ   وتعطَّرَتْ بنَسيمه أسحاره
وتألقتْ أوقاتُهُ وتفيَّحَتْ   أرجاؤه وتفتَّحتْ أنواره
أمّا السَّرار فقد عَراه وهل سوى   قَمرِ السماء يَزول عنه سراره

(١) كلها ما عدا البيت الثالث عشر في الروض المعطار (بلنسية) وانفرد الروض بالأبيات الستة الأولى، ثم اتفق في سائرها مع المقتضب.

قد كانَ يُشرقُ بالهِداية ليلُهُ ... فالآن أظلم بالضَّلال نهارُه
ودَجا به ليلُ الخُطوبِ فصُبْحه ... أَعيا على أبصارنا إسفارُه(١)

وقال:

نَكِّب عن الدُّنيا ولا تَلْقَها ... إلّا بوُدٍّ مثلها زائلِ
إذا تَحلَّيْتَ بما زَخرفتْ ... فأنت في التَّحقيق كالعاطل
حلَّتْ لمن أمَّلها بُرهةً ... لكنّه لم يَحْلَ بالطّائل
مَن مُنْصِفي من زمنٍ جائرٍ ... يُغْلَبُ فيه الحقُّ بالباطل
لو كان سَحبانٌ به مُفْصِحاً ... لم يأمنِ الإسكاتَ من باقِل
حَسْبُك أنَّ الوَغدَ يحتاجُهُ ... مَن آرتدى بالخُلقِ الفاضل
يَفتقرُ الضِّدُّ إلى ضِدّه ... مثلَ آفتقار الفِعل للفاعل

ومن رسالة له كتب بها معزِّياً إلى بَطَلْيَوْس:

ولم أرَ مثلَ الحقِّ أمّا طريقُه ... فأَمْنٌ وأمّا جارُهُ فعزيزُ
إذا ما آمرؤٌ آوى إليه فحِصنُهُ ... حَصِينٌ ومأواه المُباحُ حَريز
فكُن معه تَظْفَرْ بما شئتَ من مُنًى ... مُصادفُها بالصالحاتِ يَفوز
ومن خير ما حازَ الفتي الصبرُ إنه ... أداةٌ لِمَوْفور الثوابِ تَحوز
رأينا التُّقى كنزاً يدومُ الغِنى به ... إذا فَنِيتْ للمُوسرين كُنوز
وكائن رأينا من حوادثَ أقبلتْ ... فللخلقِ تصريحٌ بها ورُموز
تُقابَل بالتَّسليم للّهِ وحدَه ... فتَمضي ولم يُشْعَرْ بها وتَجوز

* * *

(١) المقتضب: إبصاره.

ـ ٩٣ ـ
ابـن شلبـون

أبو الحسن عليّ بن لُب بن شلبُون المعافري(١) من أهل بلنسية، وكتب لوُلاتها، ثم وزر لمحمد بن يوسف بن هود أول ثورته، سنة خمس وعشرين وستمائة، وكان من الأدباء النجباء، وتوفي بمرّاكش سنة تسع وثلاثين وستمائة.

له من قصيدة يمدح ويعتذر عند قُدومه مع وفد بلنسية سنة آثنتين وعشرين وستمائة إلى إشبيلية:

حنانَيْك قد ثُبنا إليك وقد تُبْنا ... فجدِّد لنا الرُّحْمى وأكِّد لنا الأَمْنا
هو القَدَر الجاري على الناسِ حُكْمُه ... فلا غَرْوَ أن جاءوا سراعاً وأبطأنا
إذا لم تكُن بالمُرتجين عنايةٌ ... سماويَّةٌ عادتْ عِياذتهم أفْنا
مُلكنا فصُرِّفنا تصاريفَ نَجتني ... بها مَرةً رِبْحاً وآونةً غَبنا
وأمّا وإغضاءُ الخليفةِ شاملٌ ... فبُشرى بما نِلْنا به الخيرَ والأمنا

وله من قصيدة يمدح أيضاً أولها:

أَوجهُك والألحاظُ والقَدُّ والرِّدْفُ ... أم البدرُ واليَعفورُ والغُصْنُ والحقْفُ
وريّاك عَمَّ الخافقين أريجُها ... أم المِسكُ من دَارين نَمّ له عَرْف

والقصيدة طويلة.

وله من قصيدة يرثي شيخنا أبا الربيع:

خَطْبُ الخُطوب دها العَلاءَ مُصابُهُ ... فَارْبَأ بدمعكَ أن يَقِلَّ مَصابُهُ

(١) ما هنا من المقتضب: ١٥١ وحده.

ومنهـــا:

وآسكُب له حُمْرَ الـدُّموع يُمِـدُّها ... قلبٌ يَسيـلُ على الجُفونِ مُـذابُـه
أَودى سليمـــانٌ فشَـرْعُ محمـــدٍ ... ثَـكــلانُ بــاديــةٌ بــه أَوصــابــه
فُجعتْ بـه سِيرُ الـرَّسـول مُصنَّفـاً ... كُتبــاً يُنَـظِّم شَـــذرَهــا إطنــابــه
وأُصيبَ منـــه حـديثُـه بإمــامــه ... وحفيــظهِ مــن حــادثٍ يَنـتــابــه
العــالِم العــالي بــه مُـتــرسِّــلاً ... قمَمَ الكـــواكب علمُـه ونِصــابــه
فمَن المُجَلِّي عن طريقِ صَحيحه ... وسَقيمــه مهمــا يَشُبْـهُ تَشــابــه
وبمَن يُعـرِّج طـالبُ العلم الـذي ... مــا أُعـملت إلَّا إليـــه رِكــابــه
أو مَن لِــذرْوة مِنْبـرٍ تُــزْهَى بــه ... أعـــوادُه ويَـــهُــزّهــا إســهــابــه

ومنهـــا:

أم من لصَدرِ المَحفِل المَشهود إنْ ... كَثُــرَ الكـلامُ بــه وقَـلَّ صـــوابُـه
الـــروضُ آدابــاً تــأرَّجَ زهــرُه ... والبحــرُ إدراكــاً يَـعُبُّ عُـبــابــه
وَلـد الـزمــانُ ومـا أَتى بنَـظيـره ... ليس الـــزمــانُ بــدائمٍ إنجــابــه
غـار الجمـالُ فمـا يُتـاحُ طلوعُــهُ ... غـاب الكَمـالُ فيمـا يُبـاحُ إيابـه
خَـطَّتْ رمـاحُ الخَطِّ فيـه أسطُراً ... بيَمينــه منهــا يـكـــون كِتــابــه

* * *

ـ ٩٤ ـ
الغــزّال

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن غالب أبو جعفر الحمْيري[1]: من أهل مُرسية يُعرف بالغَزَّال ـ مشدّد الزاي بالغين المعجمة ـ وبالحمّامي ـ مشدّد الميم ـ وكان مجيداً مكثراً ووقع من شعره إليّ قليل، توفي ببلده سنة إحدى وثلاثين وستمائة وكنتُ قد لقيته به في سنة ست وعشرين. له في رؤيا أبـي بحر صَفْوان بن إدريـس رحمه اللّـه تعالى:

له اللّـه ما أهداه في كلِّ مُشكلٍ   لمعنىً وكلُّ القوم في دُجْنة عُمْيُ
فما هو إلاَّ بالبلاغة مُرْسَلٌ   وآيتُه الرؤيا إذا انقطع الوَحْيُ

ظاهر هذا الكلام يقتضي أن أبا بحر رآها، والذي حُكي لي وهو الصحيح أن المنصور أبا يوسف رأى أباه في النوم يقول له: ببابك رجلٌ يُعرف بابن إدريس فاقضِ حاجته ـ أو ما هذا معناه ـ فلما أصبح، وذلك يوم الثامن عشر لذي الحجة عام تسعين وخمسمائة، أخبر بالرؤيا فوجَّه فيه قاضي الجماعة أبو القاسم ابن بقيّ والكاتب أبو الفضل ابن طاهر المعروف بابن محشوّة وبشَّراه، ويوم الإثنين بعده سئل عن مطالبه فقُضيت وزُوّد بأربعمائة دينار.

وذكر أبو المطرف أن إنساناً حدثه أن المنصور رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أبا بحر كان عنده ظهيراً، ولولا هذا ما شفع فيه رسول الله

(١) الوافي ٦: ٢١٥ والمقتضب: ١٥٣.

صلى الله عليه وسلم. وذكروا أن المنصور لما سمع مدح أبـي بحر ورثاءه للحسين أراد الإحسان إليه، وتسبب بالرؤيا لئلا يكثر عليه الشعراء، وادَّعى عندها محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكُحل أنه ذلك لتوافُق اسمَيْ أبويهما، فقال أبو بحر يخاطبه:

يا سارقاً جاء في دعـواه بالعجبِ سامحتُه في قريضي فادَّعى نسبـي
يُنمى إلى العربِ العربـاء مدَّعيـاً كـذاك دَعْـوتُـه للشعـر والأدبِ
يـا أيُّهـا المَـرْج دَعْ للبحـر لؤلؤه فالدرُّ للبحر ذي الأمواج والحدبِ
هبْ أنّ شعرك شعري حين تسرقُهُ أنَّى أنـا أنت أو أنَّى أبـوك أبـي

هذا النوع من الهجاء لا يسمج عند أكثر الأدباء. وتركتُ لِأجلِ الهجاء من لم أجد له سواه ومنهم:

أبو محمـد عبدالله بن عبدالرحمن الفريّاني[١]؛

وأبو بكر محمد بن عبدالله بن سدية؛

وأبو عبدالله محمد الواعظ الكفيف المعروف بالموروري، وسكن دانية ثم بلنسية وكان مشهوراً أذاه؛

وأبو بكر محمد بن علي بن رفاعة الشريشي الطبيب[٢]؛

وأبو زكريا يحيـى بن خالد الشريشي؛

وأبو سعيد ميمون بن علي المعروف بابن خبازة[٣] وتوفي برباط الفتح سنة سبع وثلاثين وستمائة؛

وأبو موسى عيسى بن عبدالله الدجي[٤].

(١) له ترجمة في الملحق نقلاً عن ابن الأبار.
(٢) ترجمته في الملحق نقلاً عن ابن الأبار.
(٣) ترجمته في الملحق نقلاً عن ابن الأبار (وهو هناك: ابن خيارة).
(٤) انظر ترجمته في الملحق، وهي مما كتبه ابن الأبار.

ومنهم: أبو المحجى عياش بن حوافر[١]، وأبوه من عرب ميورقة وبها ولد ونشأ؛ ومن القدماء ابن وازع، غير مسمًّى، من أهل بياسة وكان يعقد فيها الشروط.

ولأبـي جعفر في مجمر نار:

ومجمـرٍ ملئتْ ســاحــاتُـهُ بِغَضــاً والجمرُ يرمي شـراراً وهو يستعـرُ
كُلِّفتُ تشبيهه يوماً فقلت خذوا الــ تشبيـه بالخُبْـرِ لا يَشْغَلْكُمُ الخبـر
فمجمرُ النارِ صدري والغضا كبدي والجمرُ قلبـي ودمعي ذلك الشرر

* * *

(١) سترد ترجمته في الملحق منقولة عن ابن الأبار؛ (إن حذف هذه الأسماء يبدو من عمل صانع المقتضب لا من عمل ابن الأبار نفسه، وإن كان ابن الأبار نفسه متحرجاً تجاه الهجاء في غير هذا الموطن).

ـ ٩٥ ـ
الـــزهـــري

أبو المطرف الزهري[١]: من أهل إشبيلية؛ من قوله في جارية خرجت عليه وعلى جليس له فنفرت:

يـا ظبيـةً نَفَـرَتْ والقلبُ مِكْنَسُهـا　　خوفاً لختليَ بـل عمداً لتعـذيبـي
لتـأمني فـابنُ عبـدِالحقِّ ألحفنـا　　عـدلاً يؤلِّفُ بين الظبـي والـذيب

وقـــال:

مرَّتْ [تهادى] بنا كالبدر وانفتلتْ　　كالغصن والتفتت كالشادِن الخرقِ
تسـربلتْ ببـرودِ الحسنِ والتحفتْ　　بالغُنْجِ واشتملت مِرْطاً من الحَدَقِ

* * *

(١) من المقتضب: ١٥٦ وحده (وحذف اسمه والاكتفاء بكنيته يجعلنا نقدر أن الصفدي أهمل ذكره).

— ٩٦ —

ابـــن طلحـــة

أبو جعفر أحمد بن محمد بن طلحة الأنصاري(١) من أهل جزيرة شُقر؛ كتب لابن هود وتجوَّل ببلاد غرب الأندلس، ثمّ فارقه ولحق بسبتة، فقُتل بها ثامن شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة. وله شعر كثير لم أقف الآن إلاَّ على قوله:

أغصَصتُ بالريقِ قوماً ما جنيتُ لهمْ … إلاَّ نفائسَ ما قدّرتُ من حَسَنِ
إنِّي قَتلتُ غبيّاً ما برزتُ لَهُ … إلاَّ تَقَلَّبَ في أثْوابِ مندفِنِ
إن سَلَّ غَربُ ذكائي حَدَّ قافيةٍ … في النومِ، أُدرجَ من ثوبيهِ في كفنِ
قَدْ كابَرَ الحقَّ بهتاً وهو معتقدٌ … في السرّ إثبات ما يَنْفيهِ في العَلَنِ
وأبْصرَتْ عينُهُ الآفاتِ باهرةً … لا تَسْتَسِرُّ لساهٍ لا ولا فطنِ
فَلازمَ الغيَّ واستَهْوتهُ منقصةٌ … كأنَّهُ عاكفٌ منها على وثَنِ
ما للغضاضةِ سلطانٌ على أدبٍ … تُحدى به العيسُ من مصرٍ إلى عدنِ

وأنشدني سنة عشرين وستمائة لنفسه، وأنشدني أبو الحجاج ابن إبراهيم عنه:

(١) عن الوافي ٨: ٤٦ والمقتضب: ١٥٧ وانظر اختصار القدح: ١١٤ــ١١٧ والمغرب ٢: ٣٦٤؛ وكان أبو جعفر يكتب عن ولاة الأمر من بني عبدالمؤمن ثم كتب لابن هود حين تغلب على الأندلس، وربما استوزره في بعض الأحيان، ويصفه ابن سعيد بالتهور والطيش، وأنه يضع نفسه فوق منزلة المتنبي وأبي تمام والبحتري، وقد تقلبت به الأيام حتى حلَّ سبتة فأحسن إليه واليها أبو العباس اليناشتي (الينشتي)، ثم حدث ما أوغر صدره عليه فظلَّ يتربص به حتى حفظت عنه أبيات مجونية قالها في شهر رمضان، فأرسل إليه من اغتاله.

عَجَبي لقـومٍ أمّلوا أن يـبلغـوا من كـلِّ مـأثـرةٍ وفضـلٍ مَبلغي
من بعضِ حاصليَ الذي لا أبتغي يئسـوا فمَن لهمُ بمـا أنـا أبتغي

وأمر بقتله الأمير أبو العباس اليناشتي لأمورٍ نقمها عليه منها أنّه هجاه فقال[1]:

سمعنـا بـالمـوفَّـقِ فـارتحلنـا وشـافِعُنـا لـه حَسَبٌ وعلمُ
ورمـتُ يـداً أُقبّـلها وأُخـرى أعـيشُ بفـضلهـا أبـداً وأسمـو
فـأنشـدنـا لِسانُ الحـالِ عنـهُ يَـدٌ شَـلاَّ وأمـرٌ لا يـتـمُّ

* * *

(١) الأبيات في اختصار القدح: ١١٦.

ـ ٩٧ ـ
الرفّاء المرسي

[أبو علي] الحَسن بن عبدالرَّحمن الكِناني الأستاذ(١): من أهل مرسية، ويعرف بالرفاء، صاحب مقطّعات وتذييلات حِسان، وكان حُلو النّادرة فَكِهاً ممتعاً. وتوفي ببلده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

ولـه:

أتى فَأسَى كلَّ ما كَلَّما وبان الأَسى كُلَّما كَلَّما(٢)
ورَوَّى الغَليلَ ومن بعدما شَفَى الصّبَّ ماءُ اللَّمَى أَلَّما
وثَلَّم ما شاء من قُرْبِه وزاد فقد ثَلَّ ما ثَلَّما
وسَلَّ عليه حُسامَ النَّوى ومن بَأْسٍ ما سَلَّ ما سَلَّما
وضَرَّم نارَ الجَوَى في حَشاه فألحَفَهُ ضَرَّ ما ضَرَّما
وعَدَّمَه الصَّبرَ من بعده يَرَى فرصةً عَدَّ ما عَدَّما
أعَيْنَيْهِ كُفَّا فَأَصْلُ الأَسَى إذا ما اعْتَرَى وانْتَمَى أَنْتُما
ويا صاحِبَيْهِ ألا عُدْتُما وهَلاَّ إذا عُدْتُما عُدْتُما
لقد قُلتما أن سَيَقضِي هَوىً ومن قَبله قلتُ ما قُلتُما

خرج أبو عليّ هذا، وأبو بَحرٍ صَفوانُ بن إدريس، وأبوعبداللّه ابن

(١) عن الوافي ١٢: ٦٦ والمقتضب ١٥٨ وانظر التكملة: ٢٦٦ وبغية الوعاة ١: ٥١٠.

(٢) آسى: داوى، كل ما كلمه أي جرحه؛ وكلما كلمني ذهب الأسى عني.

مَرْج الكُحْل، إلى متنزهات مُرْسِيَة، فمرُّوا في طريقهم بمسجد فجلسوا فيه يسيراً، فلما همُّوا بالانفصال، كتب أبو بَحْرٍ في صفحة من حِيطانه:

قُـدِّست يـا بيتُ في البيـوتِ ودمـتَ لـلدِّيـن ذا ثُـبـوتِ

فكتب ابن مَرْج الكُحل:

يـعمُـرُك الـنـاسُ فـي سُـجـودٍ وفـي رُكـوع وفـي قُـنـوتِ

فكتب أبو علي المذكور:

وإن نَـبـا بـالـغَـريـبِ بَـيْـتٌ كـنـتَ لـه مـوضِـعَ الـمبيـتِ

وله من أبيات في المجبَّنات:

شـغفـتُ بحـبٍّ أبكـارٍ حبـالى وودّي لـو بنيتُ بهـا عـروسـا
إذا لاحتْ بـدوراً في المقـالي تـراءتْ للعيـون بهـا شمـوسـا

ولي فيها من أبيات[1]:

بنفسي مـثلجـاتٌ فـي الصـدورِ لـهـا سِمَـتـانِ من نـارٍ ونـورِ
حـوامـلُ وهي أبكـارٌ عـذارى تُـزَفُّ على الأكفِّ مع البكـور
بيـاضُ الـطَّلحِ مـا تنشقُّ عنـه وفـوقَ أديمهـا صُهْبُ الـخمـور
كبـردِ الـطَّلِّ حين تـذاق طعماً وفي أَحشـائهـا وَهَـجُ الحـرور
لـهـا حـالانِ بـيـن فـمٍ وكـفٍّ إذا وافـتْـكَ رائـقـةَ الـسـفـور
فـتـغـربُ كـالأهـلَّةِ فـي لَـهـاةٍ وتـطلُعُ فـي يـمـيـنٍ كـالـبـدور

* * *

(١) وردت أيضاً في أزهار الرياض ٣: ٢٢١ وانظر: ديوانه: ٤٤٣.

- ٩٨ -

ابن هشام الأزدي

أبو بكر بن هشام الأزدي الكاتب[١] من أهل قُرْطُبَة، كان من الكتّاب البلغاء، وهو أخو أبي القاسم عامر بن هشام، وأبوهما أبو الوليد هشام بن عبدالله بن هشام أحد حكام قُرْطُبة، وهو الذي صلّى على أبي القاسم ابن بشكوال عند وفاته. وتوفي أبو بكر هذا بالجزيرة الخضراء سنة خمس وثلاثين وستمائة. واسمه كنيته، والناس يكنونه أبا يحيى. وله في ليلة أنس:

وَلَمَّا دنا الإِصْبَاحُ قَامَ مُوَدِّعِي ... وَخَلَّفَني في قَبْضَةِ الوَجْدِ هالكا
وكان سَوادُ اللَّيْلِ أَبْيَضَ نَاصِعاً ... فعاد بَيَاضُ الفَجْرِ أَسْوَدَ حالكا

وله:

يا وَاجِدِي وهو لا جَمْعٌ يُقَاوِمُهُ ... في حَالَةِ النَّفْعِ أو في حَالَةِ الضَّرَرِ
هل من سَبِيل لِذَاتِ الظِّلِّ والشَّجَرِ ... ومِذْنَبٍ من مَعِينِ المَاءِ مُنْفَجِرِ
وذي حَنِينٍ كَأُمِّ الخِشْفِ فَاقِدَةً ... له وقد ضَلَّ بَيْنَ الضَّالِ والسَّمُرِ
حَتَّى أَكُونَ بِحَيْثُ الجِسْمُ في دَعَةٍ ... وفي قَرَارٍ وَطَرْفُ العَيْنِ في سَفَرِ

---

(١) عن الوافي ١٠: ٢٦٥ والمقتضب: ١٥٩ وانظر المغرب ١: ٧٤ واختصار القدح: ٨٩ والتكملة: ٢٢٢؛ وقد وصفه تلميذه ابن سعيد بأنه كان مع سمته كثير الفكاهة وله في هذا المجال حكايات وموشحات وأشعار. كتب في أول أمره عن ولاة بلده إلى أن كتب عن أبي العلاء إدريس ثم عن البياسي لما تغلب على قرطبة، فلما قتل البياسي استخفى، ثم ظهر بإشبيلية، وتنقلت به الأحوال فكتب عن ابن هود والباجي، وعده ابن سعيد شيخ الكتاب في عصره وكانت طريقته في الكتابة سهلة، وقال ابن سعيد إنه توفي بالجزيرة الخضراء سنة ٦٤٠.

تُهدي إلينا الصَّبَا فيها بلا عوضٍ مِسْكاً إذا سَحَبَتْ ذَيْلاً على الزَّهَرِ
فَإِنْ تُجِبْ دَاعِياً مِنِّي فـلا عَجَبٌ وَإِنْ تُجِبْنِي على شِعْرِي فأَنت حَرِي

وقال يراجع محمد بن إبراهيم بن يوسف الكاتب المعروف بابن السماد:

لِلَّـهِ مِنْ نَفَحَـاتِ العُـودِ عَـاطِرَةٌ هَبَّتْ عَلَيْنَـا تُـحَيِّينَـا وَتُـحْيِينَـا
ظَمِئْتُ شَوْقاً فَأَجْرَتْ لي لَـوافِحُها مَعِيـنَ مـاءٍ يُسَـقِّينَـا وَيُـرْوِينَـا
هَـذَا السَّـلَامُ وهـذا الـودُّ نَعْـرِفُـهُ يا لَيْتَ شِعْرِي متى يُقْضَى تَلَاقِينَا
يا داعياً بِلِسَـانِ الصِّدْقِ إنَّـكَ قد أَسْمَعْتَ قَلْبَ فَتًى يَهْـوَاكُمُ دينـا
دَعَـوْتَنَا لِلتَّصَـابِـي إذ دعـوت لنـا فَـأَصْـغِ منَّـا إلى لَبَّيْـك آمينـا

* * *

ـ ٩٩ ـ
ابـن مطـروح

أبو محمد عبدالله بن محمد بن مَطْروح التُّجِيبي[1] القاضي من أهل بلنسية. توفّي بها والرُّوم يحاصرونها في ذي قعدة سنةَ خمسٍ وثلاثين وستمائة.

ومن شعره يرثي أباه من قصيدةٍ:

دَعَـاكَ فـلبَّيْـتَ داعـي الـبِـلَى ... وفـارقـتَ أهـلَكَ لا عـن قِـلى
رمتْـكَ وسَهْـم الـرَّدى صـائبٌ ... شَعُـوبُ فمـا أخـطأتْ مَـقْتَـلا
تقـاضـاكَ منّـا الغَـريمُ الـذي ... أبـى قَـدَرُ الـلَّـهِ أنْ يَـمْـطُلا
أيـا ظـاعـنـاً هَـدَّنـا فَـقْـدُهُ ... جـميعـاً ألم يـأْنِ أنْ نَـقْـفُـلا
أَحِـنُّ إلـى مَـوْرِدٍ أَمَّـه ... وإنْ لـم يـكـن مـورداً سَـلْسَـلا
وأَذْهَـلُ مهمـا دَعـوا بـاسْمِـهِ ... وحُـقَّ لـمـثـليَ أنْ يَـذْهَـلا
وَهَـوَّنَ وَجْـدي عـلى فَـقْـدِهِ ... لحـاقي بـه بعـدُ مُسْتَعْـجِـلا
إذا جَـفَّ مـن شَـجَـرٍ أَصْـلُهُ ... فـلا بـدَّ لـلفَـرْعِ أن يَـذْبُـلا
سـأبكيـه مـا دُمْـتُ ذا مُـقْـلَةٍ ... وأَعْـصي الـعـواذلَ والـعُـذَّلا
وأتـرك حُـكْـمَ لـبـيـدٍ سُـدىً ... كـمـا يَـنْـسَـخُ الآخِـرُ الأَوَّلا

وقال القاضي أبو محمد يَرْثي الشيخَ أبا عبدالله ابن نُوحٍ من قصيدةٍ:

نـاداكَ إذ أَزِفَ الـرحيـلُ مُنـادي ... فظعنْتَ في قَوْدِ الحِمَـامِ الغَادِي

---

(١) عن الـوافـي ١٧: ٥٥٤ والمقتضـب: ١٦٠ وانظر التكملة: ٨٩٢ وغـاية النهـايـة ١: ٤٥٤ وبغية الوعاة ٢: ٦٥.

والنـاسُ في الدنيـا كَسَفْرٍ أَزْمَعـوا ظَعْنـاً ومـا غيـرُ المَنيَّةِ حـادي
هـل نحن إلاّ من أرومة هـالـك فـالفَرْعُ تِلْوُ الأصْلِ في المُعْتَـادِ
كـلّ الجُسوم وإن تَـطاوَلَ مكْثُها فَـمَصِيـرُهـا لـجَـواهِـرٍ أَفْـرَادِ
قَضَتِ العُقـولُ بـأنّ كـلَّ مُـركَّبٍ يَنْحَـلُّ عنـد تَغَـالُبِ الأَضْـدادِ
تَتْلُو المَبـادِي في الأُمـورِ نِهَـايَةً والكَـوْنُ يُـؤْذِنُ طَبْعُـهُ بِفَسَـادِ
لَهْفِي ولَهْفي لا يُجِيـرُ منَ الرَّدى لَهْفي على قَمَـرِ العُلَى والنَّـادي
أودى ابن نـوحٍ فالشـريعـةُ بعـده تبكي وتلبـسُ فيـه ثَـوبَ حِـدادِ
كم ذَبَّ عنهـا كم أقـام لـواءهـا فَـرْداً وَجَلَّى مِنْ ظَـلامِ عنـادِ
من لم يَلِجْ أُذُنَيْـهِ مُـؤْلِمُ نَعْيِـه لم يَـدْرِ كيف تَصَـدُّعُ الأكبـادِ

وسئل تذييل هذا البيت:

وإذا ذكـرتك لم أَجِـدْ لك لـوعةً إذ لا تفـارقُ قلبـيَ الـمعـهـودا

فقال:

ما غبتَ عن قلبـي فديتكَ لحظةً وكفى بقلبـك لي لـديـك شهيـدا
لكنَّ حظَّ العينِ منـكَ فـقـدتُـهُ فـالشـوقُ مني لا يـزال جـديـدا

وله شعر كثير.

* * *

— ١٠٠ —

ابن الصابوني

أبو بكر محمد بن أحمد ابن الصابُوني الصدفي[١] من أهل إشبيلية، شاعر عصره المجيد، والمبدىء في محاسن القريض المعيد، الذي ذهبت البدائع بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها به، توجّه إلى المشرق فتوفي في طريقه من الإسكندرية إلى مصر سنة أربع [وثلاثين] وستمائة[٢]، من شعره من جملة قصيدة:

والبيض تَسكُنُ أوصالَ الكُماةِ وقد شحا لها الضربُ كالأفواهِ للجَدَلِ
إذا المَقاتِل عن قصد الـرَّدَى كَمِهَت سوَّى لها الطعنُ مثل الأعيُن النُّجلِ
وللشِّفـار شروعٌ في الـدروع كما تـواترَ الـطيرُ في الغُـدران للنَّهَلِ

ومنه من قصيدة قالها بإشبيلية قبل وفادته على حضرة تونس، وأولها[٣]:

شخصتُ لعزمِ البينِ فاخترَمَتْ شخصي زيادةُ وجدٍ تنهكُ الجسمَ بالنقصِ

يقـول فيهـا:

وقـد كنتُ سلطاناً عليهـا محكماً فما نلتُ للرقبـى سوى خُلَسِ اللص

---

(١) عن الـوافي ٢: ٩٩ والمقتضب: ١٦١ والـفـوات ٣: ٢٨٤ ورحلة ابن رشـيـد (الاسكوريال: ١٧٣٥) الـورقة: ٤٢/ب وانظر المغرب ١: ٢٦٢ واختصـار القدح: ٦٩ ـ ٧٢ وريات المبـرزين: ٣١ والـزركشي: ٢٦٢ والبـدر السـافـر: ٧٦/أ (وهو ينقل عن ابن سعيد) وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(٢) البدر: سنة أربع وقيل ست وثلاثين وستمائة، وجزم ابن سعيد بالتاريخ الثاني.

(٣) وردت جميعها في رحلة ابن رشيد نقلاً عن تحفة القادم، وقال: هذا القدر أورده من هذه القصيدة أبو عبدالله ابن الأبار في تحفته، ومنها في الوافي والوفيات البيتان الأخيران.

كأن الليالي لم تكنْ قطّ أَرخصَتْ ... بنيل المنى من ذلك البَشَرِ الرخص

ومنهـا:

لقـد برَّحتني النـائباتُ بعيثهـا ... فمن ألمٍ تدني ومن أَملٍ تقصي
سـأقتصّ للملك الهمـام شكيتي ... فيبسطَ لي في صَرْفها يدَ مقتصّ
أبي زكرياءَ المهذبِ من أبي ... محمدٍ النامي لمجد أبي حفص
أميرٌ يطيعُ اللّه من قد أطاعه ... ويعصي حدودَ اللّـهِ مَنْ أَمْرَهُ يعصي
فكم تحرصُ الدنيا لتحظى بودّه ... فيصرف وَجْهَ الزهدِ عن رغبة الحرص
يشيّد أركانَ المعالي براحـةٍ ... بناءُ العلا من سعيها مُحْكَمُ الرصّ
وتضطر أوصافُ المحامدِ عنده ... إلى خَرَس الوصّافِ أو أَكَذِبِ الخرص(١)
فيستغرق الراجي الأيادي من يدٍ ... ويستجمعُ الرامي العوالمَ في شخص
وإن كان هذا الشقّ منبت شعبتي ... لأرضى بذاك الشقّ حظّيَ أو شِقْصي
وتؤنسني ذكرايَ تونسَ آملاً ... على بُعْدِ مَهْوَى أرضِ تونسَ من حمص
ستذكرني آفاقُ أندلسٍ بما ... جلوتُ بها من رائقٍ حَسَنِ النصّ
فقد بخستْ بالغمط حقّي كأنها ... رأتْ أن عينَ الشمسِ تلحقُ بالبخص(٢)
وأهوي إلى ذاك الجنابِ ركائبي ... بكل نحوصٍ عندها السهلُ كالنُّحص(٣)
أقسّمُ فرقَ الليلِ عن سُنَّةِ الضحى ... وأهبط خَصْرَ القاع من كَفَلِ الدعص
إلى أن أرى وجهاً إذا شمتُ بَرْقَهُ ... رأيتُ جبينَ البدرِ مكتملَ القرص

وقد عورضت هذه القصيدة بقصائد يأتي ذكرها مستوفى في كتاب «إيماض البرق» من جمعي إن شاء الله تعالى، ولي في ذلك من كلمة أولها(٤):

---

(١) الخرص: الحزر والتقدير.
(٢) بخص العين: غؤورها.
(٣) النحص: أصل الجبل وسفحه.
(٤) أوردها ابن رشيد في رحلته وقال: هذا منتهى ما أنشده منها الحافظ أبو عبدالله، وفي الوافي الأبيات ١، ٢، ٦، وانظر ديوانه: ٣٢٩ ــ ٣٣٨.

أتجحد قتلي ربَّةُ الشِّنْفِ والخُرْصِ وذاك نجيعي في مُخَضَّبها الرَّخْصِ

ومنهـا :

وفيتُ لحرصي في هواها فخانني وقدماً أصيبَ الناسُ من قبل الحرصِ
عمومٌ من البلوى بها عامريةً أبى الحسنُ أن أُلفى بها غيرَ مختصّ
لها اللَّه ماذا في القلائدِ من حُلَىً تشفّ وماذا في الشفوف وفي القمص
نهارٌ محيّا تحت ليلٍ ذوائبٍ تريه وتخفيه مع النَّقْضِ والعقص
تلوثُ على بدرِ التمامِ لثامَهَا إذا الوشيُ زَرَّتْهُ على الغُصْنِ والدعص

ومنهـا :

سقى اللَّهُ درَّ المزن داراً قصيةً على الشدِّ والتقريب والوخدِ والنصّ
يسائلُ عن نجد صَباها مَعاشرٌ وأسألُ عن حمصَ النّعامى وأستقصي
ولو كنتُ موفورَ الجناح لطار بي إليها، ولكن خصَّه البين بالقَصِّ
فشتانَ ما أيامِيَ السودُ أوجهاً بحسمَى وما ليلاتيَ البيضُ في حمصِ
بحيث ألفتُ الورقَ للشدو تنبري على نهرها والقضبَ تهتاج للرقص
وفي يد تشبيبي قيادُ شبيبتي وخلّي وحلمي مستقيدٌ ومستعص
كلانا على أقصى الهوادةِ والهوى فلا عَذَلٌ يُقْصي ولا غَزَلٌ يعصي

ومنهـا :

خلافتُهُ ألوتْ بكلِّ خلافةٍ كذلك بطلانُ القياسِ مع النصّ
لديه استقرَّتْ في نصابٍ وَنَصْبَةٍ وللشرف المحضِ اكتفاءٌ عن المحص
تناهى إليه العلمُ والحلمُ فانثنت تشيدُ بعلياه ثناءً ولا تحصي
وما اشتبهت حال الملوك وحاله ألم تر أن الفضل ليس من النقص

ومن شعر ابن الصابوني :

أَلقتْ إلى الهرب الأعداءُ أنفسَها وما عبيتَ لها جيشاً سوى الرهبِ
خيرُ الكتائب ما لم يُغنِ غايبُه وأفضلُ الفتح ما وافَى بلا تعبِ

ومن شعره[١] :

لقد حجبتْ زُجّ الحواجب سَلوتي فهل لحظُ وصفٍ سُمِّيَت بالحواجِبِ
وواواتُ أصداغٍ أقاربُ نسبة لنوناتها تُدعى بوصف عقاربِ
وميم فمٍ من تحت صادٍ لشاربٍ سُلافاً حَواها حتمُ صادٍ لشاربِ

ومن شعره يرثي :

قد كنتُ آمل أن يقدَّر قبله يومي فيُختَم بالجهاز حبائي
أعزِزْ بأن عَكَسَ الرَّدَى أُمنِيتي فختمتُ فيه مدائحي برثائي

ومن شعره[٢] :

وعذبني خدٌّ به المسكُ باقل كأَنيَ في وصفيه للعجز باقلُ
أما وعذارٍ فوق خدّك إنَّه لأَنْكأُ فِعلَي مُقلتيك لفاعلُ
وما خَيَّلَت نفسي إليّ بأنه ستفعل أفعالَ السيوف الحمائلُ

ومن شعره[٣] :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعتُ في حُبّه عذارِي
قد كتب الحُسنُ فيه سطراً ويولج الليل في النهارِ

ومنه[٤] :

يَسقي الرحيقَ المختومَ من فمه[٥] ختامُهُ من عذاره مِسكُ
أَسبَلَ دمعي لصدره دُرَراً جسمي لفرط الضَّنَى لها سلكُ

* * *

(١) وردت في الفوات أيضاً.
(٢) البيتان الثاني والثالث في الفوات.
(٣) وردت في الفوات.
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) الفوات : يده.

- ١٠١ -

حمـــدة

حمدة بنت زياد بن بقي العوفي ـ بالفاء ـ المـؤدب(١) من أهل وادي آش، إحدى المتأدبات المتصرفات المتغزلات المتعففات.

حدثت عن أبـي الكرم جودي بن عبدالرحمن الأديب(٢) قال أنشدني أبو القاسم ابن البراق(٣) قال أنشدتني حمدة بنت زياد العوفية وقد خرجت متنزهة بالرملة فرأت ذا وجه وسيم أعجبها فقالت(٤):

---

(١) عن الـوافي ١٣: ١٦٣ ـ ١٦٥ ونـزهـة الجلسـاء: ٤٨ والمقتضب: ١٦٢ وانـظر أيضـاً التكملة رقـم: ٢١٢٠ والمطـرب: ١١ وروايـات المبرزين: ٦٣ والإحـاطـة ١: ٤٨٩ ونفح الطيب ٤: ٢٨٧ ومعـجم الأدباء ١٠: ٢٧٤ والفـوات ١: ٣٩٤ والمغـرب ٢: ١٤٥ ومطالع البدور ١: ٢٧٢ وعيون التواريخ ١٢: ٩؛ ونقل السيوطي في نزهة الجلساء عن تذكرة الصلاح الصفدي وعن ابن سعيد، ولها أيضاً ترجمة في الذيل والتكملة لابن عبدالملك (٨: ٤٣٥).

وكانت حمدة (ويقال لها أيضاً حمدونة) من ساكني وادي الحمة بقرية بادي من وادي آش، وكانت أيضاً كاتبة ولها أخت شاعرة اسمها زينب، وقد ذكر ابن سعيد أنهما كانتا من أهل الجمال والمال والصون، إلا أن حبّ الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها، وهما من نسوة يعرفن بـ«العربيات» لمحافظتهن على المعاني العربية.

(٢) هو أيضاً من وادي آش وكان راوية مكثراً، أدب بالقرآن وحدث وعلم بالعربية وكانت له معرفة بالنبات مع اشتهاره بالآداب وتفننه فيها، يجمع إلى الكتابة والشعر حسن الخط، توفي سنة ٦٣١ (التكملة: ٢٥٠).

(٣) راجع الترجمة رقم: ٥٠.

(٤) الأبيات في معظم المصادر المذكورة مع بعض اختلاف في الرواية، وفي مناسبتها رواية أخرى وهي أنَّ حمدة خرجت مع صبية للوادي فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت هذه الأبيات؛ وفي رواية ابن البراق في النفح: «فرأت ذات وجه وسيم».

أباح الدمعُ أسراري بوادِ   به للحسنِ آثارٌ بَوادِ
فمن وادٍ يطوفُ بكلِّ رَوْضٍ   ومن روض يطوف بكل واد
ومن بين الظباء مهاةُ رَمْلٍ   سَبَتْ عقلي وقد ملكتْ فؤادي
لها لحظٌ تُرَقِّدُهُ لأَمْرٍ   وذاك الأَمرُ يمنعني رقادي
إذا سَدَلَتْ ذوائبها عليه   رأيتَ البدرَ في ظُلَمِ الدآدي
تخالُ الصبحَ ماتَ له خليلٌ   فمن حُزْنٍ تسربلَ بالحداد

وأنشدني الكاتبان أبو جعفر ابن عبيد الأركشي وأبو إسحاق ابن الفقيه الجياني قالا، أنشدنا القاضي أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الجراوي لحمدة هذه[1]:

ولما أَبى الواشون إلا فراقَنا   وما لهمُ عندي وعندكَ من ثار
وشنُّوا على آذاننا كلَّ غارةٍ   وقلَّتْ حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتَهُمُ من مقلتيكَ وأدمعي   ومن نَفَسي بالسيفِ والسيل والنار

وحدثني بعض قرابة الأمير أبي عبدالله ابن سعد أن هذه الأبيات الثلاثة لمهجة بنت ابن عبدالرزاق[2] من نواحي غرناطة.

* * *

(١) انظر هذه الأبيات فيما ذكرته من مصادر ترجمة حمدة.
(٢) في نزهة الجلساء: مهجة بنت عبدالرزاق، وهذه مهجة غرناطية (أو قشترية من عمل غرناطة كما ذكر ابن عبدالملك في الذيل والتكملة ٨:٤٩٢) وهناك أخرى قرطبية (النفح ٤:٢٩٣ والمغرب ١:١٤٣ ونزهة الجلساء: ٩٣ والذيل والتكملة ٨:٤٩٢) وهي بنت عصام بن أحمد بن محمد الحميري ولها أخت تسمى أم السعد.

ـ ١٠٢ ـ
نـزهـون

وعاصرت حمدة هذه أو قاربت عصرها نزهون بنت القليعي(١)، وهو فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبدالملك بن غالب الغساني، غرناطية، وكانت واحدة صنفها في أدبها. كتب إليها أبو بكر ابن سعيد(٢) أخو مروان كاتب أبي زكريا ابن غانية(٣):

يا مَنْ لها أَلْفُ شخصٍ مِن عاشقٍ وعشيقِ(٤)

---

(١) المقتضب: ١٦٤ ــ ١٦٥ وانظر المغرب ٢: ١٢١ ورايات المبرزين: ٦٠ والتكملة رقم: ٢٨٨٤ والإحاطة ١: ٤٢٥، ٢: ٥٠٤، ٣: ٣٤٤ ونفح الطيب ١: ١٧٦، ١٩٢، ١٩٣، ٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ ــ ٢٩٨ ونزهة الجلساء: ٩٧؛ كما ترجم لها ابن عبدالملك في الذيل والتكملة (٨: ٤٩٣) وذكرها الحجاري في المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق وحسن رائق، وقال ابن الخطيب: كانت سريعة الجواب صاحبة فكاهة ودعابة؛ ويرد لفظة «القليعي» أحياناً في صورة «القلاعي» وذلك خضوعاً للهجة الأندلسية في الإمالة.

(٢) هو محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في أيام المرابطين (انظر المغرب ٢: ١٦٣ والمصادر عن نزهون).

(٣) هو يحيى بن علي ابن غانية الصحراوي كان والياً على شرق الأندلس في أيام علي بن يوسف، ولما بدأت الفتنة في الأندلس على المرابطين بقيادة ابن قسي وابن حمدين وأشباههما استولى أبو زكريا على قرطبة فقاومه ابن حمدين بأن مكن للنصارى من دخول قرطبة فعاثوا فيها وأحرقوا أسواقها، وصبر أبو زكريا ودافع عن المدينة جهده، ولكنه وقع بين خطرين: خطر الروم من الشمال والموحدين من الجنوب فاضطر لمغادرة قرطبة ولجأ إلى غرناطة ولم يلبث إلا قليلاً فيها حتى أدركته منيته عام ٥٤٣ (الإحاطة ٤: ١٤٣ ــ ٣٤٧).

(٤) في رواية: ألف خل. . . من عاشق وصديق.

أراكِ خـلَّيْـتِ لـلنَّـا سِ سَـدَّ ذاك الـطريـق

فأجابته برسالة فيها:

حللتَ أبـا بكـرٍ محـلاً منعتُـهُ سواكَ وهل غيرُ الحبيبِ له صدري
وإن كان لي كم من حبيب فإنما يُقَدِّمُ أهلُ الحقِّ فَضْـلَ أبـي بكر

ولها في قبيح الصورة عرض لخطبتها:

عـذيـريَ مـن أنـوكٍ أصـلعِ سـفيـهِ الإشـارة والـمـنـزعِ
يـروم الـوصـالَ بمـا لـو أتى يـرومُ بـه الصفـعَ لم يصفـع
بـرأسٍ فـقـيـرٍ إلـى كـيـة ووجـهٍ فـقـيـرٍ إلـى بـرقـع

ولهـا:

لله در لـيـالٍ مـا أُحَيْسَنَـهـا ومـا أُحيسَنَ منهـا ليلةَ الأحـدِ
لو كنتَ حاضرنا فيها وقد غفلت عينُ الـرقيبِ فلم تنظر إلى أحـد
أبصرتَ شمس الضحى في عاتِقَيْ قمرٍ وريمَ مَجْهلَةٍ في سـاعِـدَيْ أسـد

وقال فيها المخزومي أستاذها(١):

على وجه نزهونٍ من الحسنِ مسحةٌ وإن كان قد أضحى من الصَّوْنِ عاريا(٢)
قـواصـدُ نـزهـونٍ تـوارِكُ غيـرهـا ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا(٣)

---

(١) هذا المخزومي هو أبو بكر الأعمى المورروري وبينه وبين نزهون مهاترات (انظر الإحاطة ١: ٤٢٤ ـ ٤٢٧) وكان حياً بعد الأربعين وخمسمائة، والبيتان في الإحـاطة ١: ٤٢٦ والنفح ٤: ٢٩٦ ونزهة الجلساء: ٩٨.

(٢) اهتدم المخزومي هنا بيتاً ينسب لذي الرمة، وروايته:

على وجه مي مسحـة من ملاحـة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

ورواية الشطر الثاني من بيت المخزومي في النزهة: «وتحت الثياب العار لو كان باديا».

(٣) هذا أيضاً اهتدام لقول المتنبي «قواصد كافور... غيره...» البيت.

فقالت تردّ عليه مستطردة(١):

إن كـان مـا قـلتَ حـقـاً مـن نـقض عـهـدٍ كـريـمِ
فـصـار ذكـري ذميـمـاً يُـعْـزَى إلـى كـل لُـوم
وصـرتُ أقـبـحَ شـيءٍ فـي صـورة الـمـخـزومـي

* * *

(١) انظر الإحاطة ١: ٤٢٦ حيث أورد في ردّها عليه أبياتاً أخرى مطلعها:

قـل لـلوضـيـع مـقـالاً يـتـلى إلى حـين يحـشـر

ـ ١٠٣ ـ

هنــد

هند[(١)] خادم أبي محمد ابن مسلمة الشاطبي الكاتب: حكى لي أبو محمد ابن أبي بكر الداني الطبيب أن الوزير [أبا] عامر بن ينق[(٢)] كتب إليها من مجلس أُنسٍ يستدعيها:

يا هندُ هل لكِ في زيارة فتيةٍ نبذوا المحارمَ غيرَ شُرْبِ السلسلِ
سمعوا البلابلَ قد شَدَتْ فتذكروا نغماتِ عودِكِ في الثقيلِ الأوّلِ

فكتبت الجوابَ إليه في ظهرِ الرقعة:

يا سيداً حاز العلا عن سادةٍ شُمِّ الأُنوفِ من الطرازِ الأولِ
حسبي من الإسراعِ نحوكَ أنني كنتُ الجوابَ مع الرسولِ المقبل

* * *

(١) عن الوافي (نسخة أحمد الثالث: ٢٩٢، الجزء ٢٧، الورقة: ١٦٤) والمقتضب: ١٦٦ والنفح ٤: ٢٩٣.

(٢) هو محمد بن يحيى بن محمد بن ينق الشاطبي (ـ ٥٤٧) له ترجمة في القلائد: ١٨٦ والمغرب ٢: ٣٨٨ والتكملة: ٤٧٩ ومعجم شيوخ الصدفي: ١٦٢ وانظر النفح ٣: ٥٩٦، ٤: ١٥، ٢٩٣.

- ١٠٤ -

بنت الحاج

وأما حفصة بنت الحاج الركونية(١) من أهل غرناطة فلعلها بقيت بعد حمدة، وهي القائلة أبياتها المشهورة(٢):

يا سيِّدَ الناسِ يا مَنْ يُؤَمِّلُ الناسُ رِفْدَهْ
امننْ عليَّ بصكٍّ يكونُ للدهرِ عُدَّهْ
تخطّ يمناك فيه «الحمد لله وحده»

* * *

(١) عن الوافي ١٣:١٠٧ والمقتضب: ١٦٧ وانظر المغرب ٢:١٣٨ وروايات المبرزين: ٦١ والتكملة رقم: ٢٨٩١؛ وصلة الصلة: ٢٧٨ ومعجم الأدباء ١٠:٢١٩ والإحاطة ١:٤٩١ والمطرب: ١٠ ونفح الطيب ٣:٢١٨، ٤:١٧١، ١٧٢ـ١٧٨ ونزهة الجلساء: ٤٠. وكانت حفصة مشهورة بالجمال والحسب والمال وقد تولع بها السيد أبو سعيد ابن عبدالمؤمن ملك غرناطة وبسببها نقم على أبي جعفر ابن سعيد وقتله، وبينها وبين أبي جعفر مراسلات شعرية كثيرة.

(٢) هي فيما يقال أبيات أنشدتها بين يدي أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي ارتجالاً وقولها «الحمد لله وحده» تعني العلامة السلطانية عند الموحدين وكان السلطان يخطها بيده بخطٍ غليظٍ في رأس المنشور.

الملحق

- ١٠٥ -
ابن سهل

إبراهيم بن سهل الإسرائيلي: قال ابن الأبار في «تحفة القادم»[١]: كان من الأدباء الأذكياء الشعراء، مات غريقاً مع ابن خلاص والي سَبْتة في الغراب الذي غرق بهم في قدومهم إلى إفريقية مع أبي الربيع سليمان بن علي الغُريغر قبل سنة ست وأربعين وستمائة؛ انتهى.

* * *

(١) هكذا ذكر الصفدي في الوافي ٦: ٥، وترجمة ابن سهل أطول من هذا فيه بكثير، وقد وردت في مصادر كثيرة (انظر مقدمة ديوانه)، وليس من السهل أن نقطع بما أورده ابن الأبار في تحفة القادم من تلك الترجمة، إن كان قد ترجم له حقاً؛ وقد كرر ابن تغري بردي الإشارة إلى أنه ينقل عن تحفة القادم في المنهل الصافي ١: ٥١ ولعله إنما يردد ما عند الصفدي.

ـ ١٠٦ ـ
الفُــرَيَّــاني

أبو محمد عبدُالله بن عبدالرَّحْمن الفُرَيَّاني(١) ـ بضم الفاء وفَتْح الرَّاء وتَشْدِيد الياء آخر الحُرُوف وبعد الأَلِفِ نُون ـ قال ابن الأبار في «تحفة القادم»: كان بإشْبيلية ناظراً لأبـي سُلَيْمان دَاوُد بن أَبـي دَاوُد في المَواريث وكان أَبو بَكْر ابن زُهْر يَكْرَهُهُ؛ فقال الفُرَيَّاني:

أَمْرَانِ قد أَتْلَفَا جُودِي ومَـوْجُودي ... ظُلْمُ ابنِ زُهْرٍ مع اسْتِخْفَافِ دَاوُدِ
يا ربِّ فاجْزِ آبنَ زُهْرٍ عن تَعَسُّفِهِ ... وآغْفِرْ لدَاوُدَ يا ذا الفَضْلِ والجُودِ

* * *

---

(١) الوافي ١٧: ٢٤٨ ورحلة التجاني: ٨٤ والحلل السندسية ٢: ٣٤٠.

ـ ١٠٧ ـ
ابـــن خيـــارة

أبو سعيد ميمون بن علي المعروف بابن خيارة[1]: توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة. من شعره، وفيه لزوم، يهجو الطبيب عبدالله بن حبيب:

ثوى رمقاً بـالشرقِ حتى ثـوى بـه ... وقائع في الإسلام جاءت بلا حربِ
جنان جريء دون رمحٍ ولا ظُباً ... بحكمته استغنى عن الطعن والضرب
لـــه شـربـــةٌ للمسلمين أَعـــدَّهـــا ... فكم نقلتْ من ذي حياةٍ إلى الترب
ودعواه في الإسلام والطبِّ والعلا ... كدعوى زيادٍ في إخاء بني حرب
ولما قضى في الشرقِ بالطبِّ ما قضى ... بقتلِ حُماةِ الدين عاد إلى الغرب
فـأنـدلسٌ فيهـا عـدوان منهمـا ... قلوبُ بني الإيمانِ في أَعظم الكرب
فـلابن حبيبٍ مـا علمتَ وبعـده ... من الرومِ أوباشٌ تغير على العُرْبِ

* * *

(١) الوافي (نسخة أحمد الثالث: ٢٩٢ من الجزء: ٢٦، الورقة: ١٦٤) وقد صرَّح الصفدي بأنه ينقل عن ابن الأبار ولكنه لم يحدّد مصدره.

ـ ١٠٨ ـ
عياش بن حوافر

أبو الحيا عياش بن حوافر[١]، من عرب ميورقة ـ بالياء ـ ولد بها ونشأ؛ كان أخبثهم لساناً وأكثرهم افتناناً، وإنما أخرته لعداده في العامة، حتى يهجو فيجيء بالطامة، وما أنسى تعجب أبي الربيع شيخنا منه، واستغرابه لما يصدر عنه، مثل قوله:

ما في بني طلحةٍ من يُرْتَجَى لندىً ... ولا يخاف لبأس منهم أحدُ
هجوتهم حين عاف الناسُ هَجْوَهُمُ ... فلي عليهمْ بتنويهِ الهجاءِ يد

وقال أيضاً:

بنو يفعولَ إن كانوا قضاةً ... فقد رأوا الحرامَ لهم حلالا
إذا أُعطوا رشاً كانوا خفافاً ... وإن سئلوا الندى صاروا ثقالا

---

(١) الوافي (نسخة تونس رقم ١٣٣٢٥، الجزء: ٢٣، الورقة: ٣٢) وبغية الوعاة ٢: ٢٣٩ (وهو ينقل عن معجم ابن مسدي) وذكره في المقتضب: ١٥٤ بين الهجائين، وكنيته «أبو المحجى» وذكر أن أباه من عرب ميورقة، ولم يورد له شعراً؛ ونسبه أبو حيان أموياً (كما ذكر الصفدي) وذكره ابن مسدي في معجمه وقال: كان عارفاً بكتاب سيبويه، رأيته بشاطبة ثم ببلاد شتى، وأورد له قوله (وهو في بغية الوعاة أيضاً):

يا رب ليل قد تعاطينا به ... كأسَ السهاد نعل منه وننهل
وكأنما أفق السماء خميلة ... والزهر زهر والمجرة جدول

قال: مولده على رأس التسعين وخمسمائة، قال الصفدي: فلعلّ هذا عياشاً هو الذي ذكره ابن الأبار وإنما لم أجزم به أنه هو هذا لأن ابن الأبار قال إنه من العوام وابن مسدي قال: كان عارفاً بكتاب سيبويه ولكن المولد الذي ذكره ابن مسدي يدل على أنه هذا.

وقــال أيضــاً:

إلاهــي إنني بــكَ من زمــاني ومن سكني مَـيُـورْقَـةَ مستغيثُ
هي الأرضُ التي خبثتْ تــرابــاً فـلم يـنـشـأ بـهــا إلا خـبـيـث

على أنه هو القائل في النسيب:

بين القلوبِ وبين الأعين النُّجُـلِ حربٌ تُشَبُّ بغير البيضِ والأَسَلِ
أما الملاحُ فحدِّثْ عن ملاحمهم في العاشقين وعن صفين لا تسل
من كلِّ أحورَ قـد أَرْدَتْ لواحـظُهُ على غــرارتـه من فــارس بـطل
عَنُّـوا لنـا بــرمـاحٍ من قــدودهمُ وأنجـدوهـا بـأسيـافٍ من المقــل
وابن الأَميــرِ أميــرٌ في كتــائبــه يغـزو القلوبَ بأفـراس من الغزل

* * *

ـ ١٠٩ ـ
عيسى الدجي

أبو موسى عيسى بن عبدالله الدُّجّي[1] ـ بضم الدال المهملة مشددة وجيم مشددة ـ وهي قرية بشريش، وأحسبه [حياً] إلى الآن، أفضى به خبثُ لسانه والتولعُ بالنيلِ من جيرانه إلى أن ضربه قاضي موضعه، فما أضرب عن منزعه. وقد سمعته بإشبيلية ينشد ما لم أرضه، فتحرجت أن أكتبه أو بعضه، على أنه القائل:

قالوا أتشربُ بعد الشيب قلتُ لهم ... هذا لمعنىً غريبٍ في ابنةِ العنبِ
السنّ حرَّكَ أسناني فأشربها ... أُجْرِي عليها لتقوى ذائب الذهب

وقال في بقالٍ ألحى تلمساني:

أهدت تلمسانُ لنا لحيةً ... بوجه تيسٍ جئتُ أن أسألَهْ
ألفيتُهُ وهو بدكانه ... وهي على ما يحتوي مُسْبَلَهْ
فقلت ماذا؟ قال: عَلَّقْتُها ... لأمنعَ الذبانَ أن تدخله

* * *

(١) الوافي (النسخة التونسية رقم ١٣٣٢٥، الجزء: ٢٣، الورقة: ٣٨)، نقلاً عن ابن الأبار وذكره في المقتضب بين الشعراء الهجائين.

– ١١٠ –
مرج الكحل

محمد بن إدريس بن علي أبو عبدالله الأندلسي الشاعر المعروف بمرج الكُحل[١] قال ابن الأبّار: شاعر مفلق بديع التوليد، توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة، من نظمه:

مـثَـلُ الـرزق الـذي تـطلبُـه مثَلُ الظلّ الـذي يمشي مَعَكْ
أنـت لا تُـدركـه مـتّـبعـاً وإذا ولّـيـتَ عـنـه تَـبِـعَـكْ

ومـن نظمـه:

لك الخير يا مولايَ ما العبد بآمرئٍ لـديـه حسامٌ بـل لـديـه يَـراعُ
وهـل أنا إلاّ مثـل حسّـانَ شيمـةً جبانٌ وفي النظمِ النفيسِ شجاعُ

* * *

(١) الوافي ٢ : ١٨١، ولم يصرح بأنه ينقل عن تحفة القادم.

ـ ١١١ ـ
الطبيب الشريشي

أبو بكر محمد بن علي بن رفاعة الشريشي الطبيب[١]: قال ابن الأبار: كان أسمر اللون أبرص وهو القائل:

شَريشُ ما هيَ إلاّ تصحيفُ شرٍّ تبيَّنْ
فآرحلْ فديتُك عنها إن كنتَ ممّن تديَّنْ
فلم يَسُدْ قطُّ فيها حرٌّ ولا مَن تقيَّنْ[٢]

* * *

(١) الوافي ٤:١٥٨، ولم يصرح بالنقل عن تحفة القادم.
(٢) تقين: أصبح قيناً أي عبداً.

-[٩١]-
ابن محرز الزهري

محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبوبكر الزهري البلنسي ويعرف بابن محرز[١]: سمع وروى، وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحة مع التفنن في العلوم وحفظ اللغات، روى عنه ابن الزبير. ولد في سنة تسع وستين وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة، وله شعر رائق فمنه ما قاله ملغزاً في نارنجة:

ما ذات حملٍ وهي حملُ نفسها   لا حُـرَّةٌ في جنسهـا ولا بـغي
كـالـبـدرِ إلا أنهـا مُـكِـنَّـةٌ   أهـلَّةً إبـدارهـا لا يـنـبـغـي
تـريكَ من جملتهـا فـاعجبْ لهـا   شـطرَ اسمها وخـاطـرَ ابن أصبـغ

ومنـه:

سقى اللّـه المعـرَّس إذ سهـرنـا   . . . . (الأبيات)[٢]

ومنـه:

إن لـلَّـهِ مـطلقـيـن أسـارى   . . . . (الأبيات)[٢]

وكتب مع قلنسوة أهداها:

خـذهـا محـدَّبَـةً مقعـرةً لهـا   من طرفها ما للسماءِ من الحُبُـكْ
أَطلع بهـا الأسنى جبينـك يُجْتَلَى   منها ومنه الشمسُ في نصف الفلك

(١) هذه الترجمة لا تأخذ رقماً بعد سابقتها، لأن ترجمة ابن محرز قد مرَّت رقم: ٩١ وإنما أفردتها هنا لأن الصفدي ينقل، فيما يبدو، عن مصدر غير تحفة القادم، إلى جانب نقله عن التحفة (انظر الوافي ١: ١٩٨ ــ ٢٠٠).

(٢) مرت المقطوعتان في الترجمة السابقة.

وكتب مع تفاحة:

بعثتُ بها على عجلٍ ووِدٍّ خالصٍ صَدَقَكْ
فخذ من لونها خجلي وخذ من عطرها خُلُقَكْ

وكتب مع حجل:

مزَّق موشَّى بُرْدِهَا، ومفصَّلاً من طوقها انثره وعفِّرْ جنبها
خذها بما فيه مشتْ غدراً ولا تُغْفِلْ خطاها في الدماء وعَبَّها
فاعجب من البازي له في جنسها أَثَرُ العدو ولا يزال مُحِبَّها
نظمت ثلاثَ بدائع في خلقها نثرتْ بها في كلِّ قلبٍ حُبَّها
تمشي بمرجانٍ وتبلغ أرقماً وبحبةِ الرمان تلقط حَبَّها

وقال يخاطب والي بلنسية لما صدر إليه من مراكش:

بشرى الإياب أفادها لك حالا ما ساك[1] ليلة أزمعوا الترحالا
كم منحة من محنة نجمت[2] وكم أجمال بينٍ سببت إجمالا

وله الأبيات الدالية المكسورة واللامية المضمومة في وصف مثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم.

* * *

(١) ساك مخفف ساءك.
(٢) في الوافي: نجَّتْ.

الفهـــارس

* فهرس الأعلام.
* فهرس الأماكن.
* فهـــرس الـطوائف والأمم.
* فهرس الكتب.
* فهرس القوافي.
* مصادر التحقيق.

فهرس الأعلام

* * *

فهرس الأماكن

فهرس الطوائف والأمم

* * *

فهرس الكتب

فهرس القوافي

* * *

مصادر التحقيق

١ ــ أبو المطرف أحمد ابن عميرة المخزومي للدكتور محمد بنشريفة، المغرب ١٩٦٥.
٢ ــ الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (١ ــ ٤) تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨.
٣ ــ أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السفر للسلفي) تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣.
٤ ــ اختصار القدح المعلى لابن سعيد الأندلسي، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٩.
٥ ــ أدباء مالقة (صورة عن نسخة خطية خاصة).
٦ ــ أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري (١ ــ ٣) تحقيق السقا والأبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٩ ــ ١٩٤٢.
٧ ــ إعتاب الكتاب لابن الأبار، تحقيق الدكتور صالح الأشتر، دمشق ١٩٦١.
٨ ــ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم (١ ــ ٥)، الرباط.
٩ ــ أعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.
١٠ ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (١ ــ ٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٠ ــ ١٩٧٤.
١١ ــ الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل للعليمي (١ ــ ٢)، مصر ١٢٨٣.
١٢ ــ الأنساب للسمعاني (١ ــ ٨)، حيدر أباد الدكن ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥.
١٣ ــ البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢)، مصر ١٣٥١ ــ ١٣٥٨.
١٤ ــ بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي (١ ــ ٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٩.
١٥ ــ البدر السافر للأدفوي (ج ٢) مخطوطة الفاتح رقم ٤٢٠١.
١٦ ــ برنامج شيوخ الرعيني تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق ١٩٦٢.
١٧ ــ بغية الملتمس للضبي، مجريط ١٨٨٤.

١٨ ــ بغية الوعاة للسيوطي (١ ــ ٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٥.
١٩ ــ البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزبادي تحقيق محمد المصري، دمشق ١٩٧٢.
٢٠ ــ البيان المغرب لابن عذاري (ج ٣) (خاص بتاريخ الموحدين) تحقيق ميراندا وابن تاويت والكتاني، تطوان ١٩٦٠.
٢١ ــ تاريخ ابن خلدون (ج ٤)،ط. بولاق ١٢٨٤.
٢٢ ــ تاريخ اربل لابن المستوفي تحقيق الدكتور سامي الصقار، بغداد ١٩٨٠.
٢٣ ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج١٣)،طبعة مصورة عن الطبعة المصرية.
٢٤ ــ تحفة العروس للتيفاشي، ط مصر ١٢٩٣.
٢٥ ــ تذكرة الحفاظ للذهبي (١ ــ ٤) حيدرآباد الدكن ١٩٥٥.
٢٦ ــ ترتيب المدارك للقاضي عياض (ج ٤) تحقيق أحمد بكير، بيروت.
٢٧ ــ التعريف بالقاضي عياض لابنه محمد تحقيق الدكتور محمد بنشريفه، المغرب (منشورات وزارة الأوقاف).
٢٨ ــ التكملة لابن الأبار القضاعي (١ ــ ٢)،ط. مصر.
٢٩ ــ التكملة لابن الأبار القضاعي، ط. مدريد (مشار إليها بالرقم).
٣٠ ــ تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبدالقادر بدران (ج١)،دمشق ١٣٢٩.
٣١ ــ جدوة الاقتباس لابن القاضي (١ ــ ٢)، ط. الرباط ١٩٧٣.
٣٢ ــ جذوة ةالمقتبس للحميدي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة ١٩٥٢.
٣٣ ــ الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية (١ ــ ٢) لابن أبي الوفا، حيدر اباد الدكن ١٣٣٢.
٣٤ ــ حلبة الكميت للنواجي، القاهرة ١٢٧٦.
٣٥ ــ الحلل السندسية في الأخبار التونسية لابن السراج تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٧٠.
٣٦ ــ الحلة السيراء لابن الأبار تحقيق الدكتور حسين مؤنس (١ ــ٢)، القاهرة ١٩٦٣.
٣٧ ــ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (القسم المغربي والأندلسي ج ١ ــ ٣)،ط. تونس ١٩٦٦ ــ ١٩٧٢.
٣٨ ــ الديباج المذهب لابن فرحون، مصر ١٣٥١.
٣٩ ــ ديوان ابن الأبار تحقيق الدكتور عبدالسلام الهراس، الدار التونسية للنشر ١٩٨٥.
٤٠ ــ ديوان ابن خفاجة تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي، مصر ١٩٦٠.
٤١ ــ ديوان ابن دراج القسطلي تحقيق الدكتور محمود مكي، دمشق ١٩٦١.
٤٢ ــ ديوان ابن الزقاق البلنسي تحقيق عفيفة ديراني، بيروت.
٤٣ ــ ديوان ابن سهل الاسرائيلي، قدم له إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٦.

٤٤ ـ ديوان ابن هانىء الأندلسي، دار صادر، بيروت ١٩٥٢.
٤٥ ـ ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (١ ـ ٤) تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٦.
٤٦ ـ ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزام، القاهرة ١٩٤٤.
٤٧ ـ ديوان الأبيوردي (١ ـ ٢) تحقيق عمر الأسعد، دمشق.
٤٨ ـ ديوان أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت جمع محمد المرزوقي، تونس ١٩٧٤.
٤٩ ـ ديوان الرصافي البلنسي جمعه الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، بيروت (طبعة ثانية) ١٩٨٣.
٥٠ ـ ديوان الصنوبري تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٧٠.
٥١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (١ ـ ٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨.
٥٢ ـ ذيل الروضتين (معجم رجال القرنين السادس والسابع) لأبي شامة، القاهرة ١٩٤٧.
٥٣ ـ الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي، ج ١، ج ٨ تحقيق الدكتور محمد بنشريفة، بيروت (دون تاريخ) والرباط ١٩٨٤.
٥٤ ـ الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي (ج ٤، ٥، ٦) تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٧٣.
٥٥ ـ رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي، تحقيق غرسيه غومس، مدريد.
٥٦ ـ رحلة ابن رشيد السبتي (ملء العيبة) نسخة الاسكوريال، رقم ١٧٣٥، ١٧٣٧.
٥٧ ـ رحلة التجاني تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، تونس ١٩٥٨.
٥٨ ـ رفع الحجب المستورة (في شرح مقصورة حازم للغرناطي) (١ ـ ٢)، مصر ١٣٤٤.
٥٩ ـ الروض المعطار للحميري تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥.
٦٠ ـ ريحانة الالبا للخفاجي (١ ـ ٢) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة.
٦١ ـ الريحان والريعان (ج ١) لابن خيرة المواعيني نسخة الفاتح باستانبول رقم ٣٩٠٩.
٦٢ ـ زاد المسافر لصفوان بن إدريس تحقيق عبدالقادر محداد، بيروت ١٩٣٩.
٦٣ ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (١ ـ ٣)، المغرب.
٦٤ ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠.
٦٥ ـ السحر والشعر للسان الدين بن الخطيب، تحقيق كونتننته فرير، مدريد ١٩٨١.
٦٦ ـ شذرات الذهب لابن العماد (١ ـ ٨)، القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١.

٦٧ ــ شرح مقامات الحريري للشريشي (١ ــ ٥) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٦.
٦٨ ــ الصلة لابن بشكوال (١ ــ ٢)، القاهرة ١٩٥٥.
٦٩ ــ صلة الصلة لأبي جعفر ابن الزبير، تحقيق ليفي برفنسال، الرباط ١٩٣٧.
٧٠ ــ طبقات الشافعية للسبكي (١ ــ ١٠) تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة ١٩٦٤ ــ ١٩٧٦.
٧١ ــ العبر في خبر من غبر للذهبي (١ ــ ٥) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت ١٩٦٠ ــ ١٩٦٦.
٧٢ ــ عقود الجمان لابن الشعار (ج ٤) مخطوطة أسعد أفندي رقم ٢٣٢٣ ــ ٢٣٣٠.
٧٣ ــ عقود الجمان للزركشي، مخطوطة الفاتح رقم ٤٤٣٤.
٧٤ ــ عنوان الدراية للغبريني تحقيق عادل نويهض، بيروت ١٩٦٩.
٧٥ ــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة تحقيق امرىء القيس بن الطحان (المطبعة الوهبية بمصر) ١٨٨٢.
٧٦ ــ عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (ج ١٢) تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود، بغداد ١٩٧٧.
٧٧ ــ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١ ــ ٣) تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٢ ــ ١٩٣٣.
٧٨ ــ الغصون اليانعة لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٦٧.
٧٩ ــ الغنية في شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢.
٨٠ ــ الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، تونس ١٩٦٨.
٨١ ــ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١ ــ ٥) تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤.
٨٢ ــ قلائد العقيان للفتح بن خاقان، بولاق ١٢٨٣.
٨٣ ــ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ ــ ٣)، القاهرة ١٣٥٦ ــ ١٣٦٩.
٨٤ ــ اللزوميات لأبي العلاء المعري (١ ــ ٢)، ط. دار صادر، بيروت ١٩٦١.
٨٥ ــ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (١ ــ ٦) حيدر اباد الدكن ١٣٣١.
٨٦ ــ لمح السحر لابن ليون التجيبي، نسخة الخزانة العامة بالرباط.
٨٧ ــ مجلة الأبحاث، بيروت (عدد كانون الأول ١٩٦٩).
٨٨ ــ مجلة العرب يصدرها الشيخ حمد الجاسر عن دار اليمامة (السنة الثالثة).
٨٩ ــ المحمدون من الشعراء للقفطي تحقيق حسن معمري، الرياض ١٩٧٠.

٩٠ ــ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٨)، حيدر آباد الدكن ١٩٥١ ــ ١٩٥٢.
٩١ ــ المرقبة العليا للنباهي، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٤٨.
٩٢ ــ مسالك الأبصار للعمري (ج ١١) نسخة أحمد الثالث.
٩٣ ــ مطالع البدور للغزولي (١ ــ ٢)، القاهرة ١٢٩٩.
٩٤ ــ المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٦.
٩٥ ــ مطمح الأنفس للفتح بن خاقان، تحقيق محمد علي شوابكه، بيروت ١٩٨٣.
٩٦ ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبدالواحد المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣.
٩٧ ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ ــ ٧) تحقيق مرغوليوث، لندن ١٩٢٣ ــ ١٩٣٥.
٩٨ ــ معجم الأدباء لياقوت (١ ــ ٢٠)، ط. مصر ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨.
٩٩ ــ معجم أصحاب الصدفي لابن الأبار القضاعي، مجريط ١٨٨٥.
١٠٠ ــ معجم البلدان لياقوت الحموي (١ ــ ٦) تحقيق وستنفلد، ليبسك ١٨٦٦ ــ ١٨٧٠.
١٠١ ــ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (١ ــ ٢) تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٥.
١٠٢ ــ المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٥٧.
١٠٣ ــ المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة، تحقيق عبدالهادي التازي، بيروت ١٩٦٤.
١٠٤ ــ المنهل الصافي لابن تغري بردي (ج ١) تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مصر ١٩٥٦.
١٠٥ ــ ميزان الاعتدال للذهبي (١ ــ ٤)، تحقيق علي محمد البجاوي، مصر ١٩٦٣.
١٠٦ ــ نثر النظم وحل العقد للثعالبي، ط. مصر.
١٠٧ ــ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ج٥)، القاهرة (دار الكتب المصرية).
١٠٨ ــ نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٥٨.
١٠٩ ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١ ــ ٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.
١١٠ ــ نكت الهميان للصفدي، ط. مصر.
١١١ ــ نهاية الأرب للنويري (ج ٥)، القاهرة (دار الكتب المصرية).
١١٢ ــ نوادر المخطوطات (ج ١) تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٧٢.
١١٣ ــ نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي (على هامش الديباج)، القاهرة ١٣٥١.

١١٤ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ١ ـ ١٧، ٢٢ (النشريات الإسلامية) لعدة محققين.
١١٥ ـ الوافي بالوفيات للصفدي نسخة أحمد الثالث رقم: ٢٩٢.
الوافي بالوفيات للصفدي نسخة تونس رقم: ١٣٣٢٥.
١١٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (١ ـ ٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢.
١١٧ ـ يتيمة الدهر للثعالبي (١ ـ ٤) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٣٧٥ ـ ١٣٧٧.

* * *